

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ
الْقِـمُّ الْأَوَّلُ - المَوْلفات

جَامِعُ الرِّسَالِ

لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ

أَبِي الْعَبَّاسِ شَيْخِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ

مُحَقِّقُ
الدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ دُرَّشَادِ سَالِمٍ

النَّاشِرُ

دَارُ الْمَدِينِ

لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ - جِلْدُ ت ٦٤٣٢٣٦٢

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ
الْقِسمُ الأوَّل - المَوْلفات

٢

جَامِعُ الرِّسَالِ

لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ

أَبِي الْعَبَّاسِ نَعْمَى الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ

المجموعة الأولى

مُحَقِّق
الدكتور محمد رشاد سالم

النَّاشِر

دار المصنف

للنشر والتوزيع - جلة ت ٦٤٣٢٣٦٢

رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وبه القوة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً .

﴿ فصل ﴾

في قنوت الأشياء لله عز وجل ، وإسلامها ، وسجودها له ، وتسبيحها له .

القنوت
في القرآن

فإن هذه الأربعة قد ذكرها الله تعالى في القرآن . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا
أَتَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ *
بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
[سورة البقرة ١١٦ ، ١١٧] ، وقال تعالى في سورة الروم : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الروم : ٢٦ ، ٢٧] .

الإسلام

وأما الإسلام فقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أُسْلِمَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾
[سورة آل عمران : ٨٣] .

السجود

وأما السجود فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] ، وقال :
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ^(١) ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ

(١) في الأصل : (يتفتق) ، وهي قراءة أبي عمرو ، وهذه القراءة جاءت في سائر
المواضع .

سُجِّدَ لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ [سورة النحل : ٤٨ ، ٤٩] .
وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] .

التسبيح

وأما التسبيح فقال تعالى : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ
فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ سَبِّحِ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الصف : ١] ، [سورة الحشر : ١] في موضعين ، و : ﴿ سَبِّحِ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الحديد : ١] ، و : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الجمعة : ١] ، [سورة التغابن : ١] في موضعين ،
فخمس سور افتتحت بذكر تسبيح ما في السموات وما في الأرض له ؛ وقال :
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ
قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ [سورة البقرة : ١١٦]
فهو نظير قوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا
لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتٍ الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [سورة مريم : ٨٨ - ٩٥] . وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ
مَنْ سُلْطَانٌ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس : ٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾
إلى قوله : ﴿ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦-٢٩] .

* * *

س ٢٠
القنوت في اللغة

والقنوت في اللغة / دوام الطاعة ، والمصلّي إذا طال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت في ذلك كله ؛ قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر : ٩] ، فجعله قانتا في حال السجود والقيام .

وفي الحديث الصحيح : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت »^(١) . ولم يرد به طول القيام فقط ، بل طول القيام والركوع والسجود ، كما كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت معتدلة إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [سورة النحل : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ ﴾ [سورة التحریم : ٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] ، وسمى إطالة القيام في الصلاة قنوتاً لأنه يطيل فيه الطاعة ، ولو صلى قاعداً لقنت وهو قاعد ، وكذلك إذا صلى على جنب قنت وهو على جنب ، والقيام قبل الركوع يُسمى أيضاً قنوتاً .

(١) هو حديث جابر رضي الله عنه في : مسلم ١٧٥/٢ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أفضل الصلاة طول القنوت) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٣/ ٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٣٩١ ؛ الترمذی (بشرح ابن العربي) ٢/ ١٧٨ - ١٧٩ (أبواب الصلاة ، باب ما جاء في طول القيام في الصلاة) ؛ النسائي (بشرح السيوطي) ٥٨/٥ (كتاب الزكاة ، باب جهد المقل) .

قال ابن قتيبة^(١) : « لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة ، لأن جميع الخلال : من الصلاة ، والقيام فيها ، والدعاء وغير ذلك يكون عنها ^(٢) » .

وقال أبو الفرج^(٣) : « قال الزجاج^(٤) : القنوت هو في اللغة بمعنيين : أحدهما القيام ، والثاني الطاعة . والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت الدعاء في القيام ، فالتقانت : القائمُ بأمر الله ، ويجوز أن يقع في جميع الطاعات ، لأنه وإن لم يكن قياماً على الرجلين فهو قيام بالنية » .

قلت : هذا ضعيف ، لا يُعرف في اللغة أن مجرد القيام يسمى قنوتاً ، والرجل يقوم ماشياً وقائماً في أمور ولا يُسمى قانتاً ، وهو في الصلاة يسمى قانتاً لكونه مطيعاً عابداً ، ولو قنت قاعداً ونائماً سُميَ قانتاً . وقوله تعالى : ﴿ وَتَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٨] يدل على أنه ليس هو القيام ، وإنما هو صفة في القيام يكون بها القائم قانتاً ، وهذه الصفة تكون في السجود أيضاً ، كما قال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً ﴾ .

(١) في كتابه « تأويل مشكل القرآن » (تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر) ، ص ٣٥٠ . وهذه العبارة هي آخر كلامه الذي استغرق صفحة كاملة ، وقال هناك : « ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة ، لأن جميع هذه الخلال . . . الخ » .

(٢) عنها : في الأصل فيها ، وفي الهامش كتبت كلمة « عنها » وعليها حرف (خ) أى في نسخة أخرى . وأنتهت عن تأويل مشكل القرآن .

(٣) المقصود بأبي الفرج : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، الإمام العلامة المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ومن كتبه « زاد السير في علم التفسير » (ومنه نسخة خطية) وتيسر البيان في علم القرآن ، قال ابن رجب : مجلد ، وكتاب المفتي في التفسير قال ابن رجب : أحد وثمانون جزءاً . انظر ترجمته ومصنفاته في : وفيات الأعيان ٣٢١/٢ - ٣٢٢ ؛ تاريخ ابن الوردي ١١٨/٢ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١ / ٣٩٩ - ٤٣٣ ؛ الكامل لابن الأثير (ط . الحلبي) ١٠ / ٢٢٨ ، ١٢ / ٦٧ ؛ الأعلام للزركلي ٨٩/٤ - ٩٠ .

(٤) هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ، النحوي اللغوي ، المتوفى سنة ٣١١ هـ . ومن كتبه الهامة « معاني القرآن » ومنه نسخة خطية . انظر ترجمته ومصنفاته في : وفيات الأعيان ٣١/١ - ٣٣ (وفيه : إبراهيم بن محمد) ؛ معجم الأدباء ١٣٠/١ - ١٥١ ؛ لمبناه الرواة ١٥٩/١ - ١٦٦ (وانظر في التعليق مراجع أخرى في ترجمته) ؛ الأعلام ٣٣/١ .

فقول القائل : إن المشهور في اللغة أنه الدعاء في القيام ، إنما أخذه من كون هذا المعنى شاع في اصطلاح الفقهاء إذا تكلموا في القنوت في الصلاة ، وهذا عُرف خاص . ومع هذا فالفقهاء يذكرون القنوت سواء صلى قائماً أو قاعداً أو مضطجعا ، لكن لما كان الفرض ليس يصح أن يصلّيهِ إلا قائماً ، وصلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، صار القنوت في القيام أكثر وأشهر ، وإلا فلفظ « القنوت » في القرآن واللغة ليس مشهوراً في هذا المعنى ، بل ولا أُريدَ به هذا المعنى ، ولا هو أيضاً مشتركاً ، بل اللفظ بمعنى الطاعة أو الطاعة الدائمة ، ولهذا يفسره المفسرون بذلك .

القنوت عند
ابن تيمية هو
الطاعة

ظ ٢٠

/ وقد روى في ذلك حديث مرفوع رواه ابن أبي حاتم من النسخة المصرية التي يروى منها الترمذى وغيره من حديث ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن دراجاً أبا السَّمْع حدثه : عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل حرف في القرآن يُذكر فيه القنوت فهو الطاعة »^(١) .

(١) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده ٧٥/٣ (ط . الحلبي) ونصه فيه : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن (وهو ابن موسى الأشيب) حدثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

وروى الطبري الحديث مرتين عن ابن لهيعة ، وسند الأول إليه : حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا ابن لهيعة . وسند الثانية إليه : حدثني المثنى ، قال حدثنا إسحاق ، قال حدثنا محمد بن حرب قال حدثنا ابن لهيعة .

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه (تفسير الطبري ٢٣١/٥ ، ط . المعارف) : « وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٠ ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط . وفي إسناده أحمد وأبو يعلى ابن لهيعة وهو ضعيف » قال الشيخ أحمد شاكر : « وابن لهيعة ليس بضعيف كما قلنا فيما مضى : ٢٩٤١ » (انظر تفسير الطبري ١٩٧/٣) .

وفي تفسير ابن أبي طلحة^(١) عن ابن عباس : ﴿ فَأَلْصَحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ [سورة النساء : ٣٤] : « مطيعات » .

قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد وعكرمة وأبي مالك وعطاء وقتادة والسدى مثل ذلك .

وروى عن مقاتل بن حيان قال : « مطيعات لله ولأزواجهن في المعروف » .
وروى عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتُ ﴾ قال :
« يعنى المطيعين والمطيعات » .

قال : وروى عن قتادة والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثل ذلك . وروى بإسناده عن أبي العالية في قوله : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٣] قال : اركدى لربك . وعن الأوزاعي قال : « ركدت في محرابها قائمةً وراكعةً وساجدةً حتى نزل ماء الأصفر في قديمها » .
وعن الحسن أنه سئل عن قوله : ﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي ﴾ قال :
« يقول : اعبدى لربك » .

وعن ليث عن مجاهد قال : « كانت تقوم حتى تتورم قدمها »^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ قال ابن أبي حاتم : « تقدم تفسير القانت في غير موضع القانت الذى يطيع الله ورسوله » .
وروى عن أحمد بن سنان ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : « القانت الذى يطيع الله ورسوله » .

(١) هو علي بن أبي طلحة . قال ابن سعد (الطبقات ٧ / ٤٥٨) : « روى التفسير عن ابن عباس ، رواه عنه معاوية بن صالح » . وانظر الجرح والتعديل ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٩١ . وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر تفسير الطبرى ٢ / ٥٢٧ - ٥٢٨ .
(٢) انظر تفسير الطبرى (ط . المعارف) ٦ / ٤٠١ - ٤٠٣ .

فهذا تفسير السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لألفاظ القنوت في القرآن^(١).

﴿فصل﴾

وكذلك فُتِّسروا القنوت في قوله: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٦] ، لكن تَنَوَّعَ كلامهم في طاعة المخلوقات كلها لما رأوا أن من الجن والإنس من يعصى أمر الله الذي بعث به رسله ، فذكر كل واحد نوعاً من القنوت الذي يُعمُّ المخلوقات .

رواية ابن أبي حاتم أوجه تفسير لفظ القنوت

قال ابن أبي حاتم : « اختلف في قوله : ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ على أوجه » . وروى بإسناده الحديث المرفوع : « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة » .

الوجه الأول الطاعة

وروى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قانتون ، قال : مطيعون . يقول : طاعة الكافر في سجوده سجود ظله وهو كاره .

وأيضاً عن شريك ، عن خفيف ، عن مجاهد : ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ قال : مطيعون ، كن إنساناً فكان ، وقال : كن حماراً فكان . ففَسَّرَهَا مجاهد بالسجود طوعاً وكرهاً ، وفسَّرَ الكره بسجوده ظله ، وفسَّرَهَا أيضاً بطاعة أمره الكوني ، وهو قوله : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة يس : ٨٢] وهذا الأمر الكوني لا يخرج عنه أحد .

(١) فسر الطبري لفظ « القنوت » بما يوافق تفسير ابن تيمية ، وأورد الآثار عن السلف في ذلك . انظر التفسير (ط . المعارف) ٥٣٨/٢ - ٥٤٠ ، ٥ / ٢٢٨ - ٢٣٧ (وخاصة ص ٢٣٦ - ٢٣٧ حيث ذكر الطبري القول الذي يرجحه في تأويل القنوت وهو الطاعة) ، ٦ / ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ - ٤٠٥ ، ٨ / ٢٩٣ - ٢٩٤ .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات التي / لا يجاوزهن برئ ولا فاجر»^(١).

س ٢١

وهذان الوجهان ذكرهما ابن الأنباري^(٢)، مع ذكره وجهاً آخر: أنها خاصة . قال أبو الفرج: «فإن قيل: كيف عمَّ بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع؟ ففيه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن يكون ظاهرها العموم ومعناها معنى الخصوص، والمعنى: كل أهل الطاعة له قاتنون . والثاني: أن الكفار تسجد ظلالم لله بالغدو والآصال والعشيّات فنسب القنوت إليهم بذلك . والثالث: أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه وجري أحكامه عليه، فذلك دليل على إله كونه؛ ذكرهن ابن الأنباري» .

قال ابن أبي حاتم: الوجه الثاني: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا أسباط، عن مطرف، عن عطية، عن ابن عباس، قال: قاتنون: مصلون» .

الوجه الثاني
الصلاة

(١) في الموطأ ٢/٩٥٠ (كتاب الشعر، باب ما يؤمر به من التعوذ): «وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريناً من الجن يطلبه بشعلة، كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه . فقال له جبريل: أفلا أعلمك كلمات تقولهن، إذا قلتهن طفت شعلته وخرافيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى . فقال جبريل: فقل أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يخرج فيها، وشر ما ذرأ في الأرض، وشر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طاروقاً يطرق بخير يارحم» .

ورود الحديث مرسلأ أيضاً عن كعب الأحبار بعده بقليل ٢/٩٥١ - ٩٥٢ . وجاء التعوذ بكلمات الله التامات بصيغ أخرى في أحاديث صحيحة كافي البخاري ومسلم وغيرهما . وانظر تعليقنا على الحديث في منهاج السنة ٢/٢٩٢ - ٢٩٣ . وانظر أيضاً الأذكار للنووي، ص ١٢١ .

(٢) أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري، النحوي اللغوي الأديب المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٣٢٠؛ فوات الوفيات ١/٥٤٧؛ شذرات الذهب ٤/٢٥٨ - ٢٥٩؛ إنباه الرواة ٢/١٦٩ - ١٧١ (وانظر التعليق)؛ الأعلام ٤/١٠٤ .

قلت : وهذا من جنس وصفها بالسجود له والتسبيح ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] . لكن قد يُقال : فالصلاة صلاة المخلوقات والمؤمنين ، ولم يُرد أن الكافرين يصلون فتكون الآية خاصة . ولهذا حُكي عن ابن عباس أنه قال : هي خاصة .

قال : « والوجه الثالث ، ثم روى بالإسناد المروى عن الحسين بن واقد ، عن الوجه الثالث أبيه ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : كل له قانتون ، قال : مقرّون ^(١) بالعبودية . الإقرار بالعبودية . قال : « روى عن أبي مالك نحوه » .

قلت : وهذا إخبار عما فطروا عليه من الإقرار بأن الله ربهم كما قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٧٢] . فإن هذه الآية بينة في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها ^(٢) : « أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » ^(٣) .

وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم وأنه أنطقهم وأشهدهم ، لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والآية لا تدل عليه .

(١) في الأصل : مقرّدون ، وهو تحريف .

وفي تفسير الطبري : (٥٣٩/٢) : « حدثنا ابن حديد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : كل له قانتون : كل مقر له بالعبودية » .

(٢) في الأصل : عليه .

(٣) ورد هذا الحديث بشامه في « منهاج السنة » ٢٣٤/٢ - ٢٣٥ ، وتكلمت عليه طويلا هناك وذكرت مكانه في البخارى ومسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذى والوطأ وصحيح ابن حبان والسند وغيرها فارجع إليه .

وإنما الذى جاءت به الأحاديث المعروفة أنه استخرجهم وأراهم لآدم، وميّز بين أهل الجنة وأهل النار منهم، فُعرفوا من يومئذ. هذا فيه مأثور من حديث أبي هريرة، رواه الترمذى وغيره بإسناد جيد^(١). وهو أيضاً من حديث عمر بن الخطاب الذى رواه أهل السنن ومالك فى الموطأ^(٢)، وهو يصلح للاعتضاد. وأما إنطاقهم وإشهادهم فروى عن بعض السلف، وقد روى عن أبي^(٣) وابن عباس، وبعضهم رواه مرفوعاً من طريق ابن عباس وغيره. وروى ذلك الحاكم فى صحيحه، لكن هذا ضعيف^(٤). وللحاكم مثل هذا، يروى أحاديث

(١) انظر الترمذى (بشرح ابن العربى) ٩٦/١١ - ٢٠٠ (كتاب التفسير، سورة الأعراف) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح»، وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) الحديث فى: سنن أبي داود ٣١٢/٤ - ٣١٣ (كتاب السنة، باب فى القدر)؛ الموطأ ٨٩٨ - ٨٩٩/٢ (كتاب القدر، باب النهى عن القول بالقدر)؛ الترمذى (بشرح ابن العربى) ١٩٤ - ١٩٦. وقال الترمذى: «هذا حديث حسن»، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم فى هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً.

(٣) روى الطبرى فى تفسيره أثريين موقوفين على أبي بن كعب رضى الله عنه، الأول فى تفسير قوله تعالى: (وأيدهم بروح منه) [سورة النساء: ١٧١]. انظر: التفسير (ط. المعارف) ٤٢١/٩ - ٤٢٢. والثانى فى تفسير هذه الآية من سورة الأعراف. انظر: التفسير ٢٣٨ / ١٣ - ٢٣٩. وقد صحح الأستاذ محمود شاكر إسناده وأشار إلى رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل له فى زياداته على مسند أبيه (انظر المسند - ط. الحلبي - ١٣٥/٥) وإلى نقل الهيثمى له فى مجمع الزوائد ٢٥/٧ وإلى رواية الحاكم له فى المستدرک (٢ / ٣٢٣) مطولاً. كما ذكر أن من رواه: الأجرى فى كتاب الشريعة، ص ٢٠٧؛ ابن عبد البر فى التمهيد، ص ٣٠٧، ابن كثير فى تفسيره (٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤ فى الطبعة التى أرجع إليها)؛ الدر المنثور للسيوطى ١٤٢ / ٣.

(٤) وردت آثار عديدة تذكر إنطاق الله لبنى آدم وإشهادهم على أنفسهم أكثرها موقوف وبعضها مرفوع. وحديث ابن عباس المرفوع رواه أحمد فى مسنده (١٥١/٤) - رقم ٢٤٥٥) ونصه: «حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير - يعنى ابن حازم، عن كلثوم ابن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعنى عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراًها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبيلاً: (قال أأست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا =

موضوعة في صحيحه مثل حديث زريب بن برثملى وهامة بن الهيم^(١) وغير ذلك ، وبسط هذا له موضع آخر .

== عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أتتهلكنا بما فعل البطلون) .

وأورد الطبرى في تفسيره ٢٢٢/١٣ - ٢٥٠ كثيرا من الآثار الواردة في هذا الصدد منها حديث ابن عباس المرفوع (رقم ١٥٣٣٨) وأحاديث أخرى موقوفة عليه (منها الأرقام ١٥٣٣٩ - ١٥٣٤٣ ، ١٥٣٤٧ ، ١٥٣٥٠ ، ١٥٣٦٠ ، ١٥٣٦٢) ومنها حديث عبد الله بن عمرو المرفوع (رقم ١٥٣٥٤) .

وقد صحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله حديث ابن عباس المرفوع في تعليقه على المسند وتكلم عليه (ارجع إلى التعليق) ووافقه الأستاذ محمود شاكر على ذلك وتكلم على سائر الآثار كلاما مفصلا وبين طرقها ومواضع ورودها في كتب السنة وصحح بعضها وضعف بعضها الآخر فارجع إلى تعليقه .

وأشير هنا إلى رأى الطبرى الذى قال بعد أن أورد جميع الآثار في تفسير هذه الآية أن الوجه الأول في تأويلها هو الذى يقول أن الله خاطب ذرية آدم وأشهدهم على أنفسهم : أأست بربكم؟ قالوا : بلى . فقال لهم هو وملأ نكته : شهدنا عليكم .. إلخ . والوجه الثانى هو أن ذلك خبر من الله عن قبل بعض بنى آدم لبعض حين أشهد الله بعضهم على بعض . وقال أصحاب هذا الوجه : معنى قوله : وأشهدهم على أنفسهم : وأشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك .

قال الطبرى : إن الوجه الأول أولى بالصواب لو صح ، ولكنه لم يعلم صحيحا . ثم قال : وإن لم يكن ذلك عنه صحيحا ، فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قبل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : (وأشهدهم على أنفسهم أأست بربكم قالوا بلى شهدنا) ، فكانه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقرؤا فقالوا بلى : - شهدنا عليكم بما أقرتم على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . وانظر أيضا ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره ٢٦٣/٢ - ٢٦٤ .

وقد تكلم ابن تيمية عن هذه الآية وعن حديث : كل مولود يولد فطرته ، كلاما مسهباً استغرق معظم الجزء الأخير من كتاب « موافقة صريح العقول لصحيح المنقول » ، وهو الجزء الذى ما زال مخطوطا في المكتبة التيمورية بدار الكتب (رقم ١٨٢ عقائد) .

(١) حديث زريب بن برثملى رواه ابن عراق الكنانى في « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » ٢٣٩/١ - ٢٤٠ عن ابن عمر رضى الله عنه وأوله : « كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وهو بالقادسية أن سرح نضلة بن جمونة إلى حلوان » وفيه أن نضلة سمع مخاطبا يخاطبه من الجبل فسأله من يكون وهل هو ملك أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله « فانطلق الجبل عن هامة كالرأس الأبيض واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله . قلنا : وعليكم السلام ورحمة الله ، من أنت يرحمك الله؟ قال : أنا زريب بن برثملى وصى العبد الصالح عيسى بن مريم ، أسكنتى هذا الجبل ودعائى بطول البقاء ... ==

لكن كون الخلق مفطورين^(١) على الإقرار بالخالق أمر دل عليه الكتاب والسنة ، وهو معروف بدلائل العقول ، كما قد بُسِطَ في مواضع / وُبَيِّنَ أن الإقرار بالخالق فطري ضروري في جِبِلَّاتِ الناس . لكن من الناس من فسدت فطرته فاحتاج إلى دواء ، بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضرورية ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وهؤلاء يحتاجون إلى النظر ، وهذا الذي عليه جمهور الناس : أن أصل المعرفة قد يقع ضرورياً فطرياً ، وقد يُحتاج فيه إلى النظر والاستدلال .

وكثير من أهل الكلام يقول : إنه لا يجوز أن تقع^(٢) المعرفة ضرورية بل لا تقع إلا بنظر وكسب ، قالوا : لأنها لو وقعت ضرورة لارتفع التكليف والامتحان . ومنهم من ادعى انتفاء ذلك في الواقع ، وهذا ضعيف لأن الامتحان والتكليف الذي جاءت به الرسل كان بأن يعبدوا الله وحده لا يشركون به ؛ إلى هذا دعا عامة الرسل ، ومن كان من الناس جاحداً دَعَوَهُ إلى الاعتراف

== إلخ . وروى الحديث السيوطي في «الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ١/١٧٧-١٨٢ من وجوه عدة وتكلم عنه طويلاً وما ذكره : « قال الخطيب : روى الراسي هذا الحديث المنسكبر ، وابن لهيعة يدلّس عن ضعفاء وسليمان بن أحمد ضعيف » .

وأما حديث هامة بن الهيم فرواه ابن عراق في المرجع السابق ١/٢٣٨ - ٢٣٩ عن ابن عمر : « بينما نحن قعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ، فقال : نفمة الجن وهمتهم من أنت ؟ قال : أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس . قال : وليس بينك وبين إبليس إلا أبوان ؟ قال : نعم .. إلخ » .

وروى الحديث السيوطي في «الآلئ المصنوعة» ١/١٧٤ - ١٧٥ من وجهين وقال : « موضوع . إسحاق بن بشر الكاهلي كذاب وضاع بالافتاق . وأبو سلمة يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم لا يجوز الاحتجاج به . قال العقيلي : وكلا الإسنادين غير ثابت وليس للحديث أصل . قلت : وكذا قال في «الميزان» هو باطل بالإسنادين » .

ولم أجد الحديثين في «مستدرک» الحاكم .

(١) في الأصل : مفطورون .

(٢) في الأصل : أن يقع .

بالصانع: كفرعون ونحوه، مع أنه كان في الباطن عارفاً وإنما جحد ظلماً وعلواً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل: ١٤]، وقال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢] .

وخاتم الرسل دعا الناس إلى الشهادتين، فقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها»^(١). وقال لمعاذ في الحديث الصحيح: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»^(٢).

ولهذا قالت الرسل لقومهم ما أخبر الله تعالى به في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ قَوْمٍ قَبْلَكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُ﴾، إلى قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة إبراهيم: ٩ - ١١].

(١) قال السيوطي في «الجامع الصغير»: «متفق عليه رواه الأربعة عن أبي هريرة وهو متواتر»: والحديث مروي بمعناه عن عدد من الصحابة، وانظر: البخاري ١ / ١٠ (كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة... إلخ)، ١٥ / ٩ (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل من أبى قبول الفرائض)؛ مسلم ٣٩ / ١ (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله).

(٢) الحديث بمعناه في: البخاري ٢ / ١١٩ (كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة)؛ مسلم ٣٧ / ١ - ٣٨ (كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه).

وأيضاً ، فإن المعارف لا بد أن تنتهى إلى مقدمات ضرورية ، وهم لا يؤمرون بتحصيل الحاصل ، بل يؤمرون بالعمل بموجبها ويعلمون أخرى يكتسبونها بها .

وأيضاً ، فإن أكثر الناس غافلون عما فُطروا عليه من العلم ، فيذكرون بالعلم الذى فُطروا عليه ، وأصل الإقرار من هذا الباب ، ولهذا توصف الرسل بأنهم يذكرون ، ويصف الله تعالى آياته بأنها تذكرة وتبصرة ، كما فى قوله : (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) [سورة ق : ٨] .

فإذا كان من المعارف ماهو ضرورى بالاتفاق ، ولم يكن ذلك مانعاً من الأمر والنهى : إما بتذكرة وإما بالاستدلال ، فيؤمر الناس تارة بالتذكرة وتارة بالتبصرة ، ثم يؤمر الناس أن يُقرّوا بما علموه ويشهدوا به فلا يعاندوه ولا يحجده ، / وأكثر الكفار جحدوا ما علموه .

ص ٢٢

والاعتراف بالحق الذى يُعلم والشهادة به والخضوع لصاحبه لا بد منه فى الإيمان ، وإبليس وفرعون وغيرهما كفروا للعناد والاستكبار ، كما ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه .

ولكن الجهمية لما ظنت أن مجرد معرفة القلب هى الإيمان ، أرادوا أن يجعلوا ذلك مكتسباً ، وزعموا أن من كفره الشرع كإبليس وفرعون لم يكن فى قلبه من الإقرار شيء ، كما زعموا أنه يمكن أن يقوم بقلب العبد إيمان تام مع كونه يعادى الله ورسوله ، ويسب الله ورسوله فى الظاهر من غير إكراه^(١) ،

(١) يقول الأشعرى فى « مقالات الإسلاميين » ١/ ١٩٧-١٩٨ : « وزعموا أن الكفر بالله هو الجبل به ، وهذا قول يحكى عن جهم بن صفوان . وزعمت الجهمية أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه أنه لا يكفر بجحده ، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهل فيه ، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا فى القلب دون غيره من الجوارح » .
وأما ابن حزم فيقول فى « الفصل فى الملل والنحل » ٤/ ٢٠٤ أن غلاة المرجئة طائفتان وأن الثانية هى : « الطائفة القائلة إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا نية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية فى دار الإسلام وعبد الصليب وأعلن =

ولهذا كفر وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرها من الأئمة من قال بقولهم^(١)، كما هو مبسوط في مواضعه^(٢).

والمقصود هنا بيان قول من قال من السلف كهكرمة وأبي مالك : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : أى مقرّون له بالعبودية .

قال ابن أبي حاتم : والوجه الرابع ، ثم روى بإسناده المعروف عن الربيع ابن أنس : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ قال : كل له قائم يوم القيامة^(٣).

والخامس : ثم روى بإسناده من حديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن سالم عن سميد بن جبير : ﴿كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ : بقول الإخلاص^(٤).

قلت : وهذا إن أراد به اعترافهم بأنه ربهم وأنهم إذا اضطروا دعوا الله

= التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو كامل الإيمان عند الله عز وجل ولي الله عز وجل من أهل الجنة ، وهذا قول أبي محرز جهنم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي أيام قيامه على نصر بن سيار بخراسان .
وقد تلمذ الجهم على الجعد بن درهم كما اتصل بمقاتل بن سليمان من المرجئة ، وقتل مع الحارث بن سريج بمرو سنة ١٢٨ هـ .

وانظر أيضاً عنه وعن فرقته وآرائهم : مقالات الأشعرى ١/٢١٣ ، ٣١٤ ؛ الملل والنحل ١/٧٩ — ٨١ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٨ — ١٢٩ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦٣ — ٦٤ ؛ الخطط للمقريزي ٢/٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٧ ؛ البدء والتاريخ ٥/١٤٦ ؛ ميزان الاعتدال ١/٩٩٧ ؛ لسان الميزان ٢/١٤٢ — ١٤٣ ؛ الأعلام ٢/١٣٨ — ١٣٩ .
(١) انظر رسالة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل (ضمن مجموعة شذرات البلاتين) ، ص ١٤ وما بعدها .

(٢) انظر مثلاً : التسمينية (ضمن مجموع الفتاوى ، ج ٥) ، ص ٣١ — ٤٠ .

(٣) قال الطبري في تفسيره ٢/٥٣٩ (ط . المعارف) : « وقال آخرون بما حدثني به الثني قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه عن الربيع : قوله : (كل له قانتون) ، قال : كل له قائم يوم القيامة » .

(٤) ذكر الطبري في تفسيره ٦/٤٠٣ (ط . المعارف) في تأويل قوله تعالى : (يا مريم اقنتي لربك) الآية [سورة آل عمران : ٤٣] ما يلي : « وقال آخرون : معناه : أخلصي لربك . ذكر من قال ذلك : حدثني الثني قال : حدثنا الحناني ، قال : حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سميد : (يا مريم اقنتي لربك) ، قال : أخلصي لربك » .

مخلصين له الدين ، فهو من جنس قول عكرمة ، وإلا فالإخلاص الذى أمروا به ، وهو أن يعبدوا الله مخلصين له الدين ، إنما قام به المؤمنون ، وهذا إنما يكون على قول من يزعم أن الآية خاصة ، ولم يذكر ابن أبي حاتم هذا صريحاً عن أحد من السلف إلا أن يتأول على ذلك قول ابن عباس أو قول سميد .

أقوال المفسرين هذا ولم يذكر أبو الفرج هذا عن أحد من السلف ، لم يذكره إلا فيما تقدم عن ابن الأنبارى ، بل قال : « وللمفسرين فى المراد بالقنوت ههنا ثلاثة أقوال : أحدها : أنه الطاعة ، قاله ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقتادة . والثانى : الإفرار بالعبادة ، قاله عكرمة والشدى . والثالث : القيام ، قاله الحسن والربيع . قال : « وفى معنى القيام قولان : أحدهما : أنه القيام له بالشهادة بالعبودية ، والثانى : أنه القيام بين يديه يوم القيامة » .

لكن طائفة من المفسرين ذكروا عن المفسرين قولين كالنعلبي والبغوى وغيرهما . قالوا : واللفظ للبغوى^(١) : « ﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ » قال مجاهد وعطاء الشدى : مطيعون . وقال عكرمة ومقاتل : مقرئون بالعبودية . وقال ابن كيسان : قأمون بالشهادة ، وأصل القنوت القيام ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : أفضل الصلاة طول القنوت » .

هل القنوت خاص أم عام ؟ قال : « واختلفوا فى حكم الآية ، فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص . قال مقاتل : هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة . وعن ابن عباس أنه قال : هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس » .

قال : « وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام فى جميع الخلق ، لأن [لفظ] الكل^(٢) يقتضى الإحاطة بالشىء بحيث لا يشذ منه شىء . ثم سلكوا فى الكفار طريقين ، قال مجاهد : تسجد ظلالم لله عز وجل على كره منهم ، قال تعالى : ﴿ وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ

(١) فى تفسيره معالم التنزيل (بذيل تفسير ابن كثير : ط . المنار) ٢٩٣/١ - ٢٩٤ .

(٢) فى الأصل : لأن الكل . وما أثبتته عن تفسير البغوى .

وَالْآصَالِ ﴿ [سورة الرعد : ١٥] ، وقال السدى : هذا يوم القيامة ، دليله :
﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ﴾ [سورة طه : ١١١] ، وقيل : قانتون :
مذللون مسخرون لما خلقوا له .

تطبيق ابن تيمية

قلت : من قال بالخصوص فإنه قد ينظر إلى سبب الآية ، وهو أنهم قالوا :
اتخذ الله ولدا . وهذا إنما قالوه في الملائكة والأنبياء كاليسوع والعزير ،
فبين سبحانه أن الذين قيل فيهم إنه اتخذهم أولادهم عباد قانتون له ، كما ذكر
في الأنبياء : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ *
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْزُقَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦-٢٨] ،
فإن الضمير في قوله : ﴿ وَقَالُوا ﴾ عائد على المشركين ، وهم إنما قالوا ذلك في الملائكة ،
وأما المسيح وعزير فإنما قال ذلك فيهما أهل الكتاب ، وسياق الآية يبين
ذلك فإنه قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا
أَنْ نَّتَّخِذَ لَهُمْ آتَاةً لَّا تَخْذَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ قَيْدَمَهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾
[سورة الأنبياء : ١٦-٢٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ ، وقوله :
﴿ لَّهُوَ ﴾ قد فُسر بالولد والمرأة وفسر باللعب ، فإن هذه الآية نظير قوله :
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
الآية [الدخان : ٣٨ ، ٣٩] ، ونظير قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية [سورة ص : ٢٧] ، ونظير
قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ
لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٥] ، ومثله قوله تعالى
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ الآية [سورة المؤمنون : ١١٥] .

فقوله ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٦]

فنزّه نفسه أن يكون فعله كفعل اللاعب العايب الذى لا يقصد غاية محمودة يريد سوق الوسائل إليها ، فإن هذا فعل الجاد الذى يجيء بالحق ، كما قال إبراهيم لما آتاه الله رشده من قبل التوراة والقرآن : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٥٢-٥٦] ، فهو لما قال ما قال : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ [الآية : ٥٥] ، فالذى يأتى بالحق خلاف اللاعب ، فإنه يقصد أن يخبر بصدق ويأمر بما ينفع ، وهو العدل ، بخلاف اللاعب العايب فإنه ليس مقصوده هذا ، بل اللهو واللعب .

ولهذا قد يُشتم الإنسان على وجه اللعب ويفعل به أفعال منكرة فلا ينكر ذلك كما ينكره من الجاد الحق ، ولهذا كان عامة اللهو باطلا ليس له منفعة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبة امرأته فإيهن من الحق »^(١) . / فالحق ضد الباطل ، واللهو باطل ، ولهذا تنزّه سبحانه عن أن يخلقهما باطلا .

ص ٢٣

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ فاللاعب صاحب باطل لا صاحب حق . ولهذا لما دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده الأسود بن سريع ينشده فأسكته مرتين أو ثلاثا ، قال : « من هذا الذى تسكتنى له ؟ قال : هذا رجل لا يحب الباطل »^(٢) ، فإن عمر كان لا يحبه ولا يصبر على صاحبه ، والنبي

(١) هو جزء من حديث رواه النسائي (بشرح السيوطي) ٦ / ٢٢٢ - ٢٢٣ (كتاب الخيل ، باب تأديب الرجل فرسه) عن عتبة بن عامر وأوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ... » وفيه : « وليس اللهو إلا في ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته امرأته ورميه بقوسه ونبله ، ومن ترك الرى بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها ، أو قال : كفر بها » .

(٢) هذا الحديث مروي بمعناه في المسند ٣ / ٤٣٥ : المستدرک للحاكم ٣ / ٦١٥ =

صلى الله عليه وسلم كان أحلم وأصبر من عمر ، فهو أيضا لا يحب الباطل ، لكنه يصبر ويحتمل منه ما لم يكن محرما ، ولكن هو لا منفعة فيه لفاعله فإذا فعله احتمله عليه ؛ فهذا بيان قول من فسر اللاعب بالعبث وله نظائر .

والذين فُسِّروا بالولد والزوجة قالوا ذلك لأن من المشركين من جعل لله ولداً وصاحبة ، وقالوا : إنه ضاهى الحق ، وهم يسمون المرأة لهوا والولد لهواً ، وقال ابن قتيبة^(١) : « أصل اللهو الجماع وكُنِيَ عنه [باللهو]^(٢) كما كُنِيَ عنه بالسر » .

والنبي صلى الله عليه وسلم قد جعل ملاعبة الرجل امرأته من اللهو الذى ليس بباطل ، والربُّ تعالى منزّه عن اللعب مطلقاً ، فإن الذى يلاعب امرأته إنما يفعل ذلك^(٣) ذلك لحاجته إلى المرأة ، وحكمة ذلك بقاء النسل ، والله تعالى منزّه عن الولادة ، فتضمنت هذه الآية تنزيهه عن الخلق عبثاً لا الحكمة ، فإن ذلك لعب وعبث ، وتضمنت تنزيهه عن أن يتخذ ما يلهى به كالمرأة والولد ، ولهذا يبين بعد ذلك أنه إنما خلق ذلك بالحق وأنه منزّه عن الأولاد ، وقال : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ، واللهو كله باطل فى حق الله تعالى ، وإن كان بعضه من الحق فى حق العباد .

وهو سبحانه وتعالى قال : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ، فإن ما يلهو به اللاهى يكون عنده لا يكون بعيداً عنه ، ونحن

== وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ؛ الحب الطبرى فى الرياض النضرة (ط . الحلبي) ١ / ٢٧٣ ؛ مجمع الزوائد ٩ / ٦٦ . ورويت قطعة من هذا الحديث فى : المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٢٤ ؛ الإصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البر فى ترجمة الأسود بن سريع ؛ طبقات ابن سعد ٧ / ٤٢ .

(١) فى « تأويل مشكل القرآن » ص ١٢٤ .

(٢) باللهو : زيادة من تأويل مشكل القرآن .

(٣) فى الأصل : إنما جعل ذلك .

خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فكيف يكون هذا العبأ ؟ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ قَيْدَمَةً فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ آلُؤِيلٌ مِّمَّا تَصِفُونَ ﴾ .
ثم قال : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾

[سورة الأنبياء : ١٩ ، ٢٠] ؛ ثم رد على من أشرك به ؛ ثم حكي قول المشركين الذين قالوا اتخذ الرحمن ولداً ، قال سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ تَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٦ - ٢٩] .
فهذه صفة الملائكة ، والمسيح والمزير ونحوها أيضاً هم ^(١) بهذه الصفة فإنهم عباد مكرمون ، قال تعالى عن المسيح : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٩] ، وقال : ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة النساء : ١٧٢] .

فلما قال تعالى - في البقرة - : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ، والذين قالوا اتخذ الله ولداً جعلوه إماماً من الملائكة وإماماً من الآدميين كالْمسيح والمزير . فقله تعالى : ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ؛ يبين أن هؤلاء الذين قيل فيهم إنهم أولاد هم عباد له مطيعون كما ذكر في « الأنبياء » وغيرها ، وكما قال : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَخْوِيلًا ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦ ، ٥٧]
فبين أن هؤلاء المعبودين هم يعبدون الله تعالى . ومثله قوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ

آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿ [سورة الإسراء : ٤٢]
على أصح القولين .

القنوت عند
ابن تيمية عام

فهذا مأخذ من جعل الآية خاصة . لكن يُقال : الآية لفظها عام ، والمعموم
مقصود منها ، كما هو مقصود من قوله سبحانه : ﴿ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ ثم قال : ﴿ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ . فلما كان قوله : ﴿ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ عاماً^(١) تبين أن الجميع مملوك له ، وللملوك لا يكون
ولداً ، وتبين^(٢) أيضاً أن كلهم له قانتون مطيعون عابدون ، والعابد المطيع
لا يكون إلا مملوكاً ، لا يكون ولداً .

وأيضاً فإنه قد ذكر القنوت في سورة « الروم » مجرداً عن الولد ، فقال
تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [سورة الروم : ٢٥] ، ثم قال :
﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الروم : ٢٦ ، ٢٧] ، فبين أن له
ما في السماوات والأرض وأن كلا له قانتون ، وتخصيص هذا بمن قيل إنه ولد
فاسد ظاهر الفساد ، وكذلك تخصيصه بالمؤمنين ، فإن هذا مذكور لبيان عموم
الملك والاعتقاد وخضوع الخلق كلها له ، فلو خص به المؤمنون لكان ذلك
عكس المقصود .

وهو مثل قوله : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣] ، فهو سبحانه يدعوهم إلى

(١) في الأصل : عام .

(٢) في الأصل : بين .

يدعوم إلى دين الإسلام ، وبين أن كل ما في السماوات والأرض مسلم لله :
 إما طوعاً وإما كرهاً ؛ وإذا كان لابد من أحدهما فالإسلام له طوعاً هو الذى
 ينفع العبد ، فلا يجوز أن يتخذ غير هذا الدين ديناً ، فإنه ذكر هذا فى تقرير أن
 كل دين سوى الإسلام باطل فقال : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ، وذكر
 بعد ذلك ما يصير به العبد مسلماً مؤمناً فقال : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
 عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
 وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
 وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨٤ ، ٨٥] : ذكر عبادة
 الله وحده والإيمان برسله كلهم ، كما ذكر فى سورة البقرة ، قال أبو العالية : قوله
 ﴿ فَوَرِّبْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩٢ ، ٩٣]
 قال : خصلتان يُسأل عنهما كل أحد : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ ^(١)
 وكذلك ذكر سجود من فى السماوات والأرض له طوعاً وكرهاً ؟ والسجود
 هو الخضوع وهو القنوت .

ص ٢٤ / وأيضاً / فإذا كانت الصيغة عامة لم يجوز أن يراد بها الخصوص إلا مع
 ما يُبين ذلك ، فأما إذا جُرِّدت عن الخصوصات فإنها لا تكون إلا عامة ، والآية
 عامة عموماً مجرداً - بل مؤكداً - بما يدل على العموم . وأما تخصيص المؤمنين
 فهذا يكون إذا مُدحوا بذلك أو ذُكر جزاء الآخرة ، وليس المقصود هنا مدح
 المؤمنين بطاعته ، وإنما المقصود بيان قدرته وملكوته وخضوع كل شيء له ، وأنه
 مع هذا وهذا يمتنع أن يكون له ولد مع خضوع كل شيء له وقنوته له .
 ويقال فى الركوع من التسبيح المأثور فيه : سبحان من تواضع كل شيء لعظمته ،
 سبحان من ذل كل شيء لعزته ، سبحان من استسلم كل شيء لقدرته .

(١) هذا الأثر بمعنى حديث رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : الدر المنثور
 ١٠٦/٤ . وأخرجه الطبري عن أبي العالية فى تفسيره ٤٦/١٤ (ط . بولاق) .

أنواع القنوت

الذى يسم

المخلوقات

الأول

وعلى هذا فالقنوت الذى يعم المخلوقات أنواع :

أحدها: طاعة كل شيء لمشيئته وقدرته وخلقته ، فإنه لا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته وملكه ، بل هو مُدَبِّرٌ مُعَبَّدٌ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ ، ولو تخيل إليه فى نفسه أنه لا ربَّ له ، وأنه يقدر أن يخرج عن ملك الرب ، فهذا من جنس ما يتخيل لسكران ، والنائم المأسور المقهور ، والجنون المربوط بالأقياد والسلاسل ، بل نفوذ مشيئة الرب وقدرته فى المستكبرين عن عبادته أعظم من نفوذ أمر الأسرى أسيره ، والسيد فى مملوكه ، وقبم المارستان فى الجنون بكثيرٍ كثير .

هذا متوجه على قول أهل السنة الذين يقولون : لا يكون فى ملكه إلا ما يشاء ، فليس لأحد خروج عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خُطَّ له فى اللوح المسطور ؛ بخلاف قول القدرية ، فإن العصاة على قولهم خرجوا عن مشيئة وقدرته وحكمه وسلطانه وخلقته ، فليسوا قانتين لا لأمره الشرعى ولا لأمره القدرى الكونى ؛ وأما أهل السنة فيقولون إنهم قانتون لمشيئته وحكمه وأمره الكونى كما تقدم .

وعلى هذا الوجه فالقنات قد لا يشعر بقنوته ، فإن المراد بقنوته كونه مُدَبَّرًا مُصَرَّفًا تحت مشيئة الرب من غير امتناع منه بوجه من الوجوه ، وهذا شامل للجمادات والحيوانات وكل شيء . قال تعالى : ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [سورة هود : ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة يس : ٨٣] .

النوع الثانى من القنوت : هو ما يشعر به القانت ، وهو اعترافهم كلهم الثانى بأنهم مخلوقون مربوبون وأنه ربهم ، كما تقدم .

الثالث : أنهم يضطرون إليه وقت حوائجهم فيسألونه ويخضعون له ، وإن كانوا إذا أجابهم أعرضوا عنه . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ

الثالث

دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ
يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبٍ مِّمَّهِ ﴿ [سورة يونس : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ
الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ائْتَرَضْتُمْ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٦٧] . وهو أخبر أنهم كلهم
قانتون ، فإذا قنتوا له فدعوه وتضرعوا / إليه عند حاجتهم كانوا قانتين له ،
وإن كان إذا كشف الضر عنهم نسوا ما كانوا يدعون إليه وجعلوا
له أنداداً .

ط ٢٤

الرابع : أنهم كلهم لابد لهم من القنوت والطاعة في كثير من أوامره ،
وإن عصوه في البعض ، وإن كانوا لا يقصدون بذلك طاعته ، بل يُسلمون له
ويسجدون طوعاً وكرهاً . وذلك أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب بالعدل ،
فلا صلاح لأهل الأرض في شيء من أمورهم إلا به ، ولا يستطيع أحد أن
يعيش في العالم مع خروجه عن جميع أنواعه ، بل لابد من دخوله في شيء من
أنواع العدل ، حتى قطاع الطريق لابد لهم فيما بينهم من قانون يتفقون عليه ،
ولو أراد واحد منهم أن يأخذ المال كله لم يمكنه ، وأظلم الناس وأقدرهم
لا يمكنه فعل كل ما يريد ، بل لابد من أعوان يريد أرضاءهم ومن أعداء
يخاف تسلطهم ، ففي قلبه رغبة ورهبة تلجئه إلى أن يلتزم من العدل الذي أمر
الله تعالى به ما لا يريد فليسلم الله ويقنت له وإن كان كارهاً . وهو سبحانه قال :
﴿ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ ، والقنوت العام يراد به الخضوع والاستسلام
والانقياد ، وإن كان في الباطن كارهاً ، كطاعة المنافقين : هم خاضعون للمؤمنين
مطيعون لهم في الظاهر ، وإن كانوا يكرهون هذه الطاعة

الرابع

الخامس : خضوعهم لجزائه لهم في الدنيا والآخرة ، كما ذكر من ذكر أنهم
قانتون يوم القيامة ، وهو سبحانه قد يجرى الناس في الدنيا فيهلكهم وينتقم منهم ،

الخامس

كما أهلك قوم نوح وعاداً وحموداً وفرعون فكانوا خاضعين منقادين لجزائه وعقابه قانتين له كرها .

والجزاء يكون في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة ، وهو سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت ، وهو قائم بالقسط ، والجميع مستسلمون لحكمه ، قانتون له في جزائهم على أعمالهم ، والمصابب التي يصيبهم في الدنيا جزاء لهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَبِمَنْ هُوَ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَبِمَنْ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] .

فهذه خمسة أنواع : قنوتهم خلقه وحكمه وأمره قدراً ، واعترافهم بربوبيته ، واضطرارهم إلى مسألته والرغبة إليه ، ودخولهم فيما يأمر به وإن كانوا كارهين ، وجزاءهم على أعمالهم . ودخولهم فيما يأمر به مع الكراهة يدخل فيه المنافق والمعطى للجزية عن يده وهو صاغر ، والذي يسلم أولاً رغبة ورهبة ، فالقنوت شامل داخل للجميع ، لكن المؤمن يقنت له طوعاً وبغيره يقنت له كرهاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة الرعد : ١٥] .

﴿فصل﴾

الكلام عن
السجود

والسجود من جنس القنوت ، فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل ، وكل مخلوق فقد تواضع / لعظمته وذل لعزته من ٢٥ واستسلم لقدرته ، ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ، ووضع جبهة في رأس مدور على التراب ، فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان ، ومن الأمم من يركع ولا يسجد ، وذلك سجودها

كما قال تعالى : ﴿ اَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ [سورة البقرة : ٥٨] ،
 وإنما قيل ادخلوه رُكْعًا . ومنهم من يسجد على جنب كاليهود ، فالسجود اسم
 جنس ، ولكن لما شاع ^(١) سجود الآدميين المسلمين صار كثير من الناس يظن
 أن هذا هو سجود كل أحد كما في لفظ « القنوت » .

وكذلك لفظ « الصلاة » لما كان المسلمون يصلون الصلاة للعروفة ، صار
 يظن من يظن أن كل من صلى فهكذا يصلي ، حتى صار بعض أهل الكتاب
 ينفرون من قولنا : إن الله يصلي ، ويترهونه عن ذلك ، فإنهم لم يعرفوا من
 لفظ « الصلاة » إلا دعاء المصلي لغيره وخضوعه له ، ولا ريب أن الله منزّه عن ذلك ،
 لكن ليست هذه صلاته سبحانه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
 وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] .

وهو سبحانه قد ذكر سجود الظل في غير موضع كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا
 إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّيْ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا
 لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ
 مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾
 [سورة الرعد : ١٥] ، ومعلوم أن الظل إذا سجد لم يسجد على سبعة أعضاء :
 يضع رأسه ويديه ثم يرفع رأسه ويديه ، بل سجوده ذله وخضوعه .

وقد سَمَّى الله تعالى المنحني ساجدا وإن لم يصل إلى الأرض في قوله : ﴿ وَإِذْ
 قُلْنَا اَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ
 سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾
 [سورة البقرة : ٥٨] ، وفي الأعراف : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ
 تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى :
 (وادخلوا الباب
 سجدا) الآية

الْقَرْيَةِ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
نَفْعَزْ لَكُمْ خُطَيْبَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [سورة الأعراف : ١٦١] .
فهنا لما أمرهم بالسكنى ، وهى المقام ، قال : ﴿ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾
ولم يحتج أن يقال : رغداً ، فإن الساكن المقيم مطمئن ، وهناك قال : ﴿ ادْخُلُوا
هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ قال : ﴿ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ ، فبين أنهم يأكلون
رغداً فيتهنون ^(١) لا يخافون الخروج . وبسط الكلام فى البقرة وذكر الدخول
لأنه قبل السكنى . ولهذا قال : ﴿ رَغَدًا ﴾ ، وقال : ﴿ وَسَنَزِيدُ ﴾ وقال : ﴿ قَبْدَلِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا
مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٥٩] .

وقدّم السجود لأنه أهم . وقد اختلفوا فى هذا السجود ، فقيل : هو
الركوع ، كما روى ابن أبى حاتم من وجهين ثابتين عن سفيان الثورى ، عن
الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله :
﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ قال : « رُكْعًا من باب صغير ، فدخلوا من قِبَلِ
أستاهم ، وقالوا : حنطة » ^(٢) . وقيل : « بل هو السجود بالأرض » ^(٣) . ثم قيل
ما رواه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس ، قال : « سُجَّدًا ، قال : كان سجود
أحدهم على خده » . وروى عن وهب بن منبّه قال : « إذا دخلتموه فاسجدوا شكرا
لله » فكان صاحب هذا القول جعل السجود بعد الدخول ، ومن قال بهذا
أو قال بأنهم أمروا بالركوع فهو يقول : دخولهم وهم سجد بالأرض فيه

(١) يتهنون : يخفف يتهأون . فى اللسان : هنأت الطعام أى تهنأت به ... وفى المثل :
تهنأ فلان بكذا وتمراً وتسمن وتزبن بمعنى واحد . . . وأكلنا من هذا الطعام حتى هتننا منه
أى شعبنا . . . وكل أمر يأتيك من غير تعب فهو هنىء .

(٢) انظر : تفسير الطبرى ٢ / ١٠٤ (الآثار ١٠٠٦ - ١٠٠٨) ، ١١٣ - ١١٤
(الآثار ١٠٢٤ ، ١٠٢٥) ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ ؛ ابن كثير ١ / ٩٩ .
(٣) انظر تفسير الطبرى ٢ / ١١٥ (الأثر ١٠٣٢) .

ط ٢٥ صعوبة / وقد يؤذى أحدهم ولكن هو ممكن ، فإن الإنسان يمكنه حال السجود أن يزحف إذا كانت الأرض لا تؤذيه .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه : « قال لهم : ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة »^(١) .

فهذا هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما في ذلك أقوالاً تخالف هذا ، فقال خصيف عن عكرمة عن ابن عباس : « فدخلوا على شق » . وروى السدي عن أبي سعد الأزدي^(٢) عن أبي الكنود عن ابن مسعود : « فدخلوا مقنعي رؤوسهم »^(٣) .

قال ابن أبي حاتم : اختلف التابعون فروى عن مجاهد نحو قول عكرمة عن ابن عباس وروى عن السدي نحو ما روى عن ابن مسعود وعن مقاتل أنهم دخلوا منكفتين^(٤) وأما القول^(٥) فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : حبة في شعره ، وإذا ثقت الحبة وأدخلت فيها الشعرة فإنه يقال : حبة في

(١) الحديث بمعناه في : البخارى ٦ / ١٨ - ١٩ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) ؛ مسلم ٨ / ٢٣٧ - ٢٣٨ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) ؛ الترمذى (بشرح ابن العربي) ١١ / ٧٧ - ٧٩ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٥ / ٢٤٣ (رقم ٥٩٠٨) ، وقال الملق رحمه الله : « وهو في جامع المسانيد والسنن ٧ / ٣٩٠ » . وتكلم ابن كثير عن الحديث بالتفصيل في تفسيره ١ / ٩٩ . وانظر : تفسير الطبرى ٢ / ١١٢ - ١١٣ (وكلام الشيخ أحمد شاكر في التعليق) ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ . (٢) في تفسير الطبرى ١ / ١١٣ : « عن أبي سعيد » وهو أبو سعد الأزدي الكوفي قارئ الأزدي . قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » ٢ / ٢٤٦ : ويقال أبو سعيد . (٣) جاء هذا القول في تفسير الطبرى ٢ / ١١٤ - ١١٥ في أثرين الأول عن ابن عباس والثاني عن عكرمة ؛ وفي الدر المنثور ١ / ٧١ عن ابن مسعود .

(٤) في الأصل رسمت الكلمة « ملتفتين » ورجعت أن يكون الصواب ما أثبتته . وعلى الكلمة إشارة إلى الهامش حيث كتبت كلمة « منكبين » وعليها حرف « خ » لإشارة إلى نسخة أخرى . (٥) أى : وأما قولهم .

شعرة ، ويقال : شعرة في حبة ، وهذا معنى ما رواه السدي عن مُرّة عن ابن مسعود أنه قال : إنهم قالوا : هطى سمقاناً أزره مزبا « وهي بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء ^(١) ، فذلك قوله تعالى : ﴿ قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ . وكذلك رواه السدي عن أبي سعد الأزدي ، عن أبي الكنود ، عن ابن مسعود ، وهذا موافق لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم . لكن النبي صلى الله عليه وسلم إنما تكلم بالعربية ، وهذا اللفظ أخذه ابن مسعود عن أهل الكتاب ؛ وهذا أصح من قول ابن عباس أنهم قالوا : حنطة ، مع أن هذا مروي عن غير واحد .

قال ابن أبي حاتم : ورؤى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك والحسن والربيع ويحيى بن رافع نحو ذلك ، لكن قد يقال : الحبة هي الحنطة ، وهم لم يقولوا بالعربية بل بلسانهم ، وهم إذا قالوا بلسانهم ما معناه : حبة حنطة : جاز أن يقال : حنطة . وحديث ابن مسعود وقد ذكر أنهم قالوا : حبة حنطة ، فلا يكون في القول خلاف .

وأبو الفرج ذكر خمسة أقوال وهي ترجع إلى هذا . ذكر الحديث المرفوع ، والثاني حنطة ، والثالث أنهم قالوا : حبة حنطة حمراء فيها شعرة سوداء - قاله ابن مسعود ، والرابع كذلك إلا أنهم قالوا مثقوبة - قاله السدي عن أشياخه .

قلت : كلاهما رواه السدي عن ابن مسعود وهما قول واحد .

قال : والخامس أنهم قالوا : استقلاباً ، قاله أبو صالح .

(١) في الأصل رسمت البارة العبرية تطن سمعاناً ارنه مزبا . وسترده كلمة سمقاناً بعد قليل مرة أخرى . وقد ورد هذا الأثر في تفسير الطبري ٢ / ١١٤ (رقم ١٠٢٩) ؛ ابن كثير ١ / ٩٩ ؛ الدر المنثور ١ / ٧١ . وانظر تفسير القرطبي ١ / ٤١١ ؛ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ص . ٥٥ .

قلت: هذا الذى ذكره ابن مسعود بلسانهم «سمقانا»^(١) وقد فسر به بذلك.

قال: الأقوال كلها واحدة بخلاف صفة الدخول، فإن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم، وفي لفظ: على أوراكمهم، والمعنى واحد، وما نقل خلاف هذا فإنما أخذ عن أهل الكتاب، وقد كان يؤخذ عنهم الحق والباطل. وقول ابن مسعود: مقنعي رؤوسهم، لا يناقض الزحف على أستاههم. وابن عباس قال: يزحفون على أستاههم، كالرفوع، وقال: قيل: ادخلوا ركعاً، فلو جزمنا أن هذا مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم لجزمنا بأن الله أمرهم بالركوع، لكن ظاهر القرآن هو السجود، والسجود المطلق هو السجود المعروف، وكون الباب جُعل صغيراً إنما يكون لمن يُكره على الدخول منه ليجتاج أن ينحني، وهؤلاء قصدت طاعتهم فأمرُوا بالخضوع لله والاستغفار، فدخولهم سجداً هو خضوع لله وقولهم: حطه، أى احطط عنا خطايانا، هو استغفارهم، كما أخبر الله تعالى أن داود خَرَّ راكعاً وأُتاب^(٢)، وكما شرع للمسلمين أن يستغفروا في سجودهم.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّةَ وَجِلِّهِ، أوله وآخره، علانيته وسره»^(٣). وكان أيضاً يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لأحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٤). وكان يقول في

(١) في الأصل سمقانا وعليها إشارة إلى الهامش حيث كتب «سمقانا» وعليها حرف «خ» أى في نسخة أخرى.

(٢) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة ص: (... وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأُتاب).

(٣) الحديث في: مسلم ٥٠/٢ (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود).

(٤) الحديث في مسلم ٥١/٢ (الكتاب والباب السابقان) عن عائشة رضى الله عنها قالت: «فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائض فالتصت فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في السجدة وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم أعوذ برضاك من سخطك .. الحديث».

ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ؛ يتأول القرآن^(١) .
وثبت في الصحيح لمسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا الدعاء »^(٢) . وفي الصحيح
أيضاً لمسلم عن ابن عباس قال : كشف النبي صلى الله عليه وسلم الستارة والناس
صفوف خلف أبي بكر فقال : « يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة
إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو
ساجداً . فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن
أن يستجاب لكم »^(٣) .

ففي هذين الحديثين أنه خص السجود بالأمر بالدعاء فيه . ولهذا كان من
أهل العلم من يكره الدعاء في الركوع دون السجود .

وحينئذ فأمرهم بالاستغفار وقولهم حِطَّة في السجود أشبه ، فلم يثبت لنا إلى
الآن أن الركوع يُسمى سجوداً بخلاف العكس ، فإنه قال في حق داود : ﴿ وَخَرَّ
رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [سورة مريم : ٢٤] . وقد ثبت بالنص الصحيح واتفاق الناس
أن داود سجد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سجدها داود توبة ونحن
نسجدها شكرًا »^(٤) . وفي صحيح مسلم عنه عن ابن عباس قال : « نبيكم ممن أمر أن
يَقْتَدِيَ به ، سجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(٥) . وفي صحيح

(١) الحديث في : البخارى ١٥٩/٢ (كتاب الصلاة ، باب التسييح والدعاء في السجود) ؛
مسلم ٥٠ / ٢ .

(٢) الحديث في مسلم ٤٩ / ٢ - ٥٠ .

(٣) الحديث في مسلم ٤٨ / ٢ وفيه .. فقال : أيها الناس (كتاب الصلاة ، باب النهي
عن قراءة القرآن في الركوع والسجود) .

(٤) قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة مريم بعد أن أورد الحديث : « تفرد
بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات » .

(٥) الحديث في البخارى ١٦١ / ٤ (كتاب الأنبياء ، باب واذكر عبدنا داود) ،
١٢٤ / ٦ (كتاب التفسير ، سورة مريم) : نصه : « عن مجاهد قلت لابن عباس : أسجدق
من ؟ فقرأ : (ومن ذريته داود وسليمان) حتى أتى (فبهدايم اقتده) فقال : نبيكم صلى الله
= (٣ جامع الرسائل - ١)

مسلم عنه أيضاً قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها »^(١) وفي الترمذى وغيره عن ابن عباس قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى رأيتنى الليلة وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة ، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى ، فسمعتها وهى تقول : اللهم اكتب لى بها عندك أجراً ، وضع عنى بها وزراً ، واجعلها لى عندك ذخراً ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود ؛ فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدة ص ثم سجد ، فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل من قول الشجرة »^(٢) .

والآثار عن السلف متواترة بأن داود سجد ، فكل ساجد راكم ، وليس كل راكم ساجداً ، فإنه إذا سجد من قيام انحنى انحناء الراكع وزاد فإنه يصير ساجداً ، ولو صلى قاعداً أيضاً انحنى انحناء الركوع وزاد فإنه يصير ساجداً ، فالساجد راكم وزيادة ، فلهذا جاز أن يُسمى راکماً وأن يجعل الركوع نوعين : ركوعاً خفيفاً ، / وركوعاً تاماً ، فالقيام هو السجود ، بخلاف لفظ السجود فإنه إنما يستعمل فى غاية الذل والخضوع ، وهذه حال الساجد لا الراكع .

ظ ٢٦

عليه وسلم من أمر أن يقتدى بهم . ولم يذكر النابلسى فى ذخائر الموارث ٢/ ٧٠ أنه فى غير البخارى ؛ وقال الشوكانى فى نيل الأوطار ٣ / ١٢٠ إن ابن خزيمة رواه .

(١) الحديث فى البخارى ٢/ ٤٠ (كتاب الجمعة ، باب ما جاء فى سجود القرآن وسنتها) : « عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ص ليس من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » . وهو مروي فيه أيضاً ٤ / ١٦١ (كتاب الأنبياء ، باب واذكر عبدنا داود) . وقال النابلسى فى « ذخائر الموارث » ٢ / ٤٩ : إن الحديث فى البخارى فى الموضوعين السابقين وفى سنن أبى داود فى الصلاة عن موسى بن إسماعيل وفى الترمذى فيه عن ابن أبى عمر وفى النسائى فيه عن إبراهيم بن الحسن المقسى . ولم يذكر أنه فى مسلم . وقد ورد الحديث فى المسند (ط . المعارف) ٤ / ١٨٠ (رقم ٢٥٢١) ، ١٣١/ ٥ (رقم ٣٨٧) ولم يذكر المعلق رحمه الله أنه فى مسلم ، وكذا الشوكانى فى نيل الأوطار ٣ / ١١٩ .

(٢) ذكر الحديث ابن كثير فى تفسيره وقال : « رواه الترمذى عن قتيبة ، وابن ماجه عن أبى بكر بن خالد ، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » . والحديث فى : الترمذى (بشرح ابن العربى) ٣/ ٦٠ (كتاب الصلاة ، باب ما يقول فى سجود القرآن) ؛ سنن ابن ماجه ١/ ٣٣٤ (كتاب إقامة الصلاة ، باب سجود القرآن) .

لكن ليس من شرط السجود مطلقاً أن يصل إلى الأرض ، فقد ثبت في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي على راحلته قبل أى وجه توجّهت به ، ويؤثر عليها ، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة^(١) .

وقد انفق المسلمون على أن المسافر الراكب يتطوع على راحلته ويجعل سجوده أخفض من ركوعه وإن كان لا يسجد على مستقرّ ، وكذلك الخائف ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٩] يصلي إلى القبلة وإلى غير القبلة ، ويومئ بالركوع والسجود ولا يصل إلى الأرض .

فعلّم أن الهيئة المأمور بها في السجود على الأرض وعلى سبعة أعضاء هي أكمل سجود ابن آدم ، وله سجود لا يسجد فيه على الأرض ولا على سبعة ، بل يخفض فيه رأسه أكثر من خفض الركوع ، ولهذا كان عند جمهور العلماء لو ركع في سجود التلاوة بدلاً عن السجود لم يُجزّره ، ولكن إذا كانت السجدة في آخر السورة فله أن يفعل كما ذكره ابن مسعود أنه يكتفي بسجود الصلاة فإنه ليس بينه وبينه إلا الركوع ، وهذا ظاهر مذهب أحمد ومذهب أبي حنيفة وغيرهما ، لكن قيل : إنه جعل الركوع مكان السجود ، والصحيح أنه إنما جعل سجود الصلاة هو المجزئ كما لو قرأ ، فإن الركوع عمل فيه فلم يجعل فصلاً ، لاسيما وهو مقدمة للسجود ، ومن الناس من قال في قصة داود إنه خرّ ساجداً بعد ما كان راكعاً . وذكر أن الحسين بن الفضل قال لأبي عبد الله بن طاهر عن قوله : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ [سورة س : ٢٤] ، هل يقال للراكع : خرّ ؟ قال : لا ، ومعناه نخر بعد ما كان راكعاً ، أى سجد .

(١) انظر ما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار : باب صلاه الفرض على الراحلة إلا لعنر ٢ / ١٤٨ - ١٥٠ ؛ باب تطوع المسافر على مركوبه حيث توجه به ٢ / ١٨٢ - ١٨٣ ؛ باب أن الوتر سنة مؤكدة وأنه جائز على الراحلة ٣ / ٣٥ - ٣٧ .

وهذا قول ضعيف ، والقرآن إنما فيه : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ لم يقل : خر بعد ما كان راكعاً ، ولا كان داود حين تحاكموا إليه راكعاً ، بل كان قاعداً معتدلاً أو قائماً خفراً ساجداً ، وسؤال ابن طاهر إنما يتوجه إذا أريد بالركوع انحناء القائم كركوع الصلاة ، وهذا لا يقال فيه خراً .

والمراد هنا السجود بالسنة واتفاق العلماء ، فالمراد خراً ساجداً ، وسمّاه ركوعاً لأن كل ساجد راكع لا سيما إذا كان قائماً ، وسجود التلاوة من قيام أفضل ، ولعل داود سجد من قيام ، وقيل : خر راكعاً ليبين أن سجوده كان من قيام وهو أكمل ، ولفظ « خراً » يدل على أنه وصل إلى الأرض فجمع له معنى السجود والركوع ، والسجود عبادة تُفعل مجردة عن الصلاة كسجود الشجرة وسجود داود وسجود التلاوة والشكر وسجود الآيات ^(١) وغير ذلك ، وهل يشترط له شروط الصلاة ؟ على قولين ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه قال : « كنت في المسجد حين وجبت الشمس ، فقال : يا أبا ذر تدري أين تذهب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي الله عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها : ارجعي من حيث جئت ، فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها . ثم قرأ : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [سورة يس : ٣٨] » ^(٢) .

ص ٢٧

(١) في سنن أبي داود ٤٢٥/١ (كتاب الصلاة ، باب السجود عند الآيات) : « عن عكرمة قال : قيل لابن عباس : ماتت فلانة ، بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فخر ساجداً ، فقيل له : تسجد هذه الساعة ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم آية فاسجدوا ، وأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ » .
(٢) الحديث بمعناه في : البخارى ٩ / ١٢٥ (كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء) ؟ مسلم ١ / ٩٦ (كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان) ؟ وانظر الدر المنثور ٥ / ٢٦٣ .

فقد أخبر في هذا الحديث الصحيح بسجود الشمس إذا غربت واستندائها ، وكذلك قال أبو العالية وغيره . قال أبو العالية : مافى السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيّب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته . ومعلوم أن الشمس لا تنزل في الفلك كما أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٣] فهي لا تنزل تسبح في الفلك ، وهي تسجد لله وتستأذنه كل ليلة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي تسجد سجوداً يناسبها ، وتخضع له وتخضع ، كما يخضع ويخضع كل ساجد من الملائكة والجن والإنس .

وكذلك قوله : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ [سورة الدخان : ٢٩] . بكاء كل شيء بحسبه ، قد يكون خشية لله ، وقد يكون حزناً على فراق المؤمن . روى ابن أبي حاتم ، عن ابن وهب ، أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قال : عمرو ، يعني ابن دينار : إني ليلة أطوف بالبيت ، إذ سمعت حنين رجل بين الأستار والكعبة وبكائه وتضرعه ، فوقفت لأعرفه ، فذهب ليل وجاء ليل وهو كذلك حتى كاد يسفر فأنكشف الستور عنه ، فإذا هو طاووس رضى الله عنه ، فقال : من هذا ، عمرو ؟ قلت : نعم أمتع الله بك ، قال : متى وقفت ههنا ؟ ، قال : قلت : منذ طويل . قال : ما أوقفك ؟ قلت : سمعت بكاءك . فقال : أعجبك بكائي ^(١) ؟ ، قلت : نعم ، قال : وطلع القمر في حرف أبي قُبَيْس ^(٢) . قال : ورب هذه البنية ^(٣) إن هذا القمر ليبكى من

(١) « أعجبك بكائي » من « أعجبه الأمر : حمله على العجب منه ، وكسبه التعجب » انظر اللسان (عجب) .

(٢) في معجم البلدان : « أبو قبيس بلفظ التصغير ، كأنه تصغير قبس النار ، وهو اسم الجبل المشرف على مكة . . . قيل : سمى باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة . . . وهو أحد الأخشين » . وانظر أيضاً : معجم ما استعجم ٣ / ١٠٤٠ ؛ الجبال والأمكنة والمياه للزخمرى ، ص ٧ ، ط . النجف ، ١٣٨١ / ١٩٦٢ .

(٣) في اللسان : « والبنية - على فعيلة - الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبني . . . وكانت تدعى بنية إبراهيم لأنه بناها ، وقد كثر قسمهم برب هذه البنية . »

خشية الله ولا ذنب له ، ولا يُسأل عما عمل ولا يحازى به ، فمعبت أن بكيتُ من خشية الله وأنا صاحب الذنوب ، وهذا القمر يبكي من خشية الله ، وقرأ ابن زيد : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ ﴾ [سورة الحج : ١٨] قال : فلم يستثن من هؤلاء أحداً حتى جاء ابن آدم استثناء فقال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] ، قال : والذي كان هو أحق بالشكر هو أ كفرهم ، ثم قرأ : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٢٧ ، ٢٨] قال : وكذلك اختلفوا في دينهم كما اختلف الأولون^(١).

ولفظ « السجود » يستعمل في اللغة لخضوع الجامدات وغيرها ، كالبيت المعروف :

بِحَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سَجْدًا لِلْحَوَافِرِ^(٢)

(١) انظر لهذا الخبر والذي قبله : الدر المنثور ٤/ ٣٤٨ .
(٢) في الأصل : بحيش تظل . والتصويب من المصادر المذكورة بعد . والبيت لزيد الجليل ، والرواية فيه مختلفة فهي تارة : بجمع ، وتارة : بحيش ، وفي الشطر الثاني : ترى الأكم منه ، وفي رواية : فيها ، وفي ثالثة : منها . قال الأستاذ محمود محمد شاكر في تعليقه (تفسير الطبري ٢/ ١٠٤) أن البيت في : « السكامل ١/ ٣٥٨ » ، والمعاني الكبير : ٨٩٠ ، والأضداد لابن الأنباري : ٢٥٦ . وحامسة ابن الشجري : ١٩ ، ومجموعة المعاني : ١٩٢ وغيرها .
والباء في قوله « بجمع » متعلقة ببيت سالف هو :

بني عامر هل تعرفون إذا غداً أبو مكثفٍ قد شدَّ عقد الدَّوَابِرِ؟

والبلق جمع أبلق وبلقاء : الفرس يرتفع تحجبها إلى الفخذين ، والمجرات جمع حجرة (بفتح فيكون) الناحية . والأكم (بضم فسكون ، وأصلها بضمتين) جمع لإكام ، جمع أكمة ، وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، دون الجبل ، غليظ فيه حجاره . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف ، ففيها أخرى أن يضل . بصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر . وورد البيت مرة ثانية في التفسير ٢/ ٢٤٢ (وانظر التعليق) .

قال ابن قتيبة^(١): «حجراته جوانبه ، يريد أن حوافر الخيل قد بلغت الأكم ووطئها حتى خشعت وانخفضت » .

قال ابن عطية في قوله: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [سورة النحل : ٤٨] :
وقالت فرقة منهم الطبري^(٢) عبر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها^(٣) بالسجود ، كما يقال للمشير برأسه نحو الأرض على وجه الخضوع :
ساجد ، / ومنه قول الشاعر :

وكلتا هُما خَرَّتْ وأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحْنَفِ^(٤)

﴿فصل﴾

وإذا كان كذلك فالله سبحانه ذكر في الرعد قوله : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة الرعد : ١٥] فعم في هذه الآية ولم يستثن ، وقسم السجود إلى طوع وكره . وقال في الحج : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [سورة الحج : ١٨] .
وفي هذا «الكثير» قولان : أحدهما أنه لم يسجد فلماذا حُقق عليه العذاب ، كما تقدم عن طاووس ، وهو قول الفراء وغيره . والثاني : أنه سجد وحقق عليه العذاب ، فإنه ليس هو السجود المأمور به .

(١) في « تأويل مشكل القرآن » ص ٢٣٢ (ط . عيسى الحلبي) وليس فيه عبارة : «حجراته جوانبه» وفيه : « قد قلت الأكم » . وانظر تعليق الأستاذ السيد أحمد صقر .
(٢) انظر تفسير الطبري (بولاق) ١٤ / ٧٩ .
(٣) في الأصل : الظل ودورانها .

(٤) قال الأستاذ محمود محمد شاكر (تفسير الطبري ٢ / ١٤٤) أن البيت لأبي الأخرز الحناني ، وذكر أنه في سيبويه ٢ / ٢٩ ، ١٠٤ ، واللسان (حنف) . وقال في شرحه : « يصف ناقتين طأطأتا رءوسهما من الإغياء ، فشبه رأس الناقة في طأطأتها برأس النصرانية لاذ طأطأته في صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى » .

قال أبو الفرج : « وفي قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ قولان : أحدهما : أنهم الكفار وهم يسجدون ، وسجودهم سجود ظلم ، قاله مقاتل . والثاني : أنهم لا يسجدون ، والمعنى : وكثير من الناس أبى السجود ويحق عليه العذاب لتركه السجود ، هذا قول الفراء . »

قلت : ذا قول الأكرين ، وقد ذكر البغوي^(١) في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية - قال : « قال مجاهد : سجودها تحول ظلها ، وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته . » قال : « وقيل : سجودها بمعنى الطاعة ، فإنه مامن جماد إلا وهو مطيع لله خاشع له^(٢) مسبح له ، كما أخبر الله عز وجل عن السماوات والأرض : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [سورة فصلت : ١١] . وقال في وصف الحجارة : ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَرْجُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] ، ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] . »

قال : « وهذا مذهب حسن موافق لقول أهل السنة . »

قلت : قد تقدم قول الطبري وغيره بهذا القول ، فإذا كان السجود في هذه الآية ليس عامًا وهو هناك عام ، كان السجود المطلق هو سجود الطوع . فهذه المذكورات تسجد تطوعاً هي وكثير من الناس ، والكثير الذي حق عليه العذاب إنما يسجد كرهاً ، وحينئذ فالكثير الذي حق عليه العذاب لم يقل فيه إنه يسجد ولا نفى عنه كل سجود ، بل تخصيص من سواه بالذکر يدل

(١) في تفسيره ٥ / ٥٦٢ .

(٢) في تفسير البغوي : خاشع لله .

على أنه ليس مثله ، وحينئذ فإذا لم يسجد طائعا حصل فائدة التخصيص وهو مع ذلك يسجد كارهًا ، فكلا القولين صحيح . وكذلك قال طائفة من المفسرين - واللفظ للنفوى - قالوا ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ بكفرهم ^(١) وتركهم السجود ، وهم مع كفرهم تسجد ظلالم لله تعالى .

وقال في سورة النحل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٨ - ٥٠]
 قال : فلفظ « دابة » / إن لم يتناول بنى آدم ، فالإبل تسجد طوعًا ، وإن تناول بنى آدم فسجودهم طوعًا وكراهًا .

س ٢٨

﴿ فصل ﴾

والذين فسروا السجود بالخضوع والانقياد لهم في سجودها قولان ، أحدهما : أنه كونها مصنوعة مخلوقة منقادة لمشئة الله واختياره ، كما قالوا في تسبيحها مثل ذلك ، وأنه شهادتها ودالاتها على الخالق . قال أبو الفرج في قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] : الساجدون على ضربين : أحدهما : من يعقل فسجوده عبادة . والثاني : من لا يعقل فسجوده بيان أثر الصنعة فيه والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق ، هذا قول جماعة من العلماء واحتجوا باليب المتقدم :

* ترى الأكم فيه سجداً للحوافر *

قال : وأما الشمس والقمر والكواكب فالحقها جماعة بمن يعقل ، قال

(١) في تفسير البغوى ٥ / ٥٦٣ « وهم الكفار لكفرهم » .

أبو العاليه : سجودها حقيقة مامنها غارب إلا خرّ ساجداً بين يدي الله عز وجل ثم لا ينصرف حتى يؤذن له . قال : ويشهد لقول أبي العاليه حديث أبي ذر ، وذكره . قال : وأما النبات والشجر فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء ، أحدها : أن يكون سجوداً لنعلمه ، وهذا إذا قلنا برده فيها^(١) . والثاني : أنه تقيؤ ظلالة . والثالث : بيان الصنعة فيه . والرابع : الانقياد لما سخر له .

قلت : الثالث والرابع من نمط واحد وهو كالمقدم ، وأما السجود الذي لنعلمه فهو كما ذكره البغوي وقال البغوي أيضاً في قوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] فإن قيل : الحجر لا يفهم فكيف يخشى ؟! ، قيل : الله يفهمها ويلهمها فتخشى بإلهامه . قال : ومذهب أهل السنة أن الله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره ، ولها صلاة وتسبيح وخشية كما قال عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾ . الآية ، فيجب على المرء الإيمان به ويكلّ علمه إلى الله تعالى ، وذكر الحديث الصحيح عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث ، وإني لأعرفه الآن^(٢) ، وذكر حديث حنين الجذع ، وطرقه صحاح مشهورة^(٣) . وروى عن السدي ،

(١) برده فيها : كذا بالأصل .

(٢) الحديث في مسلم ٧ / ٥٨ - ٥٩ (كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة) . وذكره الطبري في تفسيره ٢ / ٢٤١ / (ط . المعارف) (وانظر التعليق) . وهو في مسند جابر بن سمرة رضي الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ٥ / ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٥ ؛ مسند الدارمي ١ / ١٢ .

(٣) روى البخاري في صحيحه ٥ / ١٩٥ (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) عن ابن عمر رضي الله عنهما : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فن الجذع فأثاه ففسح يده عليه » ورواه من طرق أخرى عنه وعن جابر =

عن أبي عباد بن [أبي] يزيد^(١) عن علي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر ، فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله^(٢) . وقال : قال مجاهد : لا ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله . وبشهادة لما قلنا قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحشر : ٢١] .

قلت : وأما تفسير سجودها وتسبيحها بنفوذ مشيئة الرب وقدرته فيهما ودلالاتها على الصانع فقط فالإقتصار على هذا باطل ، فإن هذا وصف لازم دائم لها لا يكون في وقت دون وقت ، وهو مثل كونها مخلوقة محتاجة فقيرة إلى الله تعالى ، وعلى هذا فالخلوقات كلها لا تزال ساجدة مسبحة ، وليس المراد هذا فإنه قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشَىٰ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ [سورة ص : ١٨] ، وقال : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ١٩] ، وقال : ﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ [سورة النور : ٤١] ، فقد أخبر سبحانه وتعالى عنه أنه يعلم ذلك ، ودلالاتها على الرب يعلمه عموم الناس .

وأيضا فقد أخبر الله تعالى في القرآن من كلام الهدهد والنمل ، وأن سليمان

رضي الله عنهما . والحديث مروي في سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ١٣ / ١١١ (كتاب المناقب ، باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي) وعن أنس بن مالك وأبي وجابر وغيرهم . وهو في السند (ط . المعارف) عن ابن عباس وأنس وابن عمر رضي الله عنهم . انظر الأرقام ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٧ ، ٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ ، ٢٤٣٠ ، ٢٤٣٢ ، ٥٨٨٦ . وانظر تفسير الطبري ٢ / ٢٤١ ؛ البداية والنهاية ٦ / ١٢٥ - ١٣٢ ؛ فتح الباري ٦ / ٤٤٣ . (١) في الأصل : عباد بن يزيد . والتصويب من سنن الترمذي . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥ / ١٠٩ . وقال روى عن علي وفيه لإسماعيل السدي . وروى له الترمذي حديثا واحدا واستغربه .

(٢) الحديث بمعناه في : الترمذي (بشرح ابن العربي) ١٣ / ١١١ (كتاب المناقب ، باب حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي) وقال : « هذا حديث غريب . وقال : عن عباد بن أبي يزيد » ؛ سنن الدارمي ١ / ١٢ .

عَلَّمَ منطق الطير بما يدل على الاختصاص ، وهذا في الحيوان .
 وأيضاً فإنه جعل الجميع يسجد ثم قال : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحج : ١٨] وهذا المعنى يشترك فيه جميع المخلوقات دائماً ، وهو وصف لازم لكل مخلوق : لا يزال مفتقراً إلى الخالق ، ولا يزال دالاً عليه ، ولا يزال منقاداً لما يشاء الرب .

وأيضاً فإنه قسم السجود إلى طوع وكره ، وانفعالها لمشئته الرب وقدرته لا ينقسم إلى طوع وكره ، ولا يوصف ذلك بطوع منها ولا كره ، فإن دليل فعل الرب فيها ، ليس هو فعل منها ألبتة .

والقرآن يدل على أن السجود والتسبيح أفعال لهذه المخلوقات ، وكون الرب خالقاً لها إنما هو كونها مخلوقة للرب ليس فيه نسبة أمر إليها ، يبين ذلك أنه خصّ الظل بالسجود بالغدو والآصال ، والظل - متى كان وحيث كان - مخلوق مربوب ، والله تعالى جعل الظلمات والنور ، والقول الذي ذكره البغوي أقرب من القول الذي ذكره أبو الفرج ، وهو سبحانه تارة يجعلها آيات له ، وتارة يجعلها ساجدة مسبحة ، وهذا نوع غير هذا .

وعلى هذا القول : الجميع واحد ، ليس في كونها ساجدة مسبحة إلا كونها آية دالة وشاهدة للخالق تعالى بصفاته لكونها مفعولة له ، وهذا معنى ثابت في المخلوقات كلها لازم لها ، وهي آيات للرب بهذا الاعتبار ، وهي شواهد ودلائل وآيات بهذا الاعتبار ، لكن ذاك معنى آخر كما يفرق بين كون الإنسان مخلوقاً وبين كونه عابداً لله ، فهذا غير هذا ، هذا يتعلق بربوبية الرب له ، وهذا يتعلق بتأله وعبادته للرب .

والبيت الذي استشهدوا به وهو قوله :

* ترى الأكم فيها سجداً للحوافر *

فإنما ذكر سجود الأكم للحوافر ، وذلك خضوعها وانخفاضها لها ، فهذا خضوع جهاذ لجماذ ، ولا يلزم أن يكون سائر أنواع الخضوع مثل هذا ، وإنما يشترك في نوع الخضوع ، وليس خضوعُ المخلوقات للخالق مثل هذا ، وإن قيل : هو انفعالها لمشيئته وقدرته ، بل ذاك نوع أبلغ من هذا ، فلا يجب أن يكون سجودها بغير خضوع منها وطاعة ، ولكن هذا البيت يقتضى أنه لا يجب أن يكون سجودُ كلِّ شيء وضع رأسه بالأرض ، وهذا حق ، بل هو خضوع للرب يناسب حاله ، وقد قيل لسهل بن عبد الله : أيسجد القلب ؟ قال : نعم ، سجدة لا يرفع رأسه منها أبداً . وأهل الجنة في الجنة قد ألهموا التسبيح كما ألهموا النفس في الدنيا ، وكما يلهم أهل الدنيا النفس وهم خاضعون للرب مطيعون له ، وليس هناك سجود بوضع رأس في الأرض ، فهذا أمر به في الدنيا لحاجة النفس إليه في خضوعها لله تعالى ، فلا تكون خاضعة إلا به ، بخلاف حالها في الجنة فإنها قد زكت وصلحت .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً^(١) .

(١) كتب أسفل هذا الكلام : « بلغ مقابلة » .

رِسَالَةٌ فِي لَفْظِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، وعليه التكلان

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما .
ما بعد ، فهذا :

﴿ فصل ﴾

للفظ السنن : اعلم أنه قد ذكر الله تعالى لفظ سننه في مواضع من كتابه فقال تعالى :
﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾
[سورة الإسراء : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا
فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾
[سورة الأحزاب : ٣٨] ، وقال تعالى في آخر السورة : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا
أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦١ ، ٦٢] .

وقال : ﴿ قَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [سورة طه : ٤٣] .

وقال : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾
[سورة غافر : ٨٥] .

وقال : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْكَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الفتح : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٧] ^(١) .
 وقال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الكهف : ٥٥] .

فهذه كلها تتعلق بأوليائه : كطيعيه وعصاته ، كالمؤمنين والكافرين ؛
 فسنته في هؤلاء إكرامهم ، وسنته في هؤلاء إهانتهم وعقوبتهم .

سنته نصره
 أوليائه وإيمانه
 أعدائه

فأما الأولى ^(٢) فإنها تتعلق بالرسول لأنه لا حرج عليهم فيما فرض الله تعالى لهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة التحريم : ٢] ، والمفروض هنا مباح مقدر محدود مثل إباحة زوجة المتبني بعد أن قضى منها وطراً وطلقها ، لا بأن تؤخذ ^(٣) منه بغير اختياره ، وقد قال تعالى : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٠] ، أى أوحينا وحررنا قبل .

الآية الأولى

وهنا المراد به سنته في رسوله : أنه أباح لهم الأزواج وغيرها ، كما قال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد : ٣٨] ، وأنه لا حرج عليهم في ذلك ، فلم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يدعاً من الرسل ، ولم يقل هنا : ولن تجد لسنننا تبديلاً ، فإنه لا نبي بعد محمد .

والأربعة البواق تتضمن عقوبة الكفار والمنافقين ، فالأولى ^(٤) : قوله :

الأربعة البواق:

(١) الآية بتامها : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَمَنْ لَبَّيْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ .

(٢) في الأصل : الأول . والكلام هنا عن الآية ٣٨ سورة الأحزاب .

(٣) في الأصل : يؤخذ .

(٤) في الأصل : فالأول . والإشارة فيما يلي من الكلام إلى الآية ٧٦ من سورة

الأنعام وهي قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهي التي تسبق آية ٧٧ من سورة الأنعام التي ذكرها أولاً .

الاولى إنهم لو استفزوه فأخرجوه لم يلبثوا خلفه إلا قليلا كسنة من أرسل قبله من الرسل ؛ فإما أن يُقال : وقع هذا الإخراج بالمجرة ولم يلبثوا خلفه إلا قليلا ، وهو ما أصابهم يوم بدر ، وإما أن يقال : لم يقع .

الثانية : قوله : ﴿ لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ الآية [سورة الأحزاب : ٦٠] ^(١) ، كما أصاب من قبلهم من أهل الكتاب ، فإن الله أخرجهم ، فإن لم ينته غي ^(٢) هؤلاء ، بل أظهروا الكفر كما أظهره أولئك - أخرجناهم كما أخرجناهم / بخلاف ما إذا كتموه .

س ٦٥

وهذه السنة تتضمن أن كل من جاور الرسول صلى الله عليه وسلم متى أظهر مخالفته مكن الله الرسول من إخراجة . وهذه في أهل العهد والمنافقين ، وقد يقال : هي لم مع المؤمنين أبداً .

الثالثة : في أهل المكر السيء ، وأن سنة الله أن ينصر رسله والذين آمنوا على أعدائهم وينتقم منهم . وقال هنا : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ ^(٣) .

الرابعة : في حال الكفار مع المؤمنين ^(٤) .

الرابعة

(١) الآية بتمامها : ﴿ لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

(٢) الكلمة في الأصل مطموسة وكذا استظهرتها .

(٣) الكلام يتضح هنا إذا أوردنا الآيتين ٤٢ ، ٤٣ من سورة فاطر بتمامها . يقول

تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيْسَ كَوْنُ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نفورا * استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيطُ المكرُ للسيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ .

(٤) السنة الرابعة هي التي ذكر أمثلة لها الآيات : ٨٥ من سورة غافر ؛ ٢٢ ، ٢٣

من سورة الفتح ؛ ١٣٧ من سورة آل عمران ؛ ٥٥ من سورة الكهف .

السنن المتعلقة
بالأمور الطبيعية
ينقضها الله
إذا شاء

وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعدته ووعيده ، وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات ، فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاء من الحكم : كما حبس الشمس على يوشع ، وكما شق القمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكما ملأ السماء بالشهب ، وكما أحيا الموتى غير مرة ، وكما جعل العصا حيّة ، وكما أنبع الماء من الصخرة بعضا ، وكما أنبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعض هذه الآيات السهروردى في المنقول في « الألواح العادية » وفي « المبدأ والمعاد »^(١) محتجاً بها على ما يقوله هو وأمثاله من المتفلسفة : أن العالم لم يزل ولا يزال هكذا ، بناء على أن هذه سنة الرب عز وجل وعادته وهي لا تبدل [لها]^(٢) ، إذ كان عندهم ليس فاعلاً بمشيئته واختياره ، بل موجب بذاته .

فيقال لهم : احتجاجكم على هذا بالقرآن في غاية الفساد ، فإن القرآن يصرح بنقيض مذهبكم في جميع المواضع ، وقد علم بالاضطرار أن ما يقولونه مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاحتجاجكم بهذا أفسد من احتجاج النصارى على أن محمداً شهد بأن دينهم بعد النسخ والتبديل حق بآيات من القرآن حرّفوها عن مواضعها ، قد تكلمنا عليها في « الجواب الصحيح لمن بدّل

(١) في الأصل : « في الألواح العادية في المبدأ والمعاد » . وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته ، فإن للسهروردى كتاباً بعنوانه « الألواح العادية » في العلوم الحكيمة ومصطلحاتها (وقد ألفه إجابة لطلب الملك عماد الدين قره أرسلان بن داود) ، وآخر بعنوان « المبدأ والمعاد » .

انظر ما ذكره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى حلمي في مقالة : آثار السهروردى المقتول ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ، مايو سنة ١٩٥١ م . وانظر له أيضاً : التعليق على مقالة « السهروردى » في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) لها : زيادة ينقضها السياق .

دين المسيح»^(١) فإن النصارى وإن كانوا كفاراً بتبديل الكتاب الأول وتكذيب الثانى ، فهم خير منكم من وجوه كثيرة ، فإنهم يقولون بالأصول الكلية التى اتفقت عليها الرسل ، وإن كانوا حَرَفُوا بعض ذلك ، كالإيمان بأن الله خالق كل شىء ، وأنه بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير ، والإيمان بملائكته ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وغير ذلك مما تكذبون أنتم به .

الأدلة على ذلك

وأما بيان الدلالة فمن وجوه :

أحدها : أن يُقال : العادات الطبيعية ليس للرب فيها سنة لازمة ، فإنه الأول قد عُرِفَ بالدلائل اليقينية أن الشمس والقمر والكواكب مخلوقة بعد أن لم تكن ، فهذا تبديل وقع . وقد قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤٨] .

والثانى أيضاً ، فقد عُرِفَ انتقاض عامة العادات ، فالعادة فى بنى آدم ألاَّ يَخْلُقُوا إلا من أبوين ، وقد خلق المسيح من أم ، وحوّاء من أب ، وآدم من غير أم ولا أب ، / وإحياء الموتى متواتر مرات مُتَعَدِّدَةٌ^(٢) ، وكذلك تكثير الطعام والشراب لغير واحد من الأنبياء والصالحين عليهم السلام .

والثالث أيضاً ، فعندكم تفسيرات وقعت فى العالم كالطوفانات الكبار فيها تغيير العادة .

وهذا خلاف عادته التى وعد بها وأخبر أنها لا تتغير لنصرة أوليائه وإهانة أعدائه ، فإن هذا علم بخبره وحكمته .

أما خبره فإنه أخبر بذلك ووعد به ، وهو الصادق الذى لا يخلف الميعاد ،

(١) كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » ، ويسمى أحياناً « الرد على النصارى » يقع فى ٤ أجزاء ، وقد طبع بمطبعة النيل سنة ١٣٢٣ / ١٩٠٥ ، وطبع مرة ثانية بمطبعة المدنى سنة ١٣٧٩ / ١٩٥٩ .
(٢) فى الأصل : معددة .

وهذا يوافق طرق جميع طوائف أهل الملل ، ويقولون : مقتضى حكمته أن يكون العاقبة والنصر لأوليائه دون أعدائه ، كما قد بسط ذلك في مواضع .

وأما الأمور الطبيعية فإما أن تقع بمحض المشيئة على قول ، وإما أن تقع بحسب الحكمة والمصلحة على قول . وعلى كلا التقديرين فتبديلها وتحويلها ليس ممتنعاً كما في نسخ الشرائع وتبديل آية بآية ، فإنه إن علق الآية بمحض المشيئة فهو يفعل ما يشاء ، وإن علقها بالحكمة مع المشيئة ، فالحكمة تقتضي (١) تبديل بعض ما في العالم ، كما وقع كثير من ذلك في الماضي وسيقع في المستقبل ؛ فعلم أن هذه السنن دينيات لا طبيعيات .

ولكن في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ حجة للجمهور القائلين بالحكمة ، فإن أصحاب المشيئة المجردة يجوزون نقض كل عادة ، ولكن يقولون : إنما نعلم ما يكون بالخبر .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ دليل على أن هذا من مقتضى حكمته ، وأنه يقضى في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف (٢) ، فإذا كان قد نصر المؤمنين لأنهم مؤمنون كان هذا موجباً لنصرهم حيث وجد هذا الوصف ، بخلاف ما إذا عصوا ونقضوا إيمانهم كيوم أحد فإن الذنب كان لهم ، ولهذا قال : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ فعم كل سنة له ، وهو يعم سنته في خلقه وأمره ، في الطبيعيات والدينيات .

لكن الشأن أن تُعرف (٣) سنته ، وحقيقة هذا أنه إذا نقض العادة فإنما ينقضها لاختصاص تلك (٤) الحال بوصف امتازت به عن غيره ، فلم تكن سنته

سنته تعالى مطردة
في الدينيات
والطبيعيات

نقض العادة
لاختصاص معين

(١) في الأصل : يقتضى .

(٢) في الأصل : وأنه يقضى في الأمور المتماثلة مقضى متماثل لا يقضى مخالف .

(٣) في الأصل : يعرف ، وهو جائز .

(٤) في الأصل : ذلك .

مع ذلك ، والاختصاص بسنته مع عدمه ، كما نقول إذا خُصَّت العلة لفوات شرط أو وجود مانع ، وكما نقول^(١) في الاستحسان الصحيح ، وهو تخصيص بعض أفراد العام بحكم يختص به لامتيازاه عن نظائره بوصف يختص به .

والسُّنَّة هي العادة في الأشياء المتماثلة ، و « سُنَّة » هنا تجرى على « سَنَة » ، السنة هي العادة هذا في الاشتقاق الأكبر ، و « السَّنَّة » من هذا الباب ، سواء كان أصله « سَنَوَة » أو « سَنَهَة » وهما لغتان في السَّنَة^(٢) .

و « السنن » و « أسنان المشط » ونحو ذلك بلفظ « السُّنَّة » يدل على التماثل ، فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم / فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول ، بل هو سبحانه لا يُفَوِّت بين التماثلين ، وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل ؛ وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر ، وأنه سبحانه يسوّى بين التماثلين ويفرّق بين المختلفين ، كما دلّ القرآن على هذا في مواضع كقوله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥] .

ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها . والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره ، كالأمثال المضروبة في القرآن ، وهي كثيرة .

وذكر لفظ التبديل والتحويل كقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦] ، فالتبديل أن تُبدّل بخلافه ، والتحويل أن تحوّل من محلّ إلى محلّ^(٣) ،

(١) في الأصل : وكما يقول .

(٢) في الأصل : « وسنة هذا تجرى على سنة هذا في الاشتقاق الأكبر والسنة من هذا الباب سواء كان أصله سنوه أو سنهه وهي لغتان في السنة » . وأرجو أن يكون ما أثبتته مبيّناً للمقصود .

(٣) في الأصل : عمل .

مثل استفزازه من الأرض ليخرجوه فإنهم لا يلبثون خلفه إلا قليلا ، ولا تتحول هذه السنة بأن يكون هو المخرج وهم اللابثون ، بل متى أخرجوه خرجوا خلفه ، ولو مكث لكان هذا استصحاب حال ، بخلاف ظهور الكفار فإنه كان تبديلا لظهور المؤمنين وظهور الكفار إذ كان لابد من أحدهما .

وأما أهل المكر السيئ والكفار فهي سنة تبديل ، لابد لهم من العقوبة لا يبدلون بها غيرها ولا تتحول^(١) عنهم إلى المؤمنين ، وهو وعيد لأهل المكر السيئ أنه لا يحيق إلا بأهله ولن يتبدلوا به خيرا : يتضمن نفيا وإثباتا ، فلهذا نفى عنه التبديل والتحويل .

﴿ فصل ﴾

والقرآن قد دلَّ على هذا الأصل في مواضع كقوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٧] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة هود : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ ﴾ [سورة القمر : ٤٣] . ومنه قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف : ١١١] ، وقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الثَّقَاتِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] إلى قوله : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣] .

﴿ فصل ﴾

وقد أخبر سبحانه أنه تارة يعاقبهم عقاب السراء وتارة يعاقبهم عقاب

(١) في الأصل : ولا يتحول .

الضراء إذا لم يتضرعوا، فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إلى قوله : ﴿مُبْلِسُونَ﴾ [سورة المؤمنون : ٧٦ - ٧٧] فهذا أخبر أنهم بالعذاب الأدنى ما استكانوا وما تضرعوا حتى أخذهم بالإهلاك كما قال : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة السجدة : ٢١] ، وقال : ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة التوبة : ١٢٦] ، والضمير يكون عائداً على الذين لا يؤمنون بالآخرة .

وقال في سورة الأنعام : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ إلى قوله : ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام : ٤٢ - ٤٥] . هذه نظيرها في الأعراف في قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ إلى قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الآيات [سورة الأعراف : ٩٤ - ٩٥] ، فقد ذمهم أنهم لم يتضرعوا لما أخذهم بالبأساء والضراء / فإنه بعد هذا بدّل الحالة السيئة بالحالة الحسنة فلم يطيعوا فأخذهم بالعذاب بفتة ، فهذا أخذهم أولاً بالضراء ليضرّعوا فلم يتضرعوا ، فابتلاه الله بالسراء ليطيعوا فلم يطيعوا ، فأخذهم بالعذاب . وهذا كقوله تعالى : ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] ، فهؤلاء ابتلوا بالضراء أولاً ثم بالسراء ثانياً^(١) . وقد أخبر أنه ما أرسل في قرية من نبيٍّ إلا كانوا هكذا .

(١) فكرة ابن تيمية هنا لا تتضح تماماً إلا إذا ذكرنا الآيات بتامها ، ففي سورة الأنعام : (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يسمعون * فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بفتة فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) . وفي سورة الأعراف : (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بفتة وهم لا يشعرون) .

وهذا كما ذكره سبحانه في حال قوم فرعون وغيرهم ، وهذا ذم لمن لم يستقم لافي الضراء ولا في السراء ، لاذعاً بالضراء ولا بالسراء ، ولا تضرع في الضراء ، ولا شكر ولا آمن في السراء ؛ ابتلاهم بالحسنات : وهي النعم ، والسيئات : وهي المصائب ، فما أطاعوا لافي هذا ولا في هذا .

وأما آية المؤمنين فأمرأهم^(١) لم يستكينوا ولم يتضرعوا حتى فتَح عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون . وهؤلاء قد يكون تقدم لهم ابتلاء بالحسنات أولاً ، فإنه قال في أول الكلام : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥١] إلى قوله : ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنِذُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ ﴾ [الآية : ٦٤] إلى قوله : ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ [الآيتان : ٧٥ ، ٧٦] .

فهؤلاء كانوا في حالة حسنة فلما^(٢) لم يتقوه أخذ مترفيهم بالعذاب ، ثم أخذهم بالعذاب ليتضرعوا ، فلما لم يتضرعوا^(٣) ابتلاهم بالحسنات أولاً ، فلما لم يتقوه استحقوا العذاب ؛ فيعتبر الفرق بين هؤلاء وهؤلاء .

آخره ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليمًا .

(١) في الأصل : فأمرأهم .

(٢) في الأصل : فما .

(٣) في الأصل : فلم يتضرعوا .

رسالة في قصة شعيب عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

س ١

أما بعد ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع من كتابه وإرساله إلى أهل مدين ، وقال في موضع آخر : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ١٧٦] ، فأكثر الناس يقولون : إنهم أهل مدين ، ومن الناس من يجعلها قصتين .

شيخ مدين
لم يكن شعيباً

وذكر في قصة موسى أنه : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ الآية [سورة القصص : ٢٣] إلى آخر القصة . فموسى عليه السلام قضى أكل الأجلين ، ولم يذكر عن هذا الشيخ أنه كان شعيباً ولا أنه كان نبياً ، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبياً ، ولا نقل^(١) عن أحد من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهر موسى كان شعيباً النبي : لا عن ابن عباس ولا غيره ، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب .

قال سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ الْبَخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ^(٢) بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

(١) في الأصل : ولا يقل ، وهو تحريف .

(٢) أبو علي سنيد (الحسين) بن داود المصيصي الحنسي الحافظ . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ : « اسمه الحسين كان أحد أوعية العلم ... مات سنيد سنة ست وعشرين ومائتين . وفتت على تفسيره » . وانظر ترجمة سنيد في : تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٩-٤٦٠ ؛ ميزان الاعتدال ٢/٢٣٦ ؛ تقريب التهذيب ١/٣٣٥ .

قال : اسمه يثرى . قال حجاج^(١) وقال غيره : يثرون . وعن شعيب الجبائي^(٢) أنه قال : اسم الجاريتين لثا وصفوره^(٣) . وامرأة موسى صفوره ابنة يثرون كاهن مدين ، والكاهن الخبر . وفي رواية عن ابن عباس أن اسمه يثرون أو يثرى .

وقال ابن جرير^(٤) : اسم إحدى^(٥) الجاريتين لثا ، ويقال : شرفا ، والأخرى صفورة . وقال أيضاً : وأما أبوها فختلف في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه يثرون . وقال ابن مسعود : الذي استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون . وقال أبو عبيدة : هو يثرون ابن أخى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : اسمه يثرى . وهو منقول عن ابن عباس .

وقال الحسن : يقولون : هو شعيب النبي ، لا ، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ .

قال ابن جرير : « وهذا لا يدرك علمه إلا بنحبر عن معصوم ، ولا خبر في ذلك »^(٦) .

(١) هو أبو محمد حجاج بن محمد الأعور المتوفى سنة ٢٠٦ . قال ابن سعد : « وكان ثقة صدوقاً إن شاء الله ، وكان قد تغير في آخر عمره حين رجع إلى بغداد » . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٣٣٣/٧ ، ٤٨٩ ؛ الجرح والتعديل ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) رسم الاسم في الأصل : « شعيب الجبائي » . وهو شعيب الجبائي ، وكذا ورد اسمه في : تفسير الطبري (ط . بولاق) ٢٠ / ٢٩ ؛ تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨٥ ؛ اللؤلؤ ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ١ / ٦٩ - ٧٢ . وقال عنه ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل ج ٢ ، ق ١ ، ص ٣٥٣) : « يثرى يروى عن الكتب . روى عنه سلمة بن وهرام ، سمعت أبي يقول ذلك . قال أبو محمد : هو شعيب بن الأسود » .

(٣) صفوره : كذا في الأصل ، والذي في تفسير الطبري ٢٠ / ٣٩ ، ٤٠ ؛ وفي تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨٥ ؛ وفي الدر المنثور ٥ / ١٢٥ : « صفورا » . وأورد السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٢٦ رواية أخرى جاء فيها : صفيرا .

(٤) انظر تفسير الطبري (ط . بولاق) ٢٠ / ٣٩ ، ٤٠ .

(٥) في الأصل : أحد .

(٦) الذي في تفسير الطبري ٢٠ / ٤٠ : « وهذا مما لا يدرك علمه إلا بنحبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته » .

وقيل : اسمه أثرون^(١) .

فهذه كتب التفسير التي تروى بالأسانيد للعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يذكر فيها عن أحد أنه شعيب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقلوا بالأسانيد الثابتة عن الحسن البصري أنه قال : « يقولون إنه شعيب وليس بشعيب ، ولكنه سيد الماء يومئذ »^(٢) .

فالحسن يذكر أنه شعيب عن لا يعرف ، ويرد عليهم ذلك ، ويقول : ليس هو شعيب .

وإن كان الثعلبي قد ذكر أنه شعيب فلا يلتفت إلى قوله ، فإنه ينقل الفث والسمين . فمن جزم بأنه شعيب النبي فقد قال ما ليس له به علم وما لم ينقل / عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن يمتج بقوله من علماء المسلمين ، وخالف في ذلك مائت عن ابن عباس والحسن البصري ، مع مخالفته أيضا لأهل الكتابين فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي ، فإن مافي التوراة التي عند اليهود والإنجيل الذي عند النصارى أن اسمه يثرون ، وليس لشعيب النبي عندهم ذكر في التوراة .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن شعيباً كان عربياً ، بل قدرؤى عن أبي ذر مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - رواه أبو حاتم وغيره - أن شعيباً كان عربياً ، وكذلك هود وصالح ، وموسى كان عبرانياً ، فلم يكن يعرف لسانه^(٣) ،

(١) في الدر المنثور ٥ / ١٢٦ : « وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : كان صاحب موسى عليه السلام أثرون ابن أخى شعيب عليه السلام » .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٢٦ : « وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن رضى الله عنه قال : يقول ناس إنه شعيب وليس بشعيب ولكنه سيد الماء يومئذ » . وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٠ / ٤٠ .

(٣) في الأصل : بلسانه .

وظاهر القرآن يدل على مخاطبة موسى للمرأتين وأبيهما بغير ترجمان .

وإنما شبهة من ظن ذلك أنه وجد في القرآن قصة شعيب وإرساله إلى أهل مدين ، ووجد في القرآن مجيء موسى إلى مدين ومصاهرته لهذا ، فظن أنه هو .
والقرآن يدل أن الله أهلك قوم شعيب بالظَّلَّة ، فحينئذ لم يبق في مدين من قوم شعيب أحد ، وشعيب لا يقيم بقرية ليس بها أحد . وقد ذكروا أن الأنبياء كانوا إذا هلكت أممهم ذهبوا إلى مكة فأقاموا بها إلى الموت ، كما ذكر أن قبر شعيب بمكة ، وقبر هود بمكة ، وكذلك غيرها .

وموسى لما جاء إلى مدين كانت معمورة بهذا الشيخ الذى صاهره ، ولم يكن هؤلاء قوم شعيب المذكورين^(١) في القرآن ، بل ومن قال : إنه كان ابن أخى شعيب أو ابن عمه لم ينقل ذلك عن ثبت ، والنقل الثابت عن ابن عباس لا يعارض بمثل قول هؤلاء .

وما يذكرونه في عصا موسى ، وأن شعيباً أعطاه إياها ، وقيل : أعطاه إياها هذا الشيخ ، وقيل : جبريل . وكل ذلك لا يثبت .

وعن أبي بكر - أظنه الهذلى - قال : سألت عكرمة عن عصا موسى ، قال : هى عصا خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبريل فلقى بها موسى ليلاً فدفعها إليه .

وقال الشدى في تفسيره المعروف : أمر أبو المرأتين ابنته أن يأتى موسى بعصا ، وكانت تلك العصا استودعها مَلَكٌ في صورة رجل ، إلى آخر القصة ، استودعها إياها مَلَكٌ في صورة رجل ، وأن حماه^(٢) خاصمه ، وحكماً بينهما رجلاً ،

(١) في الأصل : المذكورون ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : حموه ، وهو خطأ .

وأن موسى أطلق حملها دون حميه^(١) ، وذكر عن موسى أنه أحق بالوفاء من حميه^(١) .

ولو كان هذا هو شعيبا النبي لم ينازع موسى ، ولم يندم على إعطائه إياها ، ولم يحاكمه . ولم يكن موسى قبل أن يُنبأ أحق بالوفاء منه ، فإن شعيباً كان نبياً / وموسى لم يكن نبياً ؛ فلم يكن موسى قبل أن يُنبأ أكمل من نبي ، وما ذكره
زيد من أنه كان يعرف أن موسى نبي : إن كان ثابتاً ، فالأخبار والرهبان
كانت عندهم علامات الأنبياء ، وكانوا يخبرون بأخبارهم قبل أن يبعثوا ،
والله سبحانه أعلم .

﴿ فصل ﴾

وأما شياع^(٢) كون حمى^(٣) موسى شعيباً النبي عند كثير من الناس الذين
لاخبرة لهم بمقائق العلم ودلائله وطرقه السمعية والعقلية ، فهذا مما لا يغتر به عاقل ،
فإن غاية مثل ذلك أن يكون منقولاً عن بعض المنتسبين إلى العلم ، وقد خالفه
غيره من أهل العلم . وقول العالم الذى يخالفه نظيره ليس حجة ، بل يجب رد
ما تنازعا فيه إلى الأدلة .

ومثال ذلك ما ذكره بعضهم ، أو كثير منهم ، من أن الرسل المذكورين
في سورة يس هم من حواربي المسيح عليه السلام ، وأن حبيب النجار آمن بهم .
وهذا أمر باطل عند أجلاء علماء المسلمين وعند أهل الكتاب ، فإن الله قد
أخبر عن هذه القرية التى جاءها المرسلون أنه قد أهلك أهلها فقال تعالى :
﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيَّحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [الآية : ٢٩] .

(١) فى الأصل فى الموضعين : حموه ، وهو خطأ .

(٢) فى اللسان : « شاع الشيب شيما وشياعا (بكسر الشين) وشيعانا وشيعوا
وشيعوعة ومشيعا : ظهر وتفرق » .

(٣) فى الأصل : حمو ، وهو خطأ .

وأنطاكية لما جاءها اثنان من الحواريين بعد رفع المسيح آمنوا بهما ، وهى أول مدينة اتبعت المسيح ، ولم يهلكهم الله بصد المسيح باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، فكيف يجوز أن يُقال : هؤلاء هم رسل المسيح ؟ !
 وأيضاً ، فإن الذين أتوهم كانوا اثنين من الحواريين ، وأهل الكتاب معترفون بذلك ، ولم يكن حبيب النجار موجوداً حينئذ ، بل هؤلاء رسل أرسلهم الله قبل المسيح ، وأهلك أهل تلك القرية - وقد قيل : إنها أنطاكية - وآمن حبيب بأولئك الرسل . ثم بعد هذا عمرت أنطاكية وجاءتهم رسل المسيح بعد ذلك .

والحواريون ليسوا رسل الله عند المسلمين ، بل هم رسل المسيح ، كالصحابة الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسلهم إلى الملوك . ومن زعم أن هؤلاء حواريون^(١) فقد جعل للنصارى حجة لا يُحسَن أن يجيب عنها ، وقد بسطنا ذلك فى « الرد على النصارى » وبيّنا أن الحواريين لم يكونوا رسلاً ، فإن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل إبراهيم وموسى ، وقد يفضّلونهم على إبراهيم وموسى ، وهذا كفر عند المسلمين ، وقد بينا ضلال النصارى فى ذلك .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

(١) فى الأصل : حواريين ، وهو خطأ .

رِسَالَةٌ فِي الْمَعَانِي الْمُسْتَنْبِطَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِنْسَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

﴿فصل﴾

اعلم أن سورة «هل أتى على الإنسان» سورة عجيبة الشأن من سور تفسير السورة
القرآن على اختصارها، فإن الله سبحانه ابتدأها بذكر كيفية خلق الإنسان من الآياتن : ١، ٢
النفطة ذات الأمشاج والأخلاط التي لم يزل بقدرته ولطفه وحكمته يصرفه عليها
أطواراً، وينقله من حال إلى حال، إلى أن تمت خلقته وكملت صورته،
فأخرجه إنساناً سوياً، سميعاً بصيراً^(١)، ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداة
طريقي الخير والشر، والهدى والضلال، وأنه بعد هذه الهداية إما أن يشكر
ربه وإما أن يكفره^(٢). ثم ذكر مآل أهل الشكر والكفر، وما أعد^(٣)
لهؤلاء وهؤلاء، وبدأ أولاً بذكر عاقبة أهل الكفر، ثم عاقبة أهل الشكر^(٤)،
وفي آخر السورة ذكر أولاً أهل الرحمة ثم أهل العذاب^(٥)، فبدأ السورة
بأول أحوال الإنسان - وهي النفطة - وختمها بآخر أحواله - وهي كونه من

(١) وهذا متضمن في الآية الأولى والثانية وهو قوله تعالى : (هل أتى على الإنسان
حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه
سميعاً بصيراً) .

(٢) في الآية الثالثة : (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) .
(٣) في قوله تعالى : (إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً * إن الأبرار
يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً * عينا يقرّب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً)
[الآيات : ٤ - ٦] .

(٤) في قوله تعالى : (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً)
[الآية ٣١] .

الآية الرابعة أهل الرحمة أو العذاب - ووسطها بأعمال الفريقين ، فذكر أعمال أهل العذاب مجملة في قوله : ﴿ إِنَّا آَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الإنسان : ٤] ، وأعمال أهل الرحمة مفصلةً وجزاءهم مفصلاً .

فتضمنت السورة خلق الإنسان وهدايته ، ومبدأه وتوسطه ونهايته ، وتضمنت المبدأ والمعاد ، والخلق والأمر : وهما القدرة والشرع ، وتضمنت إثبات السبب وكون العبد فاعلاً مريداً حقيقةً ، وأن فاعليته ومشيتته إنما هي بمشيئة الله ، ففيها الرد على طائفتين : القدرية والجبرية ، وفيها ذكر أقسام بنى آدم كلهم ، فإنهم إما أهل شمالٍ وهم الكفار - أو أهل يمين : وهم ^(١) نوعان : أبرار ومقرَّبون ، وذكر سبحانه أن شراب الأبرار يُمزج من شراب عباده المقربين لأنهم مزجوا أعمالهم ، ويشربه المقرَّبون صِرفاً خالصاً كما أخلصوا أعمالهم ، وجعل سبحانه شراب المقربين من الكافور الذى فيه من التبريد والقوة ما يناسب برد اليقين وقوته لما حصل لقلوبهم ووصل إليها في الدنيا ، مع ما في ذلك من مقابله للسعير .

الآية الخامسة

وأخبر سبحانه أن لهم شراباً آخر ممزوجاً من الزنجبيل ^(٢) لما فيه من طيب الرائحة ولذة الطعم ، والحرارة التي توجب تفسير برد الكافور وإذابة الفضلات وتطهير الأجواف ، ولهذا وصفه سبحانه بكونه شراباً طهوراً - أى أى مطهراً لبطونهم ^(٣) .

فوصفهم سبحانه بجمال الظاهر والباطن ، كما قال : ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ [الآية ١١] ، فالنضرة جمال وجوههم ، والسرور / جمال قلوبهم ، كما قال : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [سورة المطففين : ٢٤] .

ص ١١١

(١) في الأصل : وهما .

(٢) في قوله تعالى : (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) [الآية ١٧] .

(٣) في الآية ٢١ : (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) .

وقريب من هذا قول امرأة العزيز في يوسف : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [سورة يوسف : ٣٢] ، فأخبرت بجمال ظاهره حين أشارت إليه بالخروج عليهن ثم ضمت إلى ذلك إخبارها بأن باطنه أجمل من ظاهره : بأنى روادته فأبى إلا العفة والحياء والاستعصام .

ثم ذكر سبحانه من أعمال الأبرار ما ينبئه سامعه على جمعهم لأعمال البر كلها ، فذكر سبحانه وفاءهم بالنذر ، وخوفهم من ربهم ، وإطعامهم الطعام على محبتهم له ، وإخلاصهم لربهم في طاعتهم ^(١) .

وذكر سبحانه الوفاء بالنذر وهو أضعف الواجبات ، فإن العبد هو الذى أوجبه على نفسه بالتزامه ، فهو دون ما أوجبه الله سبحانه عليه ، فإذا [وفى] ^(٢) لله بأضعف الواجبين الذى التزمه هو ، فهو بأن يوفى بالواجب الأعظم الذى أوجبه الله عليه أولى وأخرى .

ومن ههنا قال من قال من المفسرين : المقرَّبون يوفون بطاعة الله ويقومون بحقه عليهم ^(٣) ؛ وذلك أن العبد إذا نذر لله طاعةً فوق بها فإنما يفعل ذلك لكونها صارت حقاً لله يجب الوفاء بها ، وهذا موجود فى حقوقه كلها ، فهي فى ذلك سواء .

ثم أخبر عنهم بأنهم يخافون اليوم العسير القمطير ^(٤) ، وهو يوم القيامة .

(١) فى قوله تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً * ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) [الآيات : ٧-٩] .

(٢) وفى : ساقطة من الأصل .

(٣) فى الدر المنثور للسيوطى ٢٩٨/٦ . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة : يوفون بالنذر ، قال : كانوا يوفون بطاعة الله من الصلاة والزكاة والحج والعمرة وما افترض عليهم فسماهم الله الأبرار لذلك .

(٤) وهو قوله تعالى : (إنما نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً) [الآية ١٠] .

ففى ضمن هذا الخوف إيمانهم باليوم الآخر ، وكفهم عن المعاصى التى تضرهم فى ذلك اليوم ، وقيامهم بالطاعات التى ينفعهم فعلها ويضرهم تركها فى ذلك اليوم .

الآية الثامنة

ثم أخبر عنهم بإطعام الطعام على محبتهم له ، وذلك يدل على نفاسته عندهم وحاجتهم إليه ، وما كان كذلك فالنفوس به أشح ، والقلوب به أعلق ، واليد له أمسك ، فإذا بذلوه فى هذه الحال ، فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل .

فذكر من حقوق العباد بذل قوت النفس على نفاسته وشدة الحاجة منها على الوفاء بما دونه ، كما ذكر من حقوقه الوفاء بالنذر منها على الوفاء بما هو فوقه وأوجب منه ، وثبته بقوله : ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [الآيه : ٨] أنه لولا أن الله سبحانه أحب إليهم منه لما آثروه على ما يحبونه ، فأثروا المحبوب الأعلى على الأدنى .

الآية التاسعة

ثم ذكر أن مصرف طعامهم إلى المسكين واليتيم والأسير الذين لا قوة لهم ينصرونهم بها ، ولا مال لهم يكافئونهم به ، ولا أهل ولا عشيرة يتوقعون^(١) منهم مكافأتهم كما يقصده أهل الدنيا والمعاوضون بإنفاقهم وإطعامهم .

ثم أخبر عنهم أنهم إنما فعلوا ذلك لوجه الله ، وأنهم لا يريدون ممن أطعموه عوضاً من أموالهم ولا ثناء عليهم بألستهم ، كما يريد من لا إخلاص له بإحسانه إلى / الناس من معاوضتهم أو الشكور منهم ؛ فتضمن ذلك المحبة والإخلاص والإحسان .

ظ ١١١

الآية العاشرة

ثم أخبر سبحانه عنهم بما صدقهم عليه قبل أن يقولوه حيث قالوا : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَاسًا قَمَطِرًا ﴾ [الآيه : ١٠] فصدقهم قبل قولهم ،

إذ يقول تعالى : ﴿ يُوَفُّونَ بِالْأَنْزَارِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الآية : ٧] ، ثم أخبر سبحانه بأنه وقام شر ما يخافونه ولقاهم فوق ما كانوا يأملونه .
 وذكر سبحانه أصناف النعيم الذي حَيَّاهُمْ به ^(١) من المساكن والملابس والمجالس والثمار والشراب والخدم والنعيم والملك الكبير ^(٢) .

ولما كان في الصبر من حبس النفس والخشونة التي تلحق الظاهر والباطن من التعب والنصب والحرارة مافيه كان الجزاء عليه بالجنة التي فيها السعة ، والحرير الذي فيه اللين والنعومة ، والاتكاء الذي يتضمن الراحة ، والظلال المنافية للحر .

ثم ذكر سبحانه لون ملابس [الأبرار] ^(٣) وأنها ثياب سندس خضر وإستبرق ، وحليتهم وأنها أساور من فضة ، فهذه زينة ظواهرهم . ثم ذكر زينة بواطنهم ، وهو الشراب الطهور ، وهو بمعنى التطهير ^(٤) .

فإن قيل : فلم اقتصر من آيتهم وحليتهم على الفضة دون الذهب ؟ ومعلوم أن الجنان جنتان من فضة آيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آيتهما وحليتهما وما فيهما .

قيل : سياق هذه الآيات إنما هو في وصف الأبرار ونعيمهم مفصلاً دون تفصيل جزاء المقربين ، فإنه سبحانه إنما أشار إليه إشارة تنبيه على ماسكت عنه ، وهو أن شراب الأبرار يمزج من شرابهم .

فالسورة مسوقة بصفة الأبرار وجزائهم على التفصيل . وذلك - والله أعلم -

(١) حياه به : كذا بالأصل ولهاوجه ، وأخشى أن تكون : حياه به .

(٢) في الآيات : ١٢ - ٢٠ .

(٣) الأبرار : زيتها ليستقيم الكلام .

(٤) في قوله تعالى : (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهوراً) [الآية ٢١] .

لأنهم أعم من المقرّبين وأكثر منهم . ولهذا يخبر سبحانه عنهم بأنهم ثلّة من الأولين وثلة من الآخرين^(١) ، وعن المقرّبين السابقين بأنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين^(٢) .

وأيضاً فإن في ذكر جزاء الأبرار تنبيهاً على أن جزاء المقرّبين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وأيضاً ، فإنه سبحانه ذكر أهل الكفر وأهل الشكر . وأهل الشكر نوعان : أبرار أهل يمين ، ومقرّبون سابقون ، وكل مقرّب سابق فهو من الأبرار ، ولا ينعكس . فاسم الأبرار والمقرّبين كاسم الإسلام والإيمان أحدهما أعم من الآخر .

وأيضاً ، فإنه سبحانه أخبر أن هذا جزاء سعيهم المشكور^(٣) ، وكل من الأبرار والمقرّبين سعيهم مشكور ، فذكر سبحانه السعي المشكور والسعي المسخوط

ثم ذكر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بما أنعم / عليه من تنزيل القرآن عليه ، وأمره بأن يصبر لحكمه^(٤) ، وهو^(٥) يعمّ الحكم الديني الذي أمره به في نفسه وأمره بتبليغه ، والحكم الكوني الذي يجري عليه من ربه ، فإنه سبحانه امتحن عباده وابتلاهم بأمره ونهيه ، وهو حكمه الديني ، وابتلاهم بقضائه وقدره ، وهو حكمه الكوني ، وفرض عليهم الصبر على كل واحدٍ من الحكّمين ، وإن

(١) هذه إشارة إلى الآيات ١١ - ١٤ من سورة الواقعة .

(٢) وهي إشارة إلى الآيات ٣٨ - ٤٠ من سورة الواقعة .

(٣) وذلك في قوله تعالى : (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً) [الآية ٢٢] .

(٤) وذلك في الآيتين ٢٣ ، ٢٤ : (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً * فاصبر لحكم ربك) .

(٥) في الأصل : وهم .

كان الحكم الديني في هذه الآية أظهر إرادة، وأنه أمرٌ بالصبر على تبليغه والقيام بحقوقه .

ولما كان صبره عليه لا يتم إلا بمخالفته لمن دعاه إلى خلافه من كل آثم أو كفور، نهى عن طاعة هذا وهذا، وأتى بحرف «أو» دون «الواو» ليدل على أنه منهي عن طاعة أيهما كان : إما هذا وإما هذا^(١)، فكأنه قيل له : لاتطع أحدهما ، وهو أعم في النهي من كونه منهيًا^(٢) عن طاعتهما ، فإنه لو قيل له : لاتطعهما ، أو لاتطع آثما وكفورا لم يكن صريحا في النهي عن طاعة كل منهما بمفرده .

الآيتان :
٢٦ ، ٢٥

ولما كان لاسبيل إلى الصبر إلا بتعويض القلب بشيء هو أحب إليه من فوات ما يصبر على فوته أمره بأن يذكر ربه سبحانه بكرة وأصيلا - فإن ذكره أعظم العون على تحمل مشاق الصبر - وأن يصبر لربه بالليل فيكون قيامه بالليل عونًا على ما هو بصده بالنهار^(٣) ، ومادة لقوته ظاهراً وباطناً، ولنعيمه عاجلاً وآجلاً .

ثم أخبر سبحانه عما يمنع العبد من إيثار ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة ، وهو حب العاجلة وإيثارها على الآخرة تقديمًا لداعي الحس على داعي العقل^(٤) .

ثم ذكر سبحانه خلقهم وإحكامه وإتقانه بما شدد من أسرهم^(٥) ، وهو ائتلاف الأعضاء والمفاصل والأوصال وما بينها^(٦) من الرباطات وشد بعضها

(١) وذلك في بقية آية ٢٤ : (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) .

(٢) في الأصل : منهي .

(٣) في قوله تعالى : (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الليل فاسجد له وسبحه

ليلا طويلا) [الآيتان : ٢٥ ، ٢٦] .

(٤) قال تعالى : (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) [الآية ٢٧] .

(٥) وذلك في أول آية ٢٨ : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) .

(٦) في الأصل : وما بينها .

ببعض ، وحقيقته ^(١) القوة ، ومنه قول الشاعر :

من كل مُجْتَنِبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ سَلَسِ الْقِيَادِ تَخَالُهُ مُخْتَالاً ^(٢)

ولا يكون ذلك إلا فيما له شد ورباط ، ومنه الإِسَارُ ، وهو الحبل الذي يُشَدُّ به الأسير .

ثم أخبر سبحانه أنه قادر على أن يبدل أمثالهم بعد موتهم ، وأنه إذا شاء ذلك فعله ^(٣) . و « إذا » للمُحَقِّق ، فهذا التبديل واقع لاحتمال ، فهو الإعادة التي هي مثل البداءة .

هذا هو معنى الآية ، ومن قال غير ذلك لم يصب معناها ، ولا توحشك لفظة « المثل » ، فإن المعاد مِثْلٌ للبَدْوِ وإن كان هو بعينه ، فهو مُعَادٌ ، أو هو مثله من جهة المغايرة بين كونه مبدئاً ومعاداً . وهذا كالدار إذا تهدمت وأعيدت بعينها فهي الأولى ، وكذلك الصلاة المعادة هي الأولى وهي مثلها .

(١) في الأصل : وحقيقة - بتشديد الياء الثانية - والوجه ما أثبت لأن الضمير في قوله « حقيقته » عائد على الأسر .

(٢) البيت للأخطل في ديوانه ، ص ٤٦ (ط . بيروت ، ١٨٩١) ؛ وتفسير الطبري ٢٩ / ١٣٩ . وهو من قصيدته التي مطلعها :

كذبتك عيْنُكَ أم رأيتَ بَوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خِيَالاً

وقبل بيت الشاهد :

أَبْنَى كُلِّيبٍ إِنْ عَمَى اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَا

وَأَخُوهُمَا السَّفَاحَ ظَنّاً خَيْلَهُ حَتَّى وَرَدْنَ جَبَى الْكُلَابِ نِهَالَا

يَخْرُجْنَ مِنْ ثَغْرِ الْكُلَابِ عَلَيْهِمْ خَبَبَ السَّبَاعِ تَبَادُرَ الْأَوْشَالَا

من كل مجتنب

قال شارح الديوان : « مجتنب : مفتعل من الجنيبة ، وكانوا يركبون الإبل ويمجنون الحيل ، فإذا صاروا إلى الحرب ركبوا الحيل . وأسره : خلقه ، ومنه قوله جل وعز : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) ومختال : كان فيه اختيالا من فرجه ونشاطه » .

(٣) وذلك في باقى آية ٢٨ : (وإذا شئنا بدك أمثالهم تبديلاً)

وقد نطق القرآن بأنه سبحانه / يعيدهم ويعيد أمثالهم إذ شاء ، وكلاهما واحد
 فقال : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٩] ، وقال تعالى :
 ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥] ، وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [سورة الروم : ٢٧] ، وقال : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾
 [سورة يس : ٨١] ، وقال إنا لقادرون : ﴿ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ
 فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
 [سورة الواقعة : ٦١ ، ٦٢]

فهذا كله معاد الأبدان ، وقد صرح سبحانه بأنه خلق جديد في موضعين
 من كتابه^(١) . وهذا الخلق الجديد هو « المثل » .

ثم ختم سبحانه السورة بالشرع والقدر كما افتتحها بالخلق والهداية ، فقال : الآية : ٢٩
 ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [الآية ٢٩] ، فهذا شرعه ومحل أمره ونهيهِ ؛
 ثم قال : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الآية ٣٠] ، فهذا قضاؤه وقدره ؛
 ثم ذكر الاسمين الموجبتين للتخصيص وهما اسم : العليم الحكيم^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ، فأخبر أن مشيئتهم موقوفة
 على مشيئته ، ومع هذا فلا يوجب ذلك حصول الفعل منهم ، إذ أكثر ما فيه أنه
 جعلهم شائين ، ولا يقع الفعل إلا حين يشاؤه منهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ
 ذَكَرْهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الدثر : ٥٦ ، ٥٥] وقال :
 ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة التكوير :
 ٢٨ ، ٢٩] ، ومع هذا فلا يقع الفعل منهم حتى يريد من نفسه إعانتهم وتوفيقهم .
 فهنا أربع إرادات : إرادة البيان ، وإرادة المشيئة ، وإرادة الفعل ، وإرادة
 الإعانة ، والله أعلم .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما .

(١) لعله يقصد الآية ١٩ من سورة إبراهيم والآية ١٦ من سورة فاطر ونس كل
 منهما : (لِمَنْ يَشَاءُ يَهْدِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) .

(٢) وهو في باقي الآية ٣٠ : (إِنْ أَرَادَ اللَّهُ كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا) .

رِسَالَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ

﴿ فصل ﴾

قال الله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [سورة البقرة : ٧٥] . ٤٥

قال علي بن أبي طالب : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا انقطع الرأس بَارَ الجسد ، ألا لا إيمان لمن لا صبر له » .^(١)

فالصبر على أداء الواجبات واجب ، ولهذا قرنه بالصلاة في أكثر من خمسين موضعاً ، فمن كان لا يصل من جميع الناس - رجالهم ونسائهم - فإنه يؤمر ، فإن امتنع عوقب^(٢) بإجماع المسلمين . ثم أكثرهم يوجبون قتل تارك الصلاة ، وهل يقتل كافراً مرتدّاً أو فاسقاً ؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره . والمنقول عن أكثر السلف يقتضي كفره ، وهذا مع الإقرار بالوجوب ، فأما [مع] جحود الوجوب^(٣) فهو كافر بالاتفاق .

ومن ذلك تعاهد مساجد المسلمين وأئمتهم ، وأمرهم بأن يصلوا بهم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صَلُّوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري^(٤) . وصلى مرة بأصحابه على طرف المنبر وقال : إنما فعلت هذا لتأتموا بي وتعلموا صلاتي .

فعلى إمام الصلاة أن يصل بالناس صلاةً كاملة ، لا يقتصر على ما يجوز للمنفرد

(١) جاء في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (ط . المعارف) ١/٣٢٤ : « من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : ... وعليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فكما لا خير في جسد لا رأس له ، لا خير في إيمان لا صبر معه » .

(٢) في الأصل : عوقبوا . (٣) في الأصل : فأما جحود الوجوب .

(٤) هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه ١/١٢٤ (كتاب الصلاة ، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة .. الخ) وأوله : « حدثنا مالك : أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون .. الخ » ، ورواه مرة أخرى ٨٦/٩ - ٨٧ (كتاب خبر الواحد ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد .. الخ) وروى الحديث عن مالك بن الحويرث أحمد في مسنده (ط . الحلبي) ٥/٥٣ .

الاقتصار عليه إلا لعذر ، وكذلك على إمامهم في الحج وأميرهم في الحرب .
 ألا ترى الوكيل والولى في البيع والشراء عليه أن يتصرف لموكله ولموَلَّيه على
 الوجه الأصح له في ماله ، وهو في مال نفسه يفوت [على] نفسه^(١) ماشاء ، فأمر الدين
 أهم ، ومتى اهتمت^(٢) الولاية بإصلاح دين الناس صلح الدين للطائفتين والدنيا ، وإلا
 اضطربت الأمور عليهم جميعاً .

وملاك ذلك حسن النية للرعية ، وإخلاص الدين كله لله عز وجل ،
 والتوكل عليه ، فإن الإخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة ،
 كما أمرنا أن نقول في صلاتنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، فهاتان
 الكلمتان^(٣) قد قيل إنهما تجمعان معاني الكتب المنزلة من السماء .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان مرة في غزاة فقال : « يا مالك يوم الدين ،
 إياك نعبد وإياك نستعين » فجعلت الرءوس تندرج عن كواهلها^(٤) .

وقد ذكر ذلك في غير موضع من كتابه كقوله عز وجل : ﴿ فَاعْبُدْهُ
 وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [سورة هود : ١٢٣] ، وقوله : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
 أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : ٨٨] ، [سورة الشورى : ١٠] . وكان صلى الله عليه وسلم
 إذا ذبح أضحيته قال : « منك وإليك »^(٥) .

(١) في الأصل : يفوت نفسه .

(٢) في الأصل : اهت .

(٣) في الأصل : فهاتان الكلمتين .

(٤) ندر الشيء يندر ندوراً سقط . وفي الدر المنثور ١/ ١٤ : « وأخرج أبو القاسم البغوي
 والماوردي معاً في معرفة الصحابة ، والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الدلائل عن أنس
 بن مالك عن أبي طلحة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقى العدو ، فسمته
 يقول : يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين . قال : فلقد رأيت الرجال تصدع ، تضربها
 الملائكة من بين يديها ومن خلفها » .

(٥) أخرج أبو داود في سننه ٣ / ١٢٦ عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله
 عليه وسلم ذبح يوم الذبح كبشين أقرنين وأن مما قاله عند ذلك : « اللهم منك ولك » عن محمد
 وأمثه . وانظر جامع الأصول ٤ / ١٤٨ - ١٤٩ .

وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن ، والإحسان إلى الناس بالنفع والمال الذي هو الزكاة ، والصبر / على أذى الخلق وغيره من النوائب . ط ٢٠٥
فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية ، وإذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة عرف [ما] يدخل في الصلاة^(١) من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه ، وفي الزكاة [من]^(٢) الإحسان إلى الخلق بالمال والنفع : من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل معروف صدقة »^(٣) ، فيدخل فيه كل إحسان ولو يبسط الوجه والكلمة الطيبة .

ففي الصحيح عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدّمه ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدّمه ، وينظر أمامه فيستقبل النار ، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة »^(٤) .

وفي السنن « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه

(١) في الأصل : إذا عرف الإنسان ... عرف يدخل في الصلاة .. الخ .

(٢) من : ليست في الأصل .

(٣) الحديث عن جابر في البخاري ١١/٨ (كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة) ؛ وعن حذيفة في : مسلم ٨٢/٣ (كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) .

(٤) الحديث في البخاري ١١٢/٨ (كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب) ؛ مسلم ٨٦/٣ (كتاب الزكاة ، باب المثل على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار) ؛ سنن ابن ماجه ١/٦٦ (المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية) ، ص ٥٩٠ (كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة) .

طلق»^(١). وفي رواية : « ووجهك إليه منبسط ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى » .

وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفوع عن الناس ومخالفة الهوى وترك الأشر والبطر ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْتُوسٌ كَفُورٌ ﴾ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية [سورة هود : ٩ - ١١] .

وقال الحسن البصري : « إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش^(٢) : ألا ليقم من أجره على الله ؛ فلا يقوم إلا من عفا وأصلح » .
وليس من حسن النية للرعية والإحسان إليهم أن يفعل ما يهونه ويترك ما يكرهونه^(٣) . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧١] . وقال لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ [سورة المجرات : ٧] .

(١) الحديث عن أبي ذر رضى الله عنه في : مسلم ٣٧/٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء) ؛ وهو من جابر رضى الله عنه في سنن الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٤٦/٨ - ١٤٧ (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر) وفيه : « وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك » . وقال الترمذى : « وفي الباب عن أبي ذر » وقال : « هذا حديث حسن » .

(٢) في لسان العرب (بطن) . « وفي الحديث : ينادى مناد من بطنان العرش ، أى من وسطه ، وقيل : من أصله ، وقيل : البطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض ، يريد : من دواخل العرش » .

(٣) في الأصل : أنه تفعل ما يهونه ويتكون ما يكرهونه .

رسالة في تحقيق النول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم
تسلماً . أما بعد ، فهذا :

﴿ فصل في التوكل ﴾

قد ظن طائفة ممن تكلم في أعمال القلوب أن التوكل لا يحصل به جلب
منفعة ولا دفع مضرة ، بل ما كان مقدراً بدون التوكل فهو مقدّر مع التوكل ،
ولكن التوكل عبادة يُثاب عليها من جنس الرضا بالقضاء ، وذكر ذلك
أبو عبد الله بن بطة فيما صنفه في هذا الباب ^(١) . وقول هؤلاء يشبه قول من قال :
إن الدعاء لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل هو عبادة يُثاب عليها
كرمي الجمار ، وآخرون يقولون : بل الدعاء علامة وأمانة ، ويقولون ذلك في
جميع العبادات ، وهذا قول من ينفي الأسباب في الخلق والأمر ويقول : إن الله
يفعل عندها لا بها ، وهو قول طائفة من متكلى أهل الإثبات للقدر كالأشعري
وغيره ، وهو قول طائفة من الفقهاء والصوفية .

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة ،
ولد سنة ٣٠٤ وتوفي سنة ٣٨٧ ، من كبار فقهاء الحنابلة والمحدثين ومن أهم مصنفاته :
الإبانة الكبرى والإبانة الصغرى . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢ / ١٤٤ - ١٥٣ ؛
شذرات الذهب ٣ / ١٢٢ - ١٢٤ ؛ الأعلام ٤ / ٣٥٤ .

ولعل الإشارة هنا إلى كتاب « الإبانة الكبرى » إذ أن المجلد الثاني منه يحتوي على
أربعة أجزاء في القدر . انظر تعليق الأستاذ فؤاد سيد على ترجمة ابن بطة في العبر للذهبي ٣ /
٣٥ ؛ وانظر فهرس الحزانة التيمورية ٤ / ٣ (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠) .

وأصل هذه البدعة من قول جهم ، فإنه كان غالباً^(١) في نفى الصفات وفي الجبر ، فجعل من تمام توحيد الذات نفى الصفات ، ومن تمام توحيد الأفعال نفى الأسباب ، حتى أنكر تأثير قدرة العبد ، بل نفى كونه قادراً ، وأنكر الحكمة والرحمة ، وكان يخرج إلى الجذمي فيقول : أرحم الراحمين يفعل كل هذا !؟ يعني أنه يفعل بمحض المشيئة بلا رحمة ، وقوله في القدر قد يقرب إليه الأشعري ومن وافقه من الطوائف .

والذي عليه السلف والأئمة والفقهاء والجمهور وكثير من أهل الكلام إثبات الأسباب ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة مع دلالة الحس والعقل ، والكلام على هؤلاء مبسوط في مواضع آخر .

والمقصود هنا الكلام على التوكل ، فإن الذي عليه الجمهور أن التوكل يحصل له بتوكله من جلب المنفعة ودفع المضرة مالا يحصل لغيره ، وكذلك الداعي ؛ والقرآن يدل على ذلك في مواضع كثيرة . ثم هو سبب عند أكثرين ، وعلامة عند من ينفي الأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

التوكل عند الجمهور يجلب المنفعة ويدفع المضرة وهو سبب عند الأكثرين

ط ٧٤

[سورة الطلاق : ٢ ، ٣] ، والحسب الكافي فبين أنه كافٍ مَنْ توكل عليه ، وفي الدعاء : يا حَسْبَ المتوكل ، فلا يُقال : هو حسب غير المتوكل كما هو حسب المتوكل ، لأنه علق هذه الجملة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط ، فيمتنع في مثل ذلك أن يكون وجود الشرط كعدمه ، ولأنه رتب الحكم على الوصف المناسب له ، فَعلم أن توكله هو سبب كونه حسباً له ، ولأنه ذكر ذلك في سياق الترغيب في التوكل كما رغب في التقوى ، فلو لم يحصل للمتوكل من الكفاية

توكل المؤمن على الله هو سبب كونه حسباً له

ما لا يحصل لغيره لم يكن ذلك مرغبا في التوكل ، كما جعل التقوى سببا للخروج من الشدة وحصول الرزق من حيث لا يحتسب . وقد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، فدحوه سبحانه بأنه نعم الوكيل لما توكلوا عليه بقولهم : حسبنا الله ، أى كافينا الله : لا يستحق المدح إن لم يجلب لمن توكل عليه منفعة ويدفع عنه مضرة ، والله خير من توكل العباد عليه ، فهو نعم الوكيل : يجلب لهم كل خير ويدفع عنهم ^(١) كل شر .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [سورة الزمل : ٨ ، ٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢] فأمر أن يتخذ وكيلاً ، ونهى أن يتخذ من دونه وكيلاً ، لأن الخلق لا يستقل بجميع حاجات العبد ، والوكالة الجائزة أن يؤكل الإنسان في فعل يقدر عليه ، فيحصل للموكل بذلك بعض مطلوبه ، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله ، وذلك الذى يؤكله لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل وقدرته ، فليس له أن يتوكل عليه وإن وكَّله ، بل يعتمد على الله في تيسير ما وكَّله فيه ، فلو كان الذى يحصل للموكل على الله يحصل وإن توكل على غيره ، أو يحصل بلا توكل ، لكان اتخاذ بعض الخلقين وكيلاً أنفع من اتخاذ الخالق وكيلاً ، وهذا من أفتح لوازم هذا القول الفاسد . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٦٤] ، أى الله كافيك وكافى من اتبعك من

(١) فى الأصل : لهم .

المؤمنين ، فلو كانت كفايته / للمؤمنين المتبعين للرسول - سواء اتبعوه أو لم يتبعوه - لم يكن للإيمان واتباع الرسول ثم [أثر]^(١) في هذه الكفاية، ولا كان لتخصصهم بذلك معنى ، وكان هذا نظيراً أن يقال : هو خالقك وخالق من أتبعك من المؤمنين ، ومعلوم أن المراد خلاف ذلك .

وإذا كان الحسب معنى^(٢) يختص به بعض الناس ، علم أن قول المتوكل : حسبي الله ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [سورة الطلاق : ٣] أمر مختص لا مشترك ، وأن التوكل سبب ذلك الاختصاص ، والله تعالى إذا وعد على العمل بوعده أو خص أهله بكرامة ، فلا بد أن يكون بين وجود ذلك العمل وعدمه فرق في حصول تلك الكرامة ، وإن كان قد يحصل نظيرها بسبب آخر ، فقد يكفى الله بعض من لم يتوكل عليه كالأطفال ، لكن لا بد أن يكون للمتوكل أثر في حصول الكفاية الحاصلة للمتوكلين ، فلا يكون ما يحصل من الكفاية بالتوكل حاصلًا مطلقاً وإن عدم التوكل ، وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ * فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤] ، فعقب هذا الجزاء والحكم لذلك الوصف والعمل بحرف الفاء وهي تفيد السبب ، فدل ذلك على أن ذلك التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله وفضل ، وأن هذا الجزاء جزاء على ذلك العمل .

التوكل سبب
نعمة الله وفضله

وفي الأثر : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، فلو كان التوكل لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة لم يكن التوكل أقوى من غيره .

(١) كلمة (أثر) ليست في الأصل ، وزدتها ليستقيم الكلام .

(٢) كلمة « معنى » لم يظهر منها غير الحروف الثلاثة الأخيرة ، ورجعت أن تكون

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ١ - ٣] .
وقال في أثناء السورة: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية ٤٨] .

فأمره سبحانه بتقواه واتباع ما يوحي إليه وأمره بالتوكل ، كما جمع بين هذين الأصلين في غير موضع كقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود: ١٢٣] وقوله: ﴿وَتَبْتَغِلْ إِلَيْهِ تَتَبْتِلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة الزمل: ٨ ، ٩] ، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: ٨٨] ، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المتحنة: ٤] ، وقوله تعالى: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٠] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٢ ، ٣] .

ظ ٧٥

وقوله تعالى في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، وعلم القرآن جمع في الفاتحة ، وعلم الفاتحة في هذين الأصلين : عبادة الله والتوكل عليه .

وإذا أفرد لفظ العبادة دخل فيه التوكل ، فإنه من عبادة الله تعالى كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة: ٢١] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الفاربات: ٥٦] ، وإذا قُرِنَ به التوكل كان مأموراً به بخصوصه .

وهذا كلفظ الإسلام والإيمان والعمل ، ولفظ الصلاة مع العبادة ومع اتباع

الكتاب ، ولفظ الفحشاء والبغى مع المنكر ، ونظائر ذلك متعددة

فكون اللفظ عند تجرده وإفراده يتناول أنواعاً ، وقد يُعطف بعض تلك الأنواع عليه فيكون مأموراً به بخصوصه ، ثم قد يُقال : إذا عُطف لم يدخل في المعطوف عليه ، وقد يُقال : بل أمر به خاصاً وعمماً ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَلَأْنِيكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [سورة البقرة : ٩٨] ، وإذا كان الله أمره بالتوكل على الله ، ثم قال : ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب : ٣] عُلِمَ أن الله وكيل كاف لمن توكل عليه ، كما يقال في الخطبة والدعاء : الحمد لله كافي من توكل عليه .

وإذا كان كفى به وكيلاً فهذا مختص به سبحانه ، ليس غيره من الموجودات كفى به وكيلاً ، فإن من يتخذ وكيلاً من المخلوقين غايته أن يفعل بعض الأمور ، وهو لا يفعلها إلا بإعانة الله له ، وهو عاجز عن أكثر المطالب . فإذا كان سبحانه وصف نفسه بأنه كفى به وكيلاً ، عُلِمَ أنه يفعل بالتوكل عليه ما لا يحتاج معه إلى غيره في جلب المنافع ودفع المضار ، إذ لو تبق شر لم يكن كفى به وكيلاً . وهذا يقتضى بطلان ظن من ظن ^(١) أن التوكل عليه لا يحصل له بتوكله عليه جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل يجرى عليه من القضايا ما كان يجرى لو لم يتوكل عليه .

والذين ظنوا هذا أصل شبهتهم أنهم لما أنبتوا أن الله إذا قضى شيئاً فلا بد أن يكون ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما سبق به علمه فهو كائن لا محالة ، صاروا يظنون ما يوجد بسبب وجود بدونه ، وما يوجد مع عدم المانع يوجد مع المانع .

(١) في الأصل : وهذا يقتضى قول ظن لمن ظن ، وهي بينة التحريف .

وهذا غلط عظيم ضل فيه طوائف . طائفة قالت : لا حاجة إلى الأعمال المأمور بها ، فإن من خلق للجنة فهو يدخلها وإن لم يؤمن ، ومن خلق للنار فهو يدخلها وإن آمن .

وهذه الشبهة سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : « ما منكم من أحد إلا وقد عليم مقعده من الجنة والنار . قالوا : أولاً / ندع العمل وتنسكل على الكتاب ؟ فقال : لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فسييسر إلى عمل أهل الشقاء »^(١) .

وهذا المعنى قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح في مواضع تبين أن ما سبق به الكتاب سبق بالأسباب التي تفضي إليه ، فالسعادة سُبقت بأن صاحبها يُستعمل فيما يصير به سعيداً ، والشقاوة سُبقت بأن صاحبها يُستعمل فيما يصير به شقياً ، فالقدر يتضمن الغاية وسببها ، لم يتضمن غاية بلا سبب ، كما تضمن أن هذا يُولد له بأن يتزوج ويطلق المرأة ، وهذا ينبت أرضه بأن يزرع ويسقى الزرع وأمثال ذلك .

وكذلك في السنن أنه قيل له : « يا رسول الله ، أرأيت أدوية تداوى بها ورقي نسترقها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ »^(٢) فقال : هي من قدر الله »^(٣) ،

(١) هذا الحديث مروي مع اختلاف في اللفظ عن علي رضي الله عنه في أكثر كتب السنة وفي عدة مواضع . انظر مثلاً : البخاري ١٢٣/٨ - ١٢٤ (كتاب القدر ، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ؛ مسلم ٤٦/٨ (كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه . . الخ) ؛ سنن أبي داود ٤ / ٣٠٧ - ٣٠٨ (كتاب السنة ، باب القدر) ؛ المسند (ط . المعارف) الأرقام : ٦٢١ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١١١٠ ، ١١٨١ ، ١٣٤٨ ، وانظر مفتاح كنوز السنة : القدر .

(٢) في الأصل : هل ترد من قدر الله شيئاً ، وأكثر الروايات التي رأيتها فيها : . . من قدر الله شيئاً .

(٣) الحديث مروي عن أبي خزيمة رضي الله عنه في سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ٢٢٤/٨ (كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقي والأدوية) وقال الترمذي : هذا حديث =

بَيِّنَ أَنَّ الأسبابَ التي تُدْفَعُ بها المكارِه هي من قِدرِ الله ، ليس القدر مجرد دفع المكروه بلا سبب .

وكذلك قول من قال : إن الدعاء لا يؤثر شيئاً والتوكل لا يؤثر شيئاً هو من هذا الجنس ، لكن إنكار ما أمر به من الأعمال كفر ظاهر ، بخلاف تأثير التوكل^(١) ، لكن الأصل واحد ، وهو النظر إلى المقدور مجرداً عن أسبابه ولوازمه . ومن هذا الباب أن المقتول يموت بأجله عند عامة المسلمين ، إلا فرقة من القدرية قالوا إن القاتل قطع أجله ، ثم تكلم الجمهور : لو لم يقتل ؟ فقال : بعضهم : كان يموت لأن الأجل قد فرغ ، وقال بعضهم : لا يموت لانتفاء السبب .

وكلا القولين قد قاله من ينتسب إلى السنة ، وكلاهما خطأ ، فإن القدر سبق بأنه يموت فهذا السبب لا بغيره ، فإذا قُدِّرَ انتفاء هذا السبب كان فرض خلاف ما في المقدور ، ولو كان المقدور أنه لا يموت بهذا السبب أمكن أن يكون المقدَّر أنه يموت بغيره ، وأمكن أن يكون المقدَّر أنه لا يموت ، فالجزم بأحدهما جهل ، فما تعددت أسبابه لم يُجْزَمْ بعدمه عند عدم بعضها ، ولو لم يُجْزَمْ بثبوته إن لم يعرف له سبب آخر ، بخلاف ما ليس له إلا سبب واحد ، مثل دخول النار فإنه لا يدخلها إلا من عصى ، فإذا قُدِّرَ أنه لم يعص لم يدخلها .

قال تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ * **إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** [سورة آل عمران : ١٥٩ ، ١٦٠] ، فأمره إذا عزم أن

نصر الله مع التوكل عليه

ظ ٧٦

== حسن صحيح ، ٣١٥/٨ (كتاب القدر ، باب ما جاء لاترد الرقي ولا الدواء من قِدرِ الله شيئاً) ؛ سنن ابن ماجه ١١٣٧ / ٢ (كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤٢١ / ٣ .
(١) في الأصل : التوكل .

يتوكل على الله ، فلو كان المتوكل لا يعينه على مثل ما عزم عليه لم يكن به عند العزم فائدة ، يبين سبحانه أنه هو الناصر دون غيره فقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فنهى عن التوكل على غيره ، وأمر بالتوكل عليه ليحصل للمتوكل عليه النصر الذى لا يقدر عليه غيره ، وإلا فالتوكل على غيره يطلب منه النصر ، فإن كان ذلك المطلوب لا يحصل منه لم يكن لذكر انفراده بالنصر معنى ، فإنه على هذا القول نصره لمن توكل عليه كنفه لمن لم يتوكل عليه ، وهذا يناقض مقصود الآية ، بل عند هؤلاء قد ينصر من يتوكل على غيره ولا ينصر من توكل عليه ! فكيف يأمر بالتوكل عليه دون غيره مقرونا بقوله : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [سورة الزمر : ٣٦] ، إلى قوله : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٨] ، فبين أن الله يكفى عبده : الذى يعبد ، الذى هو من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ، الذين هم من عباده المخلصين ، الذين هم من عباد الرحمن ، الذين يمشون على الأرض هوناً ، الذين هم من عباد الله الذين يشربون من عين يفجرؤها تفجيراً .

ومثل هذا قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [سورة الجن : ١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣] ونظائر ذلك متعددة ، ثم أمره بقوله : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِن كَانَ كِبَرُ
عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشُرَّكَاءَ كُفْرُكُمْ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾
[سورة يونس : ٧١] .

توكل المرسلين
يدفع عنهم شر
أعدائهم

وكذلك قال عن هود لما قال لقومه : ﴿ إِن تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ
آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ
دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ
مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
[سورة هود : ٥٤ - ٥٦] ، فهذا من كلام المرسلين مما يبين أنه بتوكله على
الله يدفع شرهم عنه .

فنوح يقول : ﴿ إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بآيَاتِ اللَّهِ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَّكَاءَ كُفْرُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ
عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ ، فدعاهم إذا استعظموا ما يفعله
كارهين له أن يجتمعوا ثم يفعلوا به ما يريدونه من الإهلاك ، وقال تعالى :
﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فلولا أن^(١) تحقيقه هذه الكلمة ، وهو توكله على الله ،
يدفع ما تحداهم به ودعاهم إليه تعجيزاً لهم من مناجزته ، لكان قد طلب منهم
أن يهلكوه ، وهذا لا يجوز ، وهذا طلب تعجيز لهم ، فدل على أنه بتوكله على
الله يمجزهم عما تحداهم به .

وكذلك هود يشهد الله وإياهم أنه بريء مما يشركونه بالله ، ثم يتحداهم
وبعجزهم بقوله : ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى

(١) في الأصل : أنه .

اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿١﴾ ، يَبَيِّنُ أَنَّهُ تَوَكَّلَ عَلَى
 مِنْ أَخَذَ بِنَوَاصِي الْأَنْفُسِ وَبَسَائِرِ الدُّوَابِّ ، فَهُوَ يَدْفَعُكُمْ عَنِ الْأَثَى مَتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ ،
 وَلَوْ كَانَ وَجُودُ التَّوَكُّلِ كَمُدِّهِ فِي هَذَا لَكَانَ قَدْ أَغْرَاهُم بِالْإِيقَاعِ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ
 لَذِكْرِ تَوَكُّلِهِ فَائِدَةٌ ، إِذْ كَانَ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ تَوَكَّلَ
 وَمَنْ لَمْ يَتَوَكَّلْ فِي وَصُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِ ، وَهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ وَأَقْوَى مِنْهُ ، فَكَانُوا
 يَهْلِكُونَ لَوْلَا قُوَّتُهُ بِتَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ التَّوَكُّلَ إِنْ لَمْ يَعْطِهِ قُوَّةَ فَهْمٍ أَقْوَى مِنْهُ ،
 وَهُوَ لَوْ قَالَ بَأَنَّ اللَّهَ مُوَلَايَ وَنَاصِرِي وَنَحْوَ ذَلِكَ لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ [قَالَهُ] خَيْرٌ ^(١) ، فَاللَّهُ
 يَدْفَعُهُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا يَدْفَعُهُمْ لِإِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَلِأَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ رُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، فَإِذَا كَانَ بِسَبَبِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى يَدْفَعُ اللَّهُ
 عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
 [سورة الحج : ٣٨] ، عَلَّمَ أَنَّ الْعَبْدَ تَقُومُ بِهِ أَعْمَالُ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ يَجْلِبُ بِهَا الْمُنْفَعَةُ
 وَيُدْفَعُ بِهَا الْمَضَرَّةُ ، فَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ ، وَعَلَّمَ أَنَّ مِنْ ظَنِّ أَنَّ الْمُقَدَّرَ مِنَ
 الْمُنَافِعِ وَالْمَضَارِّ لَيْسَ مَعْلُوقًا بِالْأَسْبَابِ بَلْ يَحْصُلُ بِدُونِهَا فَهُوَ غُلْطٌ .

غلط من أنكر
 الأسباب أو
 جعلها مجرد
 أماره وعلامة

وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ مَجْرَدَ أَمَارَةٍ وَعَلَامَةٍ ، لِاقْتِرَانِ هَذَا بِهِذَا فِي غَيْرِ
 مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي الْمَاءِ فَأَخْرَجْنَا
 بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٧] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كُلُوا
 وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] ، وَقَوْلِهِ
 تَعَالَى : ﴿ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة : ١٧] ^(٣) .

(١) فِي الْأَصْلِ : لَعَلَّمْنَا أَنَّهُ خَيْرٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : سَبَبٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : (جَزَاءُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وَهُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ أَوْ الْمَوْلُفِ .
 (٧ جَامِعُ الرِّسَالَةِ - ١)

/ وأنكر تعالى على من ظن وجود الأسباب كعدمها في قوله تعالى :
﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥] ، وقوله تعالى :
﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة س : ٢٨] ، وأمثال ذلك .

وهؤلاء الذين يقولون بالجبر قالوا بالأمر والنهي : حقيقة أنه إعلام
بوقوع العذاب بالمعاصي بمحض الشيئ لا لسبب ولا لحكمة ، فقلبوا حقيقة
الأمر^(١) والنهي إلى الجبر ، كما أبطلوا الأسباب والحكم وأبطلوا قُدر العباد ،
وهم وإن كانوا يردون على القدرية ، ويذكرون من تناقضهم ما يبين به فساد
قول القدرية ، فردوا باطلا بباطل ، وقابلوا بدعة ببدعة ، كرد اليهود على
النصارى ، والنصارى على اليهود مقاتلتهم في المسيح ، وكلا المقاتلين باطلة ،
وكذلك تقابل الخوارج والشيعة في عليّ ، كلاهما باطل على باطل ،
ونظائره متعددة .

﴿ فصل ﴾

فرض الله الدعاء
على العباد
لافتقارهم إلى
هدايته

وإن ما^(٢) فرض عليه من الدعاء الراتب الذي يتكرر [في] الصلوات^(٣) ،
بل الركعات ، فرضها ونفلها ، هو الدعاء الذي تضمنته أم القرآن ، وهو قوله تعالى :
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، لأن كل عبد فهو مضطر دائماً إلى مقصود هذا الدعاء ،
وهو هداية الصراط المستقيم ، فإنه لاجتاة من العذاب إلا بهذه الهداية ، ولا وصول

(١) في الأصل : الآية ، وهو تحريف .

(٢) رسمت في الأصل : وإنما ، موصولة .

(٣) في الأصل : من الدعاء الراتب التي يتكرر الصلوات .

إلى السعادة إلا به ، فمن فاته هذا الهدى فهو إما من المفضوب عليهم وإما من الضالين .

وهذا الاهتداء لا يحصل إلا بهدى الله ، فمن يهده ^(١) الله فهو المهتدى ﴿وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [سورة الكهف : ١٧] . وهذه الآية مما يتبين بها فساد مذهب القدرية الذين يزعمون أن العبد لا يفتقر في حصول هذا الاهتداء إلى الله ، بل كل عبد عندهم معه ما يحصل به الاهتداء ، والكلام عليهم مبسوط في موضع آخر .

والمقصود هنا أن كل عبد فهو مفتقر دائماً إلى حصول هذه الهداية . وأما سؤال من يقول : فقد هدام إلى الإيمان فلا حاجة إلى الهدى ، وجواب من يجب أن المطلوب دوام الهدى ، فكلام من لم يعرف حقيقة حال الأسباب وما أمر به ، فإن الصراط المستقيم أن تفعل في كل وقت ما أمرت به في ذلك الوقت من علم وعمل ولا تفعل ما نهيت عنه ، وهذا يحتاج إليه في كل وقت/ إلى أن يعلم ما أمر به في ذلك الوقت وما نهى عنه ، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل للأمور ، وكراهة جازمة لترك المحظور . وهذا ^(٢) العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد ، بل في كل وقت يحتاج أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهدي به في ذلك الوقت . نعم حصل له هدى مجمل ، فإن القرآن حق ، ودين الإسلام حق ، والرسول ونحو ذلك ، ولكن هذا الهدى المجمل لا يعينه إن لم يحصل له هدى مفصل في كل ما يأتيه ويدبره من الجزئيات التي يحار في كثير منها أكثر عقول الخلق ، ويغلب الهوى أكثر الخلق لقلبة الشبهات والشهوات على النفوس .

ص ٧٨

(١) في الأصل : فمن يهديه .

(٢) في الأصل : وهذه .

والإنسان خلق ظلوماً جهولاً ، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر ، فيحتاج دائماً إلى علم مفصل يزول به جهله ، وعدل في محبته وبفضه ، ورضاه وغضبه ، وفعله وتركه ، وإعطائه ومنعه ، وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدل ينافي ظلمه ، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل ، وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم ، وقد قال تعالى لنبيه بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح : ١-٣] ، فأخبر أنه فعل هذا ليهديه صراطاً مستقيماً ، فإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ؟ .

والصراط المستقيم قد فُسر بالقرآن ، والإسلام ، وطريق العبودية ، وكل هذا حق ، فهو موصوف بهذا وبغيره ، فحاجته إلى هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته ، بخلاف الحاجة إلى الرزق والنصر ، فإن الله يرزقه ، وإذا اقطع رزقه مات ، والموت لا بد منه ، فإن كان من أهل الهداية كان سعيداً ، وإن كان بعد الموت ، وكان الموت موصله إلى السعادة الدائمة الأبدية ، فيكون رحمة في حقه . وكذلك النصر إذا قُدِّرَ أنه قُهر وغلب حتى قتل ، فإذا كان من أهل الهداية إلى الاستقامة مات شهيداً ، وكان القتل من تمام نعمة الله عليه . فتبين أن حاجة العباد إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الرزق ، بل لانسبة بينهما ، فلهذا كان هذا الدعاء هو المفروض عليهم .

وأيضاً ، فإن الدعاء يتضمن الرزق والنصر ، لأنه إذا هُدِيَ الصراط المستقيم كان من المتقين ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، وكان ممن ينصر الله ورسوله ، ومن نصر الله نصره وكان من جند الله ، وجند الله هم الغالبون ، فالهدى التام يتضمن حصول أعظم ما يحصل به الرزق والنصر .

رسالة في تحفتي الشكر

﴿فصل﴾

يتعلق بالشكر^(١)

المجبرة والقدرية
واللاحدة
الله ولا يشكرونه كما أنهم لا يعبدونه ، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية لا يحمدون الله ولا يشكرونه فهم أبعد عن حمده وشكره .

مقالة المجبرة
وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا مُنعم ، بل ولا إله يستحق أن يُعبد ويُحِب ، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة ، وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا المرجح ، وكل المسكنات عندهم متماثلة ، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم ، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم ؛ يقولون : هذا كله عنده سواء .

ومعلوم أن الإنعام إنما يكون إنعاماً إذا قصد به المنعم نفع المنعم عليه دون إضراره ، وأما إذا قصد الأمرين ، فهذا ليس جملة منعماً مصلحاً بأولى من جملة معتدياً مفسداً ، كمن بيده سيف يضرب به صديق الإنسان تارة وعدوه أخرى ، أو معه دراهم يقوى بها تارة ويقوّيه بها تارة^(٢) ، فهذا ليس كونه محسناً إليه بأولى من كونه ضاراً له ومحسناً إلى عدوه .

مقالة القدرية
النافية
وأما النافية فعندهم أن هذا كله واجب عليه : البيان ، وخلق القدرة ، وإزاحة العلل ، والجزاء . ومن فعل الواجب الذي يستحقه غيره عليه لم يستحق الشكر المطلق .

(١) يتعلق بالشكر : زيادة في (ع) .

(٢) الكلام فيه اختصار والقصود : يقوى بها صديقه تارة ويقوى بها عدوه تارة .

وأيضاً ، إنعامه بالهدى على المؤمنين^(١) والكفار سواء ، فشكر المؤمنين له على الهدى كشكر الكفار عليه ، إذ لم ينعم على المؤمنين^(٢) بنفس الهدى بل هم اهتموا بقدرتهم ومشيتهم ، وإذن كان إنعامه على النوعين سواء ، ولكن هؤلاء هم الذين فعلوا ما يسعدون به .

مقالة الفيلسفة

والمفلسفة : أرسطو وأتباعه - عندهم أنه لا يفعل شيئاً ولا يريد شيئاً ولا يعلم شيئاً ولا يخلق شيئاً ، فعلى أى شيء يُشكر ، أم على أى شيء^(٣) شيء يُحمد ويُعبد ؟

مقالة باطنية
لشيعة والتصوفة

والباطنية : باطنية الشيعة والتصوفة كابن سبعين^(٤) وابن عربي^(٥) - هم في الباطن كذلك ، بل يقولون : الوجود واحد : وجود المخلوق هو وجود الخالق ، فيجب أن يكون كل موجود عابداً لنفسه شاكراً لنفسه حامداً لنفسه .

مقالة ابن عربي

وابن عربي يجعل الأعيان ثابتة في العدم ، وقد صرح بأن الله لم يُعط أحداً شيئاً ، وأن جميع ما للعباد فهو منهم لا منه ، وهو مفتقر إليهم لظهور وجوده في أعيانهم ، وهم مفتقرون إليه لكون أعيانهم ظهرت في وجوده ؛ فإرب إن ظهر

(١ - ١) : سافط من (ك) .

(٢) : أى : سافطة من (ع) .

(٣) : أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المعروف بابن سبعين ، ولد سنة ٦١٣ وتوفى سنة ٦٦٩ . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٥ / ٣٢٩ - ٣٣٠ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٧٧ ؛ لسان الميزان ٣ / ٣٩٢ ؛ فوات الوفيات ١ / ٥١٦ - ٥١٨ ؛ فتح الطيب ٢ / ٣٩٥ - ٤٠٦ ؛ الأعلام ٤ / ٥١ .

(٤) : أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي أو ابن العربي . ولد بمرسية بالأندلس سنة ٥٦٠ وتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ . انظر ترجمته ومصنفاته في : فتح الطيب ٢ / ٣٦١ - ٣٨٤ ؛ شذرات الذهب ٥ / ١٩٠ - ٢٠٢ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٦٣ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٦٥٩ - ٦٦٠ ؛ لسان الميزان ٥ / ٣١١ - ٣١٥ ؛ فوات الوفيات ٣ / ٤٧٨ - ٤٨٢ ؛ إبراهيم بن عداة القاري : مناقب ابن عربي ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، بيروت ، ١٩٥٩ ؛ الأعلام ٧ / ١٧٠ - ١٧١ .

فهو العبد ، والعبد إن بطن فهو الرب^(١) . ولهذا قال : لا تحمد ولا تشكر
إلا نفسك ، فما في أحد من الله شيء ، ولا في أحد من نفسه شيء^(٢) . ولهذا
قال : إنه يستحيل من العبد أن يدعو لأنه يشهد أحدية العين ، / فالداعي هو
المدعو ، فكيف يدعو نفسه ؟^(٣) وزعم أن هذا هو خلاصة غاية الغاية ، فما بعد
هذا شيء . وقال : فلا تطمع أن ترقى في أعلى من هذه الدرج ، فائتم^(٤)
شيء أصلاً ، وإن هذا إنما يعرفه خلاصة خلاصة الخاصة من
أهل الله .

فصرّح بأنه ليس بعد وجود المخلوقات وجود يخلق ويرزق ويُعبّد . ولهذا
كان صاحبه القاضي يقول :

ما الأمر إلا نسقٌ واحدٌ ما فيه من حدٍّ ولا ذمٍّ
وإنما العادة قد خصّصت والطبع والشارع بالحكم^(٥)
وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نَّفْعَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

(١) انظر مثلاً ما يذكره في « فصوص الحكم » ١ / ٧٧ : « فهو الأول والآخر ،
والظاهر والباطن ، فهو عين مظهر ، وهو عين مابطن في حال ظهوره ، وما ثم من براه غيره ،
وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك
من أسماء المحدثات . . الخ » .

(٢) انظر مثلاً ما يذكره في المرجع السابق ١ / ٨٣ : « فلا تصد إلا نفسك ولا تدم
إلا نفسك ، وما يبقى للحق إلا حمد إفاضة الوجود لأن ذلك له لا لك ، فأنت غذاؤه بالأحكام
وهو غذاؤك بالوجود . . الخ » . وانظر كذلك ١ / ٩٦ : « فأعطاه الخير سواء ، ولا أعطاه
ضد الخير غيره ، بل هو منعم ذاته ومعذبا ، فلا يذم ولا نفسه ولا يحمدهن إلا نفسه . .
وليس وجود إلا وجود الحق بصور أحوال ماهي عليه الممكنات في أنفسها وأعيانها » .

(٣) انظر مثلاً المرجع السابق ١ / ١٨٣ : « قال تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
أجيب دعوهم إذا دعاء) إذ لا يكون مجيباً إلا إذا كان من يدعو ، وإن كان عين الداعي
عين الجيب ، فلا خلاف في اختلاف الصور ... الخ » .

(٤) أورد ابن تيمية هذين البيتين في مواضع من رسائله ولم أتبين من كلامه من هو قائلها .
انظر : مجموعة الرسائل والمسائل ١ / ١٧٨ - ١٧٩ (وفيها : والشارع في الحكم) . وقارن
ذلك بما في نفس المجموعة ٤ / ٢٣ ؛ مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط . الرياض) ٢ / ٩٩ .

كفر باطنية
المتصوفة أعظم
من كفر
الفلاسفة

فَالَيْدِ تَجَارُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ ﴿ الآية [سورة النحل: ٥٣، ٥٤] إلى قوله سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [الآية : ٥٧] . وهذه الآيات كما تناولت ذم الذين جعلوا له شريكا ولداً ، فتناولها لدم هؤلاء الملاحدة أعظم . فإن القائلين بقدوم العالم وأنه معلول جموده كله والدلالة^(١) قديماً أزلياً معه ، وهذا أعظم من قول أولئك . والذين لم يجعلوه معلولاً له قالوا : إنه قديم معه واجب الوجود^(٢) مماثل له ، بل وجعلوا الفلك هو الذي^(٣) تحدث عنه الحوادث ، لكن حركته للشبه به^(٤) . وهذا أعظم من كل شرك في العالم ، ومن شرك الجحوس والخرنانيين ، فإن أولئك وإن جعلوا معه قديماً : إما الظلمة - وهي إبليس - عند الجحوس ، وإما النفس والهيولى عند الخرنانيين ، فهم يقولون : إنه أحدث العالم ، وأنه ركب من النفس والهيولى القديمتين ، وركبه من أجزاء النور والظلمة^(٥) .

ولهذا ذكر محمد بن كعب^(٦) وغيره عن الجحوس والصابئة أنهم قالوا عن الله : لولا أولياؤه لذل . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلَى ﴾ [سورة الإسراء : ١١١] ^(٧) ، فإنهم يجعلونه محتاجاً إلى من يعاونه إذ كان

(١) والدلالة : كذا في النسختين .

(٢) الوجود : ساقطة من (ك) .

(٣) عبارته « هو الذي » : ساقطة من (ك) .

(٤) ع : كتشبه به ؛ ك : لتشبيه به .

(٥) انظر مقالة الجحوس والخرنانيين في : الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١ / ٣٤

وما بعدها ؛ الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٢١٠ وما بعدها ٢ / ٥٢ - ٦١ .

(٦) قال ابن حجر في « تقريب التهذيب » ٢ / ٢٠٣ : « محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرطبي المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ، من الثالثة ، ولد سنة أربعين على الصحيح . . مات محمد سنة عشرين (ومائة) وقيل قبل ذلك » .

(٧) أخرج الطبري في تفسيره (ط . بولاق) ١٥ / ١٢٦ : « .. عن القرطبي أنه كان يقول في هذه الآية : (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية . قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولداً . وقالت العرب ليبيك ليبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك . وقال الصابئون والجحوس : لولا أولياء الله لذل الله . فأنزل الله : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن) وكبره أنت يا محمد على ما يقولون تكبيراً » .

مفلوباً من وجهٍ مع القدماء معه ، كما هو غالبٌ من وجهٍ .
وكفر أولئك أعظم ، فإنهم لم يجعلوا له تأثيراً في الفلك ولا تصرفاً بوجه من الوجوه ، فهؤلاء تنقصوه وسلبوه الربوبية والإلهية أعظم من أولئك ، وجعلوه مع الفلك مفلوباً من كل وجهٍ لا يقدر أن يفعل فيه شيئاً ، وكقول عبدة الأوثان : هو أجلُّ من أن نعبد بل نعبد الوسائط ، وهو أجلُّ من أن ييمت بشراً رسولاً ؛ فجددوا توحيدهم ورسالتهم على وجه التعظيم له . وكذلك الجوس النورية أثبتوا الظلمة تنزيهاً له عن فعل الشر ، والخرنابيون أثبتوا معه النفس والمبولي قديمين تنزيهاً له عن إحداث العالم بلا سبب ؛ فالأمر كلهم يعظمونه ، لكن تعظيماً يستلزم شبهةً وسبباً .

كل ما بالخلق
من نعمة فمن الله

والمقصود هنا قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [سورة المجاثية : ١٣] ^(١) ، فالأمر ضد ما قاله هؤلاء للملاحدة : ابن عربي ونحوه - حيث قالوا : ما في أحد من الله شيء . فيقال لهم : بل كل ما بالخلق من نعمة فمن الله وحده .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال إذا أصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر ذلك [اليوم] ، ومن قال إذا أمسى : اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك ، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر تلك الليلة » رواه أبو داود وغيره ^(٢) .

(١) في (ع) كتبت كلمة « السموات » في الآية ثم شطبت ولم تكتب عبارة « وما في » بعدما ، و (ك) لم يكتب الناسخ عبارة « السموات وما في » كلها ، مما يرجع أن نسخة (ك) نقلت عن (ع) أو أنهما نقلتا عن نسخة نائلة .

(٢) اليوم : ساقطة من النسختين . والحديث مع اختلاف في اللفظ عن عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه في سنن أبي داود ٤/٤٣٥ (كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح) وهو في الأذكار للنووي ، ص ٧٤ (ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٧١/١٩٥٢) وقال إن إسناده جيد .

فكل ما باخلق من النعم فنه وحده لا شريك له ، ولهذا هو سبحانه يجمع بين الشكر والتوحيد ، ففي الصلاة أول الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وأوسطها : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . وألخبط وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم^(١) . وعن ابن عباس : إذا قلت : لا إله إلا الله ، فقل : الحمد لله ، فإن الله يقول : ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة غافر : ٦٥] ^(٢) .

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : الحمد لله ربّي لا أشرك به شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله ، ظلّ تُغفر له ذنوبه حتى يمسي ، ومن قالها حين يمسي غُفرت له ^(٣) ذنوبه حتى يصبح » . رواه أبان الحاربي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ذكره ابن عبد البر وغيره^(٤) . فالحمد أول الأمر : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم ، والتوحيد نهايته . ولهذا كان النصف من الفاتحة الذي هو لله أوله^(٥) حمد وآخره توحيد : إياك نعبد .

والحمد رأس الشكر ، فالحمد يشكره أولاً على نعمه^(٦) ، ثم يعبده وحده ، فإن العبد أول ما يعرف ما يحصل له من النعمة ، مثل خلقه حيّاً ، وخلق طرق العلم : السمع والبصر والعقل .

(١) في النسختين : والخطب كل أمر .. الخ . وكان ابن تيمية قد جمع بين معنى أحاديث في الباب رواها أبو داود وابن ماجة والترمذي . انظر الأذكار للنووي ، ص ٢٤٩ .
(٢) ذكر هذا الأثر بمقتضى السيوطي في الدر المنثور ٣٥٧/٥ وقال أخرجه ابن جرير وابن المنذر والحاكم - وصححه - وابن مردويه والبيهقي في « الأسماء والصفات » .
(٣) له : ساقطة من (ع) .

(٤) ذكر ابن عبد البر الحديث في ترجمة أبان الحاربي رضى عنه الله في « الاستيعاب » ٤٨ / ١ (بذيل الإصابة ، ط . التجارية ، ١٣٥٨ / ١٩٣٩) . وذكره ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ، ص ٢١ (ط . حيدرآباد) وفيها : ما من مسلم يقول إذا أصبح .. الخ .

(٥) في النسختين : أول ، وهو تحريف . (٦) ع : على نعمة .

وقد تنازع الناس في أول ما أنعم الله على العبد ، فقيل : هو خلقه حياً أو خلق الحياة ؛ كما قال ذلك من قاله من المعزلة . وقيل : بل إدراك الذات ونيل الشهوات ، كما يقوله الأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيره ، كالقاضي أبي يعلى في أحد قوليهِ . ومن أصحاب أحمد وغيرهم من قال : بل أولها هو الإيمان ، ولم يجعل ما قبل الإيمان نعمة بناءً على أن^(١) تلك لا تصير نعماً إلا بالإيمان ، وأن الكافر ليس عليه نعمة . وهذا أحد قولي الأشعري وأحد القولين لمتأخري أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الفرج .

نعمة الله على
الكفار وغيرهم
ولكن نعمته
المطلقة على
المؤمنين

والصحيح أن نعمة الله على كل أحد : على الكفار وغيرهم ، لكن النعمة المطلقة التامة هي على الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين الذين أمرنا أن نقول في صلاتنا : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿ ، فإن جمّلت « غير » صفة لا استثناء فيها لم يدخل المغضوب عليهم ولا الضالون في المنعم عليهم ، وإن جمّلت استثناء فقد دخلوا في المنعم عليهم ، لكن رجّحوا الأول فقالوا - واللفظ للبقوى - « : غير ههنا بمعنى^(٢) لا ، ولا^(٣) بمعنى غير ، ولذلك^(٤) جاز المطف [عليها]^(٥) ، كما يُقال : فلان غير محسن ولا مجمل ، فإذا كان « غير » بمعنى « سوى » فلا يجوز المطف عليها بلا . لا يجوز في الكلام : عندي سوى عبد الله ولا زيد^(٦) . وقد روى عن عمر أنه قرأ^(٧) : صراط من أنعمت عليهم غير

(١) أن : ساقطة من (ع) .

(٢) بمعنى : ساقطة من (ك) .

(٣) في النسختين « لا » والتصويب من تفسير البغوى ١ / ٥٤ .

(٤) ك : وكذلك .

(٥) عليها : ساقطة من النسختين وزدتها من تفسير البغوى .

(٦) المنقول عن البغوى إلى هذا الموضع هو نص كلام الكوفيين . انظر معاني القرآن

للغراء ١ / ٨ ، ط . دار الكتب ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .

(٧) في تفسير البغوى : وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

المنسوب عليهم وغير الضالين » .

وهذا قد ذكره غير واحد من أهل العربية ومثّلوه بقول القائل : إني لأقر بالصادق غير الكاذب . قالوا : و « غير » هنا صفة ليست للاستثناء ، وأصل « غير » أن تكون صفة ، وهي في الآية صفة ، ولهذا خُفِضَتْ كأنه قيل : صراط المنعم عليهم المغايرين لهؤلاء وهؤلاء .

فهذه هي النعمة المطلقة التامة ، والقرآن مملوء من ذكر نعمه على الكفار . وقد قال تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، فالحياة نعمة ، وإدراك الذات نعمة . وأما الإيمان فهو أعظم النعم ، وبه تتم النعم .

فالإنسان بحِجَبَتِهِ يطلب ما يوافقه ويتنعم به - من الغذاء وغيره - على هذا فُطِرَ ، فيعرف النعمة ، فيعرف ^(١) النعم ، فيشكره . فلهذا كان الحمد هو الابتداء ، فإن شعوره بنفسه وبما يحتاج إليه ويتنعم به قبل شعوره بكل شيء ، وهو ^(٢) من حين خرج من بطن أمه شعر باللبن الذي يحتاج إليه ويتنعم به وبما يخرج منه وهو الثدي ، فلهذا تعرّف الله إليه ^(٣) بالنعم ليشكره ، وشكره ابتداء معرفته بالله ، فإذا عرف الله أحبه فعبدته وتنعم بعبادته وحده لا شريك له ، وعرف ما في التأله له من اللذة العظيمة التي لا يعدلها لذة ؛ فلهذا كان التوحيد نهايته ؛ أوله الحمد ، وآخره إياك نعبد .

وكذلك في الجنة ، كما في صحيح مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ك : فيعرف النعم ويعرف .. الخ .

(٢) ك : كل شيء هو .. الخ .

(٣) إليه : ساقطة من (ك) .

أنه قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُخبرنا من النار ؟ قال : فيُكشف الحجاب فينظرون إليه ، فأعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهى الزيادة » ^(١) . فالنظر إليه أكمل اللذات وآخرها ، كما قال : « فأعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه » . ولهذا قيل : أطيب مافى الدنيا معرفته ، وأطيب مافى الآخرة مشاهدته .

وعبادته وحده بمحبته وقصد رؤيته هو لأهل السنة الذين يقرّون بإلاهيته وحكمته ، وأنه يستحق المحبة ، وأن يكون هو أحب إلى العبد من كل شيء .

وأما الجهمية والمعتزلة فينكرون محبته وحقيقة إلهيته ، وعلى قولهم تمتنع عبادته . لكن المعتزلة تقر بالنعمة ووجوب الشكر ^(٢) وعلى هذا بنوا دينهم ؛ وغاية الواجبات هى الشكر ؛ ولهذا قالوا : الشكر يجب عقلاً . وأما العبادة والمحبة فلم يعرفوها ولم يصلوا إليها بل أنكروها .

وأما الجهمية المجبرة : لا هذا ولا هذا ، لكن يعترفون بقدرته وأنه يفعل ما يشاء . ولهذا كانوا فى الواجبات وترك المحرمات / أبعد من المعتزلة ، فإنهم مرجئة مجبرة فلا يجزمون بالوعيد - وهذا نصف الحرف الباعث على العمل ، ويقولون بالجبر - وهذا نصف الاعتراف بحق الله على العبد ووجوب شكره ، فتتصف دواعيهم من جهة الخوف ومن جهة الشكر ، لا يشكرون نعمه الماضية ،

(١) الحديث فى مسلم ١١٢/١ (كتاب الإيمان ، باب إنبات رؤية المؤمنين فى الآخرة وبهم سبحانه وتعالى) مع اختلاف فى لفظه عما ذكره ابن تيمية . وهو أيضاً فى : سنن ابن ماجه ١/ ٦٧ (المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية) ؛ جامع الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٠/ ١٨ - ١٩ (أبواب صفة الجنة ، باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى) .
(٢) فى الأصل فى النسختين : تقر بالنعمة ووجوب الشكر .

الجهمية المجرة
يضعف شكرهم
وخوفهم ويقوى
رجاؤهم

ولا يخافون عقوبته المستقبلية . ولكن لما آمن من آمن منهم بالرسول صار
عندهم خوفٌ ما ورجاء وصاروا يُوجِبون الشكر شرعاً ، وعندهم داعى الرجاء ،
فالرجاء عندهم أغلب من الخوف ، وهو أحد المعنيين فى تسميتهم مرجئة . قيل :
إنه من الرجاء ، أى يجعلون الناس راجين ، فهم مُرجِية لا مُخَيِّفة . لكن
الصحيح أنهم مرجئة بالهمز من الإرجاء ، لكن يشارك الرجاء فى الاشتقاق
الأكبر^(١) .

المؤمن يخاف الله
ويرجوه ويحبه

ولهذا قيل : « من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ » ، ومن عبده بالخوف
وحده فهو حرورى^(٢) ، ومن عبده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف
والرجاء والحب فهو مؤمن موحد »

وذلك أن الحب الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع
هواها ؛ وصاحبه إنما يحب فى الحقيقة نفسه ؛ وقد اتخذ لإلهه هواه ، فلهذا كان
زنديقاً . ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالتائلين بوحدة الوجود ، فإن هؤلاء
سلوكهم عن هوى ومحبة فقط ، ليس معه رجاء ولا خوف ، ولهذا يتنوعون^(٣)
القاتلون بوحدة
الوجود يحبون
بدون خوف
أو رجاء

(١) قال الشهرستانى فى « الملل والنحل » ١ / ١٢٥ : « الإرجاء على معنيين : أحدهما
بمعنى التأخير ، كما فى قوله تعالى : قالوا أرجه وأخاه ، أى : أمهله وأخره . والثانى : إعطاء
الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل
عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثانى فظاهر ، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية
كألا تنفع مع الكفر طاعة » .

(٢) فى « اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير ١ / ٢٩٤ : « الحرورى بفتح الحاء
وضم الراء وسكون الواو وفى آخرها راء ثانية ، هذه النسبة إلى حروراء ، وهو موضع
على ميلين من الكوفة كان أول اجتماع الخوارج به فنسبوا إليه » . وانظر « معجم البلدان »
لياقوت : مادة « حروراء » .

(٣) يتنوعون : كذا فى النسختين ، ولعل الصواب : يتدهون .

فهم من الذين قال الله فيهم : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] . ولهذا يجوزون الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة الروم : ٣٠-٣٢] .

وهم في الحقيقة يفكرون بحبة الله ، ولكن يقولون : الحكمة هي التشبه به . ولهذا كان ابن عربي يجعل الولي هو المتشبه به في التخلق بأسمائه ، وينكر اللذة بالمشاهدة والخطاب ، ويقول : ما التذ عارف قط بالمشاهدة ؛ لأنها على أصله مشاهدة وجود مطلق ولا لذه فيها .

ووقع بينه وبين شهاب الدين السهروردي ^(١) منازعة : هل حين يتجلى ^(٢) لهم يخاطبهم ؟ فأثبت شهاب الدين ذلك ، كما جاءت به الآثار . وأنكر ذلك ابن عربي وقال : مسكين هذا السهروردي ، نحن نقول له عن تجلي الذات ، وهو يقول عن تجلي الصفات ^(٣) .

(١) كلام ابن تيمية هنا عن : شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمديه ، وهو غير شهاب الدين السهروردي المقتول . من شيوخ الصوفية ومن فقهاء الشافعية ومن أشهر كتبه « عوارف المعارف » ولد سنة ٥٣٩ وتوفي سنة ٦٣٢ . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ١٤٣/٥ - ١٤٤ ؛ وفيات الأعيان ١١٩/٣ - ١٢٠ ؛ شذرات الذهب ١٥٣/٥ - ١٥٥ ؛ مرآة الجنان لليافعي ٤ / ٧٩ - ٨٢ ؛ تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٦١ ؛ البداية والنهاية ١٣/١٤٣ ، ١٨٣ ؛ النجوم الزاهرة ٦ / ٢٨٣ - ٢٨٤ ؛ معجم البلدان : سهروردي الأعلام ٥ / ٢٢٣ .

(٢) في الأصل : يتلى ، ورجعت أن يكون الصواب ما أثبتته ، وانظر قوله بعد قليل : فيستحيل عند تجليها خطاب .

(٣) لم أجد هذه القصة فيما بين يدي من مراجع ، ولكن ذكر المقرئ في فجع الطبيب ٣٨٢ / ٢ ما يلي : « وذكر الإمام سيدي عبد الله بن سعد اليافعي الميحي في « الإرشاد » أنه اجتمع مع الشهاب السهروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ، ثم اقترعا من غير كلام ، فقيل للشيخ ابن عربي : ما تقول في السهروردي ؟ فقال : مملوء سنة من قرنة إلى قدمه . وقيل للسهروردي : ما تقول في الشيخ محي الدين ؟ فقال : بحر الحقائق . وذكر الشيخ إبراهيم ابن عبد الله القاري في كتابه « مناقب ابن عربي » (ص ٢٩) قصة مماثلة . وانظر مرآة الجنان لليافعي ٤ / ١٠٠ .

وهذا بناء على أصله الفاسد ، وهو أن الذات وجود مطلق لا تقوم به صفات : لا كلام ولا غيره فيستحيل عند تجليها خطاب .

وشهاب الدين كان أتبع للسنة والشرع منه ، ولهذا كان صاحبهما ابن حويه^(١) يقول : « ابن عربي بحر لا تكدره الدلاء ، ولكن نور المتابعة الحميدة على وجه الشيخ شهاب الدين شيء آخر »^(٢) . لكنه كان ضعيف الإثبات للصفات والعلو لما فيه من التجهم الأشعري^(٣) . وكان يقول عن الرب : لا إشارة ولا تعيين .

وهؤلاء مخانيث / الجهمية ، وابن عربي من ذكورهم . فهم يستطيعون على من دخل معهم في التجهم . وإنما يقهرهم^(٤) أهل السنة المثبتون المعارفون بما جاء به الرسول وبمخالفتهم له و ببطلان ما يناقض السنة من المعقولات الفاسدة . ولم يكن السهروردي من هؤلاء ؛ وكذلك الحريري^(٥) قال : « كفت أثبت الحجة أولاً ، ثم رأيت أن الحجة ما تكون إلا من غير لغير^(٦) » ، وما ثم غير .

ص ١٣٩

(١) سعد الدين محمد بن عبد الله بن حويه الحموي ، زاهد متصوف ، توفي سنة ٦٥٢ . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة ٧ / ٣١ .
(٢) في « مناقب ابن عربي » ص ٢٩ - ٣٠ أن ابن حويه « لما رجع من الشام إلى بلاده سأله أشراف أترابه وخوأس أصحابه : من تركت بالشام من العلماء ؟ قال رضى الله عنه : تركت بها بحراً زخاراً لا قعر له ولا ساحل . يعنى الشيخ عبي الدين رضى الله عنه » .
(٣) ك : لما فيه من التجهم وكان الأشعري يقول عن الرب .. الخ ، وهو خطأ . وفي (ع) : لما فيه من التجهم ، وتحت كلمة التجهم ، كتبت كلمة « الأشعري » وعليها علامة الصحة . والمعنى : أن في السهروردي تجهما مثل تجهم بعض الأشاعرة الذين تأثروا بالجهمية في مسائل منها ملهم إلى الجبر ونفي بعض الصفات . ولا يجوز أن تكون العبارة التالية من قول الأشعري بل هي من قول السهروردي .
(٤) ك : يقرم ، وهو تحريف ظاهر .

(٥) أبو الحسن علي بن الحسين بن المنصور الحريري ، صوفي من القائلين بوحدة الوجود ومن يظهر الزندقة ويستزىء بأوامر الشرع ونواهيہ وينتهك الحرمات ، توفي سنة ٦٤٥ . انظر ترجمته في : فوات الوفيات ٢ / ٨٨ - ٩٤ ؛ النجوم الزاهرة ٦ / ٣٥٩ ، ٣٦٠ ؛ الأعلام ٥ / ٩٠ .
(٦) ع : لعين .

فهؤلاء منتهم إنكار المحبة التي يستحقها الرب ، ولهذا لا يتابعون رسوله ، ولا يجاهدون في سبيله ، والله وصف [المؤمنين]^(١) بهذا وبهذا ؛ فحبة هؤلاء تجر إلى الزندقة .

وأيضاً ، فقد يقولون : إن الحب لا تضره الذنوب ، وصنف ابن حمويه في ذلك مصنفًا بناء على ما يُقال : إذا أحب الله عبداً لا تضره الذنوب . وهذا إذا قاله الحق فقصده أنه لا يتركه مصرّاً عليها بل يتوب عليه منها فلا تضره ، فأخذه هؤلاء وقالوا : إن الذنوب لا تضر المحبوبين ، وأحدهم يقول عن نفسه : إنه محجوب فلا تضره الذنوب . فصاروا مثل اليهود والنصارى الذين قالوا : ﴿ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِاللَّهِ مِنْكُمْ وَأَحِبَّاءُهُ ﴾ [سورة المائدة : ١٨] ، فصار فيهم زندقة من هذا الوجه ومن غيره .

وقد قال تعالى عن يوسف : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ بيان مقالة أهل السنة
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿ [سورة يوسف : ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [سورة النساء : ١٢٣] . وسيد المحبِّين المحبوبين خاتم الرسل وقد قال : « إني أعلمكم بالله وأشدكم خشية له »^(٢) .

وهو سبعانه لا يجب إلا الحسنات ولا يجب السيئات ، وهو يجب المتقين والحسنين والصابرين والتوَّابين والمتطهرين ، ولا يجب كل مختال نفور ولا يجب

(١) المؤمنین : زدتها ليتضح بها الكلام .

(٢) أخرج البخاري في صحيحه ٨ / ٢٦ (كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب) ؛ وسلم في صحيحه ٧ / ٩٠ (كتاب الفضائل ، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته) عن عائشة رضي الله عنها قالت (واللفظ للبخاري) : « صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعهم فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

الفساد ولا يرضى لعباده الكفر؛ فإذا أحب عبداً وأذنب كان من التوابين المتطهرين .

وبعض الناس يقول : الشاب الثائب حبيب الله ، والشيخ الثائب عتيقه . وليس ذلك ، بل كل من تاب فهو حبيب الله ، سواء كان شيخاً أو شاباً ، وقد روى : أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل شكرى أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل مصيقتي لا أؤيسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبتهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طيبيتهم ، ابتليهم بالمصائب لأطهرهم من المايب . وهذا فعله مع عباده : إذا أذنبوا إما أن يتوب عليهم ، وإما أن يبتليهم بما يطهرهم إذا لم يحمل السيئات تخفض درجاتهم ، وإن لم يكن هذا ولا هذا انخفضت درجاتهم بحسب سيئاتهم عن درجات من ساوأم في الحسنات وسلم من تلك السيئات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٢] : لأهل الجنة ولأهل النار درجات من أعمالهم بحسبها ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

والعبد هو فقير دائماً إلى الله من كل وجه : من جهة أنه مبدؤه وأنه مستعانه ، فلا يأتي بالنعم إلا هو ، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته . وهو مذنب أيضاً ، لا بد له من الذنوب ، فهو دائماً فقير مذنب ، فيحتاج دائماً إلى الغفور الرحيم / : الغفور الذي يغفر ذنوبه ، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه ويحسن إليه ، فهو دائماً بين إنعام الرب وذنوب نفسه ، كما قال أبو إسماعيل الأنصاري^(١) إنه يسير بين مطالعة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل . وكما قال ذلك العارف للحسن البصري : إني أصبح بين نعمة وذنوب ، فأريد أن أحدث للنعمة شكراً وللذنوب استغفاراً .

ط ١٣٩

(١) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي المروزي الأنصاري ، كان يدعى شيخ الإسلام وكان إمام أهل السنة بهراه ، توفى سنة ٤٨١ . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ الذيل لابن رجب ١/٥٠ - ٦٨ ؛ الأعلام ٤/٢٦٧ .

وفي سيد الاستغفار: «أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي»^(١). وفي الحديث الإلهي^(٢): «فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» . وكان يقول في خطبته : «الحمد لله نستعينه ونستغفره»^(٣). وفي القنوت : «اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك» إلى آخره^(٤) . وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع يحمده الله ثم يستغفره فيقول: «ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد - وكلنا لك عبد - : لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منمت ولا ينفع ذا الجدم منك الجد . اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد . اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس»^(٥) .

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ٨ / ٧١ (كتاب المذعوات ، باب ما يقول إذا أصبح) وفي كتاب «الأدب المفرد» ص ١٦١ (ط . السلفية) (باب سيد الاستغفار) . عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي » الحديث ، ورواه النووي في «الأذكار» ص ٧١ .

(٢) وهو الحديث القدسي المروي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .. الحديث ، ورواه مسلم في صحيحه ٨ / ١٦ - ١٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) .

(٣) روى أحمد في مسنده (ط . المعارف) ٥ / ٢٧١ (رقم ٣٧٢٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : علنا خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغفره .. الحديث . وانظر أرقام : ٣٢٧٥ ، ٣٧٢١ ، ٤١١٥ ، ٤١١٦ . قال المحقق رحمه الله إن الحديث قد رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم . وانظر الأذكار للنووي ، ص ٢٥٠ ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٦٠٩ ، ٦١٠ .

(٤) قال النووي في «الأذكار» ، ص ٥٨ : «قال أصحابنا : وإن كنت بما جاء عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان حسناً ، وهو أنه قنت في الصبح بعد الركوع فقال : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ولا نكفرُكَ .. الحديث » . وقد أورد الشيخ علي التقي في كتابه «كنز العمال» الروايات المختلفة عن هذا القنوت . انظر ج ٨ ص ٤٧ - ٥١ ، ط . حيدرآباد ، ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .

(٥) ما رواه ابن تيمية فيه جمع بين بعض أحاديث مروية فيما يقال عند رفع الرأس من الركوع . انظر : مسلم ٢ / ٤٦ - ٤٨ (كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع) ؛ الأذكار للنووي ، ص ٥٢ - ٥٣ (باب ما يقوله في رفع رأسه من الركوع وفي اعتداله) .

والاستغفار مقرون بالحمد كما قرن بالتوحيد ، وكما قرن الحمد بالتحميد .
وقد جمعت الثلاثة في مثل كفارة المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد
أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك »^(١) .

وكان المقصود أن الجهمية المجبرة لما آمن منهم من آمن بالرسول صار عندهم
خوفٌ ما ورجاء ما ، وصاروا يوجبون الشكر شرعاً ، فالداعي عندهم جزء من
الشرع . وأما داعي المعتزلة فهو أقوى من داعيهم ، فهم أحسن أعمالاً وأعبداً
وأطوع وأورع ، كأهل السنة والمعرفة : فهم يعبّدونه مع الخوف والرجاء
والشكر بداعي المحبة ومعرفة الحكمة والإلهية ، وهذه ملة إبراهيم الخليل ؛
فهم فوق هؤلاء كلهم . والله تعالى أعلم .

^(٢) آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وسلم^(٣) .

(١) الحديث مروي في سنن أبي داود ٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦ (كتاب الأدب ، باب في
كفارة المسجد) . وانظر الأذكار ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
(٢ - ٢) : زيادة في (ع) .

رِسَالَةٍ فِي مَعْنَى كَوْنِ الرَّبِّ عَادِلًا وَفِي تَنْزِيهِهِ عَنِ الظُّلْمِ

﴿ قاعـدة ﴾

في معنى كون الرب عادلا ، وفي تنزيهه عن الظلم
وفي إثبات عدله وإحسانه

تأليف شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ، مما ألفه في محبسه الأخير بالقلعة
بدمشق ، قدّس الله روحه .

/ بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين .
الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما .

﴿ فصل ﴾ ^(١)

اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله تعالى عدل قائم بالقسط لا يظلم
شيئاً ، بل هو منزّه عن الظلم .

تنازع طوائف
المسلمين في
معنى الظلم الذي
ينزه الله عنه

ثم لما خاضوا في القدر تنازعوا في معنى كونه عدلا في الظلم الذي هو
منزه عنه .

مقالة الجهمية
والأشاعرة

فقال طائفة : الظلم ليس بممكن الوجود ، بل كل ممكن إذا قُدِّر وجوده
منه فإنه عدل ، والظلم هو الممتنع : مثل الجمع بين الضدين وكون الشيء موجوداً
معدوماً ؛ فإن الظلم : إما التصرف في ملك الغير - وكل ماسواه ملكه ، وإما مخالفة
الأمر ^(٢) الذي نجب طاعته - وليس فوق الله تعالى أمر نجب عليه طاعته .

وهؤلاء يقولون : مهما نُصوِّر وجوده وقُدِّر وجوده فهو عدل . وإذا قالوا :
كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، فهذا أمر أوهم .

(١) فصل : زيادة في (ع) .
(٢) ع : الأمراء ، وهو تحريف .

وهذا قول المجبرة ، مثل جهنم ومن اتبعه ، وهو قول الأشعري وأمثاله من أهل الكلام ، وقول من وافقهم من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية .

وقد روى عن بعض المتقدمين كلمات مطلقه تشبه هذا المذهب ، مثل قول إياس بن معاوية^(١) : « ما ناظرت بعقلي كله إلا القدريّة ، قلت لهم : ما الظلم ؟ قالوا : أن تأخذ ما ليس لك . قلت : فله كل شيء » . ومثل قول أبي الأسود لعمران ابن حصين لما سأله فقال عمران : « أرايت ما يكده الناس اليوم ويعملون فيه ، شيء قضى عليهم ومضى من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون فيما أتاهم به نبيهم فأنخذت به عليهم الحجة ؟ قال : قلت : بل شيء قد قضى عليهم ومضى عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزعنت من ذلك فزعاً شديداً ، وقلت له : إنه ليس شيء إلا وهو خلق الله وملك يده ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . فقال : سدّدك الله ، إني والله ما سألتك إلا لأحرز عقلك »^(٢) .

وهذا قول كثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد ، كالقاضي أبي يعلى^(٣)

(١) إياس بن معاوية بن قرة المزني ، أبو وائلة ، يضرب به المثل في الذكاء . قال ابن سعد : « كان ثقة ، وكان قاضياً على البصرة ، وله أحاديث ، وكان عاقلاً من الرجال فطنا » . وقد توفي لإياس سنة ١٢٢ . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧ / ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ وفيات الأعيان ١ / ٢٢٣ - ٢٢٦ ؛ تهذيب التهذيب ١ / ٣٩ ؛ الأعلام للزركلي ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٢) هذه المحاورة بين عمران بن حصين رضي الله عنه وبين أبي الأسود الدثلي رواها مسلم في صحيحه ٨ / ٤٨ - ٤٩ (كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي . . الخ) ، ويذكر عمران بعد هذا الكلام حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم . وبعض ألفاظ الخبر كما رواه ابن تيمية مخالف لما في مسلم .

(٣) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء من كبار المناطقة وعالم عصره في الأصول والفروع . ولد سنة ٣٨٠ وتوفي سنة ٤٥٨ . انظر ترجمته في : طبقات المناطقة (لابنه أبي الحسين محمد بن محمد) ٢ / ١٩٣ - ٢٣٠ ؛ تاريخ بغداد ٢ / ٢٥٦ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ؛ الوافي بالوفيات ٣ / ٧ ؛ الأعلام ٦ / ٣٣١ .

وأتباعه ، وأبي المعالي الجويني ^(١) وأتباعه ، وأبي الوليد الباجي ^(٢) وأتباعه ، وغيرهم .

مقالة المعتزلة

والقول الثاني : أنه عدل لا يظلم لأنه لم يُرد وجود شيء من الذنوب : لا الكفر ولا الفسوق ولا العصيان ، بل العباد فعلوا ذلك بغير مشيئته كما فعلوه عاصين لأمره ، وهو لم يخلق شيئاً من أفعال العباد : لا خيراً ولا شراً ، بل هم أحدثوا أفعالهم ، فلما أحدثوا معاصيهم استحقوا العقوبة عليها ، فعاقبهم بأفعالهم ، لم يظلمهم .

/ هذا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم . وهؤلاء عندهم لا يتم تنزيهه عن الظلم إن لم يجعل غير خالقٍ لشيء من أفعال العباد ، بل ولا قادر على ذلك ، وإن لم يجعل غير شاء لجميع الكائنات ، بل يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ، إذ المشيئة عندهم بمعنى الأمر .

وهؤلاء والذين قبلهم يقناقضون تناقضاً عظيماً ، ولكل من الطائفتين مباحث ومصنفات في الرد على الأخرى ، وكل من الطائفتين تسمى الأخرى القدرية ، وقد رُوي عن طائفة من التابعين موافقة هؤلاء .

مقالة أهل السنة

والقول الثالث : أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، والعدل وضع كل شيء في موضعه ، وهو سبحانه حَكَمَ عَدْلٌ يضع الأشياء مواضعها ، ولا

(١) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ويلقب بإمام الحرمين . ولد بنيسابور سنة ٤١٩ وتوفي بها سنة ٤٧٨ . وهو من أعظم أئمة الأشاعرة وقد تلمذ عليه الفزالي . انظر ترجمته في : تبیین کذب المفتری لابن عساکر ، ص ٢٧٨ - ٢٨٥ ؛ طبقات الشافعية ٤ / ٢٤٩ - ٢٨٢ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٣٥٨ - ٣٦٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٣٤١ - ٣٤٣ ؛ الأعلام ٤ / ٣٠٦ .

(٢) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ، من كبار علماء المالكية ، ولد بالأندلس سنة ٤٠٣ وتوفي سنة ٤٧٤ . انظر ترجمته في : الديباج المذهب لابن فرحون ، ص ١٢٠ - ١٢٢ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ١٤٢ - ١٤٣ ؛ تاريخ ابن الوردي ١ / ٣٦١ ؛ الأعلام ٣ / ١٨٦ .

يضع شيئاً إلا في موضعه الذى يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل ، ولا يفرّق بين متماثلين ، ولا يسوّى بين مختلفين ، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما فى ذلك من الحكمة والعدل .

وأما أهل البر والتقوى فلا يعاقبهم ألبته . قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥ ، ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [سورة م : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية [سورة المجانية : ٢١] .

قال أبو بكر بن الأنبارى : الظلم وضع الشيء فى غير موضعه . يقال ^(١) : ظلم الرجل سقاهُ ، إذا سقا منه قبل أن يخرج زُبده . قال الشاعر :

وصاحبِ صدقٍ لم تنلني شكائهُ ظلمتُ ، وفى ظلمي له عامداً أجر ^(٢)

أراد بالصاحب وطبّ اللبن ^(٣) ، وظلمه إياه أن يسقيه قبل أن يخرج زُبده . والعرب تقول : هو أظلم من حية لأنها تأتى الحفرة الذى لم تحفوه فتسكنه . ويقال : قد ظلم الماء الوادى إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى ، ذكر ذلك أبو الفرج . وكذلك قال البغوى : أصل الظلم وضع

(١) يقال : رسمت فى الأصل فى النسخين « مقال » .

(٢) البيت فى اللسان مادة : (ظلم) : « لم تربى شكاته » . وفى مجالس ثعلب ، ص ١٠٦ ؛ والأساس : (ظلم) : « لم تنلني أذاته » ، وجاء البيت غير منسوب فى هذه المراجع . وفى اللسان (ظلم) : « والظليمة والظلم : اللبن يعرب منه قبل أن يروب ويخرج زبده .. قال (فى شرح البيت) : هذا سقاء سقى منه قبل أن يخرج زبده ، وظلم وطبه ظلماً (بفتح الظاء) إذا سقى منه قبل أن يروب ويخرج زبده » .

(٣) الوطب : سقاء اللبن .

الشيء في غير موضعه ، وكذلك ذكر غير واحد . قالوا : والعرب تقول : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه في غير موضعه .

وهذا الأصل ، وهو عدل الرب ، يتعلق بجميع أنواع العلم والدين ، فإن جميع أفعال الرب ومخلوقاته داخلة في ذلك ، وكذلك أقواله وشرائعه وكتبه المنزلة ، وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ والمعاد ، ومسائل النبوات وآياتهم ، والنواب والعقاب ، ومسائل التعديل والتجوير وغير ذلك ، وهذه الأمور مما خاض فيه جميع الأمم ، كما قد بسط في مواضع .

وأهل الملل كلهم يقرون بعدله ، لأن الكتب الإلهية نطقت بعدله ، وأنه قائم بالقسط ، وأنه لا يظلم الناس مثقال ذرة . / لكن كثير من الناس في نفسه ضغن من ^(١) ذلك ، وقد يقوله بلسانه ويرض به في نظمه ونثره ، وهؤلاء أكثر ما يكونون في الحجيرة الذين لا يجعلون العدل قسيماً لظلم ممكن لا يفعله ، بل يقولون : الظلم ممتنع ، ويجوزون تعذيب الأطفال وغير الأطفال بلا ذنب أصلاً ، وأن يخلق خلقاً يعذبهم بالنار أبداً لا لحكمة أصلاً ، ويرى أحدهم أنه خلق فيه الذنوب وعذب بالنار لا لحكمة ولا لرعاية عدل ، ففقيض نفوسهم إذا وقعت منهم الذنوب وأصيبوا بمقوباتها بأقوال يكونون فيها خصماء الله تعالى ، وقد وقع من هذا قطعة في كلام طائفة من الشيوخ وأهل الكلام ، ليس هذا موضع حكاية أعيانهم .

وما ذكرناه من الأقوال الثلاثة مضبوط أصول الناس فيه ، ونبين أن القول الثالث هو الصواب ، وبه يتبين أن كل ما يفعله الرب فهو عدل ، وأنه لا يضع

(١) في الأصل في النسخين رسمت العبارة « ظعن من » وكتب في الهامش « ظعن في » وفوقها « خ » إشارة إلى نسخة أخرى .

الأشياء في غير موضعها : فلا يظلم مثقال ذرة ، ولا يجزى أحداً إلا بذنبه ، ولا يخاف أحد ظمناً ولا هضمًا : لا يهضم من حسناته ، ولا يظلم فيزاد عليه في سيئاته ، لا من سيئات غيره ولا من غيرها ، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى^(١) ، أى لا يملك ذلك ولا يستحقه ، وإن كان قد يحصل له نفع بفضل الله ورحمته وبدعاء غيره وعمله ، فذاك قد عرف أن الله يرحم كثيراً من الناس من غير جهة عمله ، لكنه ليس له إلا ما سعى . قال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴾ [سورة النجم : ٣٦ - ٤١] .

وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ يقتضى أن المنبأ بذلك يجب عليه تصديق ذلك والإيمان به ، فكان هذا مما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً لإبراهيم وموسى ، كما قال فى آخر «سَبَّحَ» : ﴿ إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩] .

﴿فصل﴾

ومما يبين عدل الرب وإحسانه وأن الخير بيديه والشر ليس إليه ، كما كان عليه السلام يثنى على ربه بذلك فى مناجاته له فى دعاء الاستفتاح^(٢) ،

(١) فى هامش (ع) فقط كلمات ظهر منها : على قوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) .. .

(٢) روى مسلم فى صحيحه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ١٨٥/٢ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه) : « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض »

وأنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة ، بل مع غاية عدله فهو أرحم الراحمين ، وهو أرحم من الوالدة بولدها ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح^(١) ، وهو سبحانه أحكم الحاكمين ، كما قال نوح في مناجاته : ﴿ وَأَنْتَ أَهْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٥] ^(٢) ، وأن الظلم قد ذكرنا في غير موضع أن للناس في تفسيره ثلاثة أقوال : قيل : هو التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، أو مخالفة الأمر الذي تجب طاعته ؛ وكلاهما منتفٍ في حق الله تعالى . وهذا تفسير المجبرة القدرية من الجهمية وغيرهم / وكثير ممن ينتسب إلى السنة ، وهو تفسير الأشعري وأصحابه ومن وافقهم ، كالقاضي أبي يعلى وأتباعه ، وأبي الفرج ابن الجوزي ، وغيرهم .

س ٤١

والثاني : أنه إضرار غير مستحق ؛ وهذا أيضاً منتفٍ عن الله تعالى . وهذا تفسير المعتزلة وغيرهم .

وهؤلاء يقولون : لو قَدَّر الذنوب وعَذَّب عليها لكان إضراراً غير مستحق ، والله منزّه عنه ؛ وأولئك يقولون : الظلم متمنع لذاته غير ممكن ولا مقدور ، بل كل ما يمكن فهو عدل غير ظلم ، وإذا عَذَّب جميع الخلق بلا

= الحديث وفيه : « لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك » . وروى أحمد الحديث في مسنده (ط . المعارف) ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ (الأرقام ٨٠٣ - ٨٠٥) . وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي ١ / ٢٥٥ - ٢٥٧ (ط . دمشق) ؛ الأذكار للنووي ، ص ٤٣ ، (١) روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صحيحه ٨ / ٨ (كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعاذته) : « قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب نديها تقى ، وإذا وجدت سبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته . فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا ، وهى تقدر على أن لا تطرحه . فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها » . وانظر حديثاً آخر بهذا المعنى في سنن ابن ماجة ٢ / ١٤٣٦ .

(٢) تمام الآية : (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) .

ذنب أصلاً لم يكن ظالماً عند هؤلاء ، وإذا فعل ما يشاء بمقتضى حكمته وقدرته كان ظالماً عند أولئك ، فإنهم يحملون ظلمه من جنس ظلم العباد ، وعدله من جنس عدلهم ، وهم مشبهة الأفعال .

والسيد إذا ترك مماليكه يظلمون ويفسدون مع قدرته على منعهم كان ظالماً ، ^(١) وإذا كان قد أمرهم ونهاهم وهو يعلم أنهم يصونه وهو قادر على منعهم كان ظالماً ^(٢) ، وإذا قال : مقصودى أن أعرضهم لثواب الطاعة ولذلك اقتنيتهم — وقد علم أنهم لا يطيعونه — كان سفيهاً ظالماً ^(٣) . وهم يقولون : إن الرب خلق الخلق وليس مراده إلا أن ينفعهم ، وأمرهم وليس مراده إلا نفعهم بالثواب ، مع علمه أنهم يصونه ولا ينتفعون .

ولهذا طائفة منهم نفت علمه ، وآخرون قالوا : ما يمكنه أن يجعلهم مطيعين ، وهو قول جمهورهم ، فنفوا قدرته . وإن أثبتوه عالماً قادراً ولم يفعل ما أَرَادَهُ من الخير جملوه : غير حكيم ، ولا رحيم ، بل ولا عادل .

وأما الطائفة الأخرى فهم معطلة فى الأفعال ، كما أن أولئك مشبهة الأفعال ، فإنهم يعطلون فعل العبد ويقولون : ليس بفاعل ولا قادر على الفعل ولا له قدرة مؤثرة فى المقدور . وأما الرب فيقولون : خلق ما خلق لا لحكمة أصلاً ، فمطلوا حكمته ، وقال : إنه يجوز أن يعذب جميع الخلق بلا ذنب ، فمطلوا عدله . والعادل هو فعله ، وهو سبحانه قائم بالقسط ، فمن نفى عدله وحكمته فإما أن ينفى فعله وإما أن يصفه بضد ذلك من الظلم والسفه ؛ كما أن الكلام على الطائفتين فى غير هذا الموضع .

(١-١) : ساقط من (ع) .

(٢) هذه الفكرة التى يعرضها ابن تيمية هنا تشبه إلى حد كبير فكرة الأشعرى فى كتابه « الإبانة » ص ٤٨ ، باب الكلام فى الإرادة ، المطبعة المنيرية ، بدون تاريخ .

والصواب القول الثالث : وهو أن الظلم وضع الأشياء في غير مواضعها ، وكذلك ذكره أبو بكر بن الأنباري وغيره من أهل اللغة ، وذكروا على ذلك عدة شواهد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وحينئذ فليس في الوجود ظلم من الله سبحانه ، بل قد رضع كل شيء موضعه مع قدرته على أن يفعل خلاف ذلك ، فهو سبحانه يفعل باختياره ومشيتته ، ويستحق الحمد والثناء على أن يعدل ولا يظلم ، خلاف قول المجبرة الذين يقولون : لا يقدر على الظلم ، وقد وافقهم بعض المعتزلة كالنظام ، لكن الظلم عنده غير الظلم عندهم ، فأولئك يقولون : الظلم هو المتمنع لذاته ، وهذا يقول : هو ممكن لكن لا يقدر عليه . والقدرية النفاة يقولون : ليس في الوجود ظلم من الله لأنه عندهم / لم يخلق شيئاً من أفعال العباد ولا يقدر على ذلك ، فما نزهوه عن الظلم إلا بسلبه القدرة وخلق كل شيء ، كما أن أولئك ما أثبتوا قدرته وخلق كل شيء حتى قالوا إنه لا ينزه أن يفعل ما يمكن كتعذيب البراء بلا ذنب ، فأولئك أثبتوا له حمداً بلا ملك ، وهؤلاء أثبتوا له ملكاً بلا حمد ، وأهل السنة أثبتوا ما أثبتته لنفسه : له الملك والحمد ، فهو على كل شيء قدير ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو خالق كل شيء ، وهو عادل في كل ما خلقه ، واضح للأشياء مواضعها ، وهو قادر على أن يظلم ، لكنه سبحانه منزّه عن ذلك لا يفعله لأنه السلام القدوس المستحق للتنزية عن السوء ، وهو سبحانه شوبح قدّوس يسبح له ما في السماوات والأرض ، وسبحان الله كلمة - كما قال ميمون بن مهران ^(١) : هي كلمة يُعَظَّم بها الربُّ ويُحَاشَى بها من السوء .

(١) أبو عمرو ميمون بن مهران من ثقات التابعين ولد سنة ٤٠ وتوفي سنة ١١٧ .
انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٧ / ٤٧٧ - ٤٧٩ ؛ الجرح والتعديل ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٩ جامع الرسائل - ١)

وكذلك قال ابن عباس وغير واحد من السلف : إنها تنزيه الله من سوء .
وقال قتادة في اسمه « المتكبر » : إنه الذي تكبر عن سوء ؛ وعنه أيضاً :
إنه الذي تكبر عن السيئات .

فهو سبحانه منزّه عن فعل القبائح ، لا يفعل سوء ولا السيئات ، مع أنه
سبحانه خالق كل شيء : أفعال العباد وغيرها . والعبد إذا فعل القبيح المنهى
عنه كان قد فعل سوءاً وظلماً وقبيحاً وشرّاً ، والرب قد جعله فاعلاً لذلك ،
وذلك منه سبحانه عدل وحكمة وصواب ووضع للأشياء مواضعها ، فخلق سبحانه
لما فيه نقص أو عيب للحكمة التي خلقه لها هو محمودٌ عليه ، وهو منه عدل وحكمةٌ
وصوابٌ وإن كان في المخلوق عيباً ، ومثل هذا مفعول في الفاعلين المخلوقين ،
فإن الصانع إذا أخذ الخشبة الموجهة والحجر الرديّ واللينة الناقصة فوضعها في
موضع يليق بها ويناسبها كان ذلك منه عدلاً واستقامة وصواباً وهو محمود ،
وإن كان في تلك عوجٌ وعيب هي به مذمومة ، ومن أخذ الخبائث فجعلها
في المحل الذي يليق بها كان ذلك حكمةً وعدلاً ، وإِنَّمَا السَّعْيُ وَالظُّلْمُ أَنْ يَضْمَعَ
في غير موضعها ، ومن وضع العامة على الرأس والتعطين في الرجلين فقد وضع
كل شيء موضعه ، ولم يظلم التعطين إذ هذا محلها المناسب لها ، فهو سبحانه
لا يضع شيئاً إلا موضعه ، فلا يكون إلا عدلاً ، ولا يفعل إلا خيراً ، فلا يكون
إلا محسناً جواداً رحماً ، وهو سبحانه له الخلق والأمر ، فكما أنه في أمره
لا يأمر إلا بأرجح الأمور ، ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها ، وبتمطيل
المفاسد وتقليلها ، وإذا تعارض أمران رجّح أحسنهما ، وليس في الشريعة أمرٌ
بفعل إلا ووجوده للأمر خير من عدمه ، ولا نهى عن فعل إلا وعدمه خير
من وجوده ، وهو فيما يأمر به قد أَرَادَ إِرَادَةً دِينِيَّةً شَرْعِيَّةً وَأَحْبَبَ ^(١) / وَرَضِيَهُ ،
فلا يحب ويرضى شيئاً إلا ووجوده خير من عدمه ، ولهذا أمر عباده أن يأخذوا

ص ٤٢

(١) في النسختين : واجبه ، والصواب ما أثبتته وهو الذي يدل عليه السياق .

بأحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فإن الأحسن هو المأمور [به] ^(١) ، وهو خير من المنهى عنه .

كذلك هو سبحانه في خلقه وفعله ، فما أراد أن يخلقه ويفعله كان أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ويفعله ، وما لم يرد أن يخلقه ويفعله كان أن لا يخلقه ويفعله خيراً من أن يخلقه ويفعله ، فهو لا يفعل إلا الخير ، وهو ما وجوده خير من عدمه ، فكل ما كان عدمه خيراً من وجوده ، فوجوده شر ، فهو لا يفعله ، بل هو منزّه عنه ، والشر ليس إليه ، فالشر - وهو ما كان وجوده شراً من عدمه - ليس إليه ، إذ كان هذا مستحقاً ^(٢) للمدم لا يشاؤه ولا يخلقه ، والمعدم لا يضاف إلى فاعل فليس إليه ، ولكن الخير بيديه - وهو ما كان وجوده خيراً من عدمه .

ومن الناس من يقول : الخير كله في الوجود ، والشر كله في المدم ، والوجود خير ، والشر المحض لا يكون إلا معدوماً . وهذا لفظ مجمل ، فإذا أريد بذلك أن كل ما خلقه الله وأوجده ففيه الخير ووجوده خير من عدمه فهذا صحيح ، وكذلك ما لم يخلقه ولم يشأه ، وهو المدموم الباقي على عدمه ، لا خير فيه ، إذ لو كان فيه خير لفعله سبحانه ، فإنه سبحانه بيده الخير ، فالشر العدمي هو عدم الخير ، لا أن في المدم شراً وجودياً ^(٣) . وأما إذا أريد أن كل ما يُقدّر وجوده فوجوده خير ، وكل ما يُقدّر عدمه فعدمه شر فليس بصحيح ، بل من الأشياء ما وجوده شر ^(٤) من عدمه ، ولكن هذا لا يخلقه الرب فيبقى معدوماً ، وعدمه خير ، فهذا خير من هذا المدم ، بمعنى أن عدمه خير من وجوده ، إذ كان وجوده فيه ضرر راجح ، وعدم الضرر راجح خير ، فهو خير عديم في المدم ،

(١) به : ساقطة من النسختين .

(٢) في النسختين : مستحق ، وهو خطأ .

(٣) في النسختين : شر وجودي ، وهو خطأ .

(٤) في النسختين : شراً ، وهو خطأ .

إذ العدم لا يكون فيه وجود ، فالشر ليس إليه ، وهو ما كان وجوده شرًا من عدمه ، فإنه لا يخلق هذا ، وما لم يخلقه فإنه ليس إليه ، وكل ما خلقه فوجوده خير من عدمه ، وهو سبحانه بيده الخير ، وذلك الذي وجوده شر من عدمه فإنه سبحانه يدفعه ويمنعه أن يكون مع القيام المقتضى له ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة الحج : ٣٨] ^(١) ، ﴿ وَاللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] ، ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد : ١١] ، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٨٨] .

فدفعه الشر الذي تريده النفوس الشريرة هو من الخير وهو بيديه ، ولو مكن تلك النفوس لفعلته ، فهو سبحانه لا يمكنها بل يمنحها إذا أرادت ، مع أنها لو خلقت لفعلته ، فهو تارة بمنع الشر بإزالة سببه ومقتضيه ، وتارة يخلق ما يضاؤه وينافيه : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِّعَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] .

وقول القائل : خير وشر ، أى هذا خير من هذا ، وهذا شر من هذا ، ولهذا غالب استعمال هذين الاسمين كذلك ، كقوله : / ﴿ آءَ اللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة النمل : ٥٩] ، ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [سورة الفرقان : ٢٤] ، ﴿ وَذَرُّوا النَّبِيعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة الجمعة : ٩] .

ظ ٤٢

(١) في (ك) : (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) و « يدفع » قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمر - انظر « البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة » لعبد الفتاح القاضى ، ط. مصطفى الحلبي ، ١٣٧٥/١٩٥٥ .

وقالت السحرة : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [سورة طه : ٧٣] . وقال :
 ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
 عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
 وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٠] ، وقال يوسف : ﴿ أَنتُمْ
 شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ [سورة يوسف : ٧٧] .

وقال حسان :

فشر كما لخير كما الفداء (١)

فالخير ما كان خيراً من غيره ، والشر ما كان شراً من غيره ، والخير
 والشر درجات . ولهذا قال تعالى لما ذكر أهل الجنة وأهل النار ، قال :
 ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٢] ، وقال تعالى :
 ﴿ أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَتْسَى
 الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٢ ، ١٦٣]
 وكذلك ذكر تعالى في الأنعام والأحقاف بعد ذكر الطائفتين (٢) .

ولهذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات الجنة تذهب علوا ،
 ودرجات النار تذهب سفولا ، فدرجات الجنة كلها فيها النعيم ، وبعضها
 خير من بعض ، ودرجات النار كلها فيها العذاب ، وبعضها شر من بعض .

(١) صدره كما في الديوان ، س ٨ (ط . التجارية ، ١٣٤٧ / ١٩٢٩) :

* أتتهجوه ولست له بكفء *

والبيت من قصيدة يرد فيها على أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان قد
 هجا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه . وانظر تفسير الطبري ١ / ٣٦٨ .

(٢) انظر : سورة الأنعام : ١٦٥ ؛ سورة الأحقاف : ١٩ .

وإذا قيل : إن الله سبحانه هو خالق الخير والشر ، فالمراد ما هو شر من غيره وفيه أذى لبعض الناس ، ولكن خلقه لحكمة ، وما خلق لحكمة مطلوبة محبوبة فوجوده خير من عدمه ، فلم يخلق شيئاً يكون شرّاً ، أى يكون وجوده شرّاً من عدمه ، لكن يخلق ما هو ^(١) شر من غيره وغيره خير منه للحكمة المطلوبة ، وما فيه أذى لبعض الناس للحكمة المطلوبة .

لا يعذب الله
أحداً إلا بذنبه

وهو سبحانه لا يعذب أحداً إلا بذنبه ، بمقتضى الحكمة والعدل ، وفي تعذيبه أنواع الحكمة والرحمة . وهذا ظاهر فيما يبطل به المؤمنين في الدنيا من المصائب التي هي جزاء سيئاتهم ، فإن [في] ^(٢) ذلك من الحكمة والرحمة والعدل ما هو بين لمن تأمله ، ولا يعاقب أحداً ^(٣) إلا بذنبه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] ، و ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [سورة النساء : ٧٩] ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٣] ، فلا يسلبهم إلا إذا غيروا ما في أنفسهم بالمعاصي والذنوب ، فلا يجزى بالسيئات إلا من فعل السيئات ، ولا يوقع النقم ويسلب النعم إلا من أتى ^(٤) بالسيئات المقتضية لذلك ، كما فعل بمن خالف رسله من جميع الأمم ، كما قال في العذاب : ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

(١) هو : ساقطة من (ع) .

(٢) في : ليست في النسخين وزدتها ليستقيم الكلام .

(٣) في (ع) : ولا يعاقب (بالبناء للجهول) أحد ...

(٤) ع : إلا لمن أتى .

بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الأنفال : ٥٢] ثم قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتَبِئًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ ﴾ الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿ وَكُلُّكُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٣ - ٥٤] فذكر تمثيلاً لزوال النعم عليهم لما كذبوا بآياته .

ولهذا قال : ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٤] ، / ، وذكر الأول تمثيلاً لعذابهم بعد الموت كما قال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْءِبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [سورة الأنفال : ٥٠ - ٥٢] ، فقال هنا : ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فإن أخذه يتضمن أخذهم ليصلوا بعد الموت إلى العذاب . ولفظ « الهلاك » يقتضى هلاكهم في الدنيا وزوال النعمة عنهم ، فذكر هلاكهم بزوال النعم وذكر أخذهم بالنعم كما قال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْآنُ وَهُوَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة مود : ١٠٢] .

ولفظ « المؤاخذه » من الأخذ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا أَنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] . وقوله : ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ كقوله : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة البروج : ١٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ الآية [سورة الأنعام : ٤٢] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧٦] فهذا تعذيب لهم في الدنيا ليتضرعوا إليه وليتوبوا . وذكر هنا أنه أخذهم

بالعذاب ولم يقل بالذنوب ، كأنه - والله أعلم - ضمن ذلك معنى جذبناهم إلينا لِيُنِيبُوا وليتوبوا . وإذا قال : فأخذهم الله بذنوبهم ، يكون قد أهلكتهم فأخذهم إليه بالهلاك ، وبسط هذا له موضع آخر .

الله يفعل الخير
والأحسن

والمقصود هنا أن كل ما يفعله الرب ويخلقه فوجوده خير من عدمه ، وهو أيضاً خير من غيره ، أى من موجود غيره يُقَدَّرُ موجوداً بدله ، فكما أن وجوده خير من عدمه فهو أيضاً خير من موجود آخر يُقَدَّرُ مخلوقاً بدله ، كما ذكرنا فيما يأمر به أن فعله خير من تركه وأنه خير من أفعال غيره يشتغل بها عنه كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الجمعة : ٩] .

وقولنا : فعله خير من تركه ، سواء جعل الترك وجودياً أو عدمياً ، والرب تعالى له المثل الأعلى ، وهو أعلى من غيره ، وأحق بالمدح والثناء من كل ما سواه ، وأولى بصفات الكمال ، وأبعد عن صفات النقص ، فمن الممتنع أن يكون المخلوق متصفاً بكمال لا نقص فيه ، والرب لا يتصف إلا بالكمال الذى لا نقص فيه ، وإذا كان يأمر عبده أن يفعل الأحسن والخير فيمتنع أن لا يفعل هو إلا ما هو الأحسن والخير ، فإن فعل الأحسن والخير مدح وكال لا نقص فيه ، فهو أحق بالمدح والكمال الذى لا نقص فيه من غيره .

قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٥] . وقال : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [سورة الزمر : ١٨] ، ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ

مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴿ [سورة الزمر : ٥٥] ، وقال : ﴿ وَافْتَلُوا
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحج : ٧٧] .

ط ٤٣

وقد قال تعالى في مدح نفسه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ إلى قوله :
﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] .
وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] فكلامه
أحسن الكلام . وقال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ الآية
[سورة السجدة : ٧] فقد أحسن كلَّ شيء خلقه ، وقال : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة النمل : ٨٨] .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم ، الغفور الودود ، الجواد الساجد ، وهو سبحانه
الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وهو أرحم الراحمين وخير
الراحمين ، كما قال أيوب : ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
[سورة الأنبياء : ٨٣] ، وقال لنبيه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : ١١٨] ، فهو أحق بالرحمة والجود والإحسان
من كل أحد .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ثم قال :
﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [سورة القصص : ٦٨] فأخبر أنه يخلق ما يشاء ويختار .

والاختيار في لغة القرآن^(١) يراد به التفضيل والانتقاء والاصطفاء ، كما
قال : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [سورة طه : ١١-١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا

(١) ك : والاختيار في اللغة القرآن .

بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿ [سورة الدخان : ٣٠] إِلَى قَوْلِهِ :
﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ
مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الدخان : ٣٢، ٣٣] . وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى :
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ الْآيَةِ
[سورة الجاثية : ١٦] . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ
رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٥] . وَمِنْهُ فِي الْحَدِيث : « إِنْ أَلَّهِ
اخْتَارَ مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمِنَ الشُّهُورِ شَهْرَ رَمَضَانَ ، وَاخْتَارَ اللَّيَالِيَ فَاخْتَارَ
لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَاخْتَارَ السَّاعَاتِ فَاخْتَارَ سَاعَاتِ الصَّلَوَاتِ » رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي
كِتَابِ « تَشْرِيفِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَتَعْظِيمِهِ » ^(١) عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ .

﴿ فَصْلٌ مُّخْتَصَرٌ ﴾ ^(٢)

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ هَذَا الْفَصْلِ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ :

فَإِذَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ كَانَ الْخَلْقُ عَقِبَ الْإِرَادَةِ ، وَالْخَلْقُ عَقِبَ
التَّكْوِينِ وَالْخَلْقُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس : ٨٢] .

بيان حقيقة
إرادة الله

وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ لَا يَقُولُونَ بِذَلِكَ فِي الْفِعْلِ ، بَلْ يَقُولُونَ : يَفْعَلُ مَعَ جَوَازِ
أَنْ لَا يَفْعَلَ . إِلَى أَنْ قَالَ :

(١) أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ عَسَاكَرٍ ، الْحَدِيثُ الْفَقِيهِ الْمُؤَرِّخُ ، وَلَدَ
سَنَةَ ٤٩٩ هـ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧١ هـ . انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي : وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ٢ / ٤٧١ - ٤٧٣ ؛
تَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ ٤ / ١٣٢٨ - ١٣٣٤ (وَذَكَرَ مِنْ كَتَبِهِ : فَضْلُ الْجُمُعَةِ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ) ؛
مَقْدَمَةُ تَبْيِينِ كَذِبِ الْفَتْرَى ؛ الْأَعْلَامُ ٥ / ٨٢ - ٨٣ .

(٢) فِي هَامِشِ (ج) : « هَذَا الْفَصْلُ مُخْتَصَرٌ مِنْ فَصْلِ الْإِخْتِبَارِ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ اخْتَصَرْتَهُ
لِمْسَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ الْمَعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ » .

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوا [ذلك] ^(١) - ويُنَوِّه للناس - وعرفوا أن حدوث الحوادث اليومية المشهودة تدل على أن العالم مخلوق، وأن له رباً خلقه ويُحدث فيه الحوادث . وقد ذكر ذلك الحسن البصري، كما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب «المطر» ^(٢)، ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب «العظمة» ^(٣)، وذكره أبو الفرج بن الجوزي في «تفسيره» .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا : «حدثني هارون، حدثني عَفَّان، عن مبارك ابن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : كانوا يقولون - يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - : الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لقال الشاك في الله : لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه ، وإن الله قد حادثه بما ترون من الآيات : إنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين ، وجعل فيها معاشاً وسراجاً وهاجاً ، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين / وجعل فيها ^(٤) سكباً ونجوماً وقمرأ منيراً ، وإذا شاء بنى بناء جعل فيه

س ٤٤

(١) ذلك : ليست في النسخين ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا ، الحافظ صاحب التصانيف . ولد سنة ٢٠٨ وتوفي سنة ٢٨١ . وذكر بروكلمان (٣ / ١٣١) من كتبه : « كتاب الطر والرعد والبرق والريح » وقال إن منه نسخة خطية في كوبريلي رقم ٣٨٨ . انظر : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٧٧ - ٦٧٩ ؛ تاريخ بغداد ١٠ / ٨٩ - ٩١ ؛ طبقات الحابلة ١ / ١٩٢ - ١٩٥ ؛ فوات الوفيات ١ / ٤٩٤ - ٤٩٥ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣ / ١٢٩ - ١٣٣ ؛ الأعلام ٤ / ٢٦٠ .

(٣) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، ويعرف بأبي الشيخ الأصبهاني . قال عنه الذهبي : « حافظ أصبهان ومُسند زمانه » . ولد سنة ٢٧٤ وتوفي سنة ٣٦٩ . ومن كتبه كتاب « العظمة » وقد أشار الزركلي إلى وجود نسخة خطية منه . انظر : تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٤٥ - ٩٤٧ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٦٩ ؛ الباب لابن الأنبر ١ / ٥٥ ؛ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (ط . المعارف) ٣ / ٢٢٦ - ٢٢٧ ؛ الأعلام ٤ / ٢٦٤ .

(٤) في هامش النسخين « فيه » وعليها « خ » إشارة إلى نسخة أخرى .

من المطر والبرق والرعد والصواعق ما شاء ، وإذا شاء صرف ذلك ، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف^(١) الناس ، وإذا شاء ذهب بذلك وجاء بمجر يأخذ بأنفاس الناس ، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما يرون من الآيات ، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة .

فقد ذكر الحسن عن الصحابة الاستدلال بهذه الحوادث المشهودة على وجود الرب سبحانه المحدث الفاعل بمشيئته وقدرته ، وبطلان أن يكون موجِباً يقارنه موجِبُهُ ، فإن ذلك يمتنع محادثته ، أى إحداث الحوادث فيه .

وقولهم : « لو كان هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف لقال الشاك في الله : لو كان لهذا الخلق رب لحادثه » يقتضى أن هذه الحوادث آيات الله ، وأنه رب هذا الخلق ، وأن هذا الخلق محدث لكون غيره يحادثه ، أى يحدث فيه الحوادث ، وما صرفه غيره وأحدث فيه الحوادث كان مقهوراً مدبراً ، لم يكن واجباً بنفسه متمتعاً عن غيره .

وقوله : « لو كان له رب لحادثه » ؛ قد يقال : إنهم أنكروا هذا القول لقولهم : « لقال الشاك في الله » . وقد يقال : بل هم مصدقون بهذه القضية الشرطية ؛ ولكن لو لم تكن الحوادث لكان الله يُعرف دون هذه الحوادث ، فإن معرفته حاصلة بالفطرة والضرورة ، ونفس وجود الإنسان مستلزم^(٢) لوجود الرب ، فكان الصانع يُلم من غير هذه الطريق ، فلهذا يعاب الشاك . ويمكن أنهم لم يقصدوا عيبه على هذا التقدير ، بل على هذا التقدير كان الشك موجوداً في الناس إذ لا دليل على وجوده ، فكانت هذه الآيات مزيلة للشك وموجبة لليقين .

(١) في اللسان : القرقة : الرعدة ، وقد فرقته البرد . ويقال : إنى لأقرقف من البرد أى أرعد .

(٢) في النسختين : مستلزمة .

والأول أشبه بمرادهم وأولى بالحق ، فإنهم قالوا : « لقال الشاك في الله » ،
فدل على أن هناك من ليس بشاك في الله ، ولم يقولوا : لشك الناس في الله .
وبسط هذا القول في إثبات الصانع له موضع غير هذا .

والمقصود أنه سبحانه وتعالى يخلق بمشيئته واختياره ، وأنه يختار الأحسن ،
وأن إرادته ترجح الراجح الأحسن ؛ وهذا حقيقة الإرادة ، ولا تعقل إرادة
ترجح مثلاً على مثل ، ولو قُدِّر وجود مثل هذه الإرادة فتلك أكل وأفضل ،
والخلق متصفون بها ، ويمتنع أن يكون الخلق^(١) أكل من الخالق ،
والحدث الممكن أكل من الواجب القديم ، فوجب أن يكون ما تُوصف به
إرادته أكل مما تُوصف به لإرادة غيره ، فيجب أن يُريد بها ما هو الأولى
والأحسن والأفضل . وهو سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته ، فالمتنع لا تتعلق به
قدرة فلا يُراد ، والممكن لذي يمكن أن يفعل ويكون مقدوراً ترجح الإرادة
الأفضل الأرجح منه .

وما يحكى عن الغزالي أنه قال : « ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ، فإنه لو كان
كذلك ولم يخلقه / لكان بخلاً يناقض الجود ، أو عجزاً يناقض القدرة »^(٢) .

ط ٤٤

(١) في (ع) : أن يكون الخلق ، وقبالتها في الهامش كتبت كلمة « الخلق » . وأخطأ
ناسخ (ك) فكتب العبارة : « ويمتنع الخلق أن يكون الخلق أكل من الخالق » .
(٢) أنكر البعض أن تكون هذه العبارة من كلام الغزالي ، مع أن الغزالي نفسه
أقر بها وحاول أن يبرر سبب قوله بها فقال في « الإملاء في إشكالات الإحياء » (المطبوع
مع الإحياء ، ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٥٧) : « ومعنى بأن ليس في
الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنفاً ، ولو كان ادخره مع
القدرة كان ذلك بخلاً يناقض السكرم الإلهي وإن لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً ... الخ »
(انظر ص ٤٩ - ٥١) . وانظر مثلاً ما يذكره في الإحياء ١٣ / ١٨١ حيث يقول :
« ... بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي ، وكما ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي ،
وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا آم ولا أكل ، ولو كان ، وادخره مع القدرة ، ولم
يتفضل بفعله ، لكان بخلاً يناقض الجود ، وظلماً يناقض العدل ... الخ » . وانظر « الغزالي »
للدكتور أحمد فريد رفاعي ٢ / ٧٧ - ٨٤ (ط . عيسى الحلبي ، ١٣٥٦ / ١٩٣٧) ؛
الأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك ، ص ٧٩ (ط . التجارية ، بدون تاريخ) .

وقد أنكر عليه طائفة هذا الكلام ، وتفصيله : أن الممكن يُراد به القدور . ولا ريب أن الله سبحانه يقدر على غير هذا العالم ، وعلى إبداع غيره إلى ما لا يتناهى كثرة ، ويقدر على غير ما فعله ، كما قد بينّا ذلك في غير هذا الموضع ، وبيّن ذلك في غير موضع من القرآن .

وقد يُراد به : إنه ما يمكن أحسن منه ولا أكمل منه ؛ فهذا ليس قدحاً في القدرة ، بل قد أثبت قدرته على غير ما فعله ، لكن قال : ما فعله أحسن وأكمل مما لم يفعله . وهذا وصف له سبحانه بالكرم والجود والإحسان ، وهو سبحانه الأكرم فلا يتصور أكرم منه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

آخره ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً .

رِسَالَةٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ

هَلْ يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ
أَمْ يَنْقِضُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية عن قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تَتْلُوا لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، هل يدخل أحد الجنة بعمله ، أم ينقضه قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل أحد الجنة بعمله ، قيل : ولا أنت ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » .

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله .

المثبت في القرآن
ليس هو المنفى
في السنة

لا مناقضة بين ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة ، إذ المثبت في القرآن ليس هو المنفى في السنة . والتناقض إنما يكون إذا كان المثبت هو المنفى ؛ وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] ، وقال : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة : ١٩] ، وقال : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الواقعة : ٢٢-٢٤] . فبين بهذه النصوص أن العمل سببٌ للثواب . والباء للسبب ، كما في مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٧] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة البقرة : ١٦٤] ، ونحو ذلك مما يبين به الأسباب .

العمل سبب
للتواب

ولا ريب أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة ، والله قدّر لعبده المؤمن وجوب الجنة بما ييسره له من العمل الصالح ، كما قدّر دخول النار لمن يدخلها بعمله السيئ ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعده من الجنة ومقعده من النار . قالوا : يا رسول الله أفلا نتَّكَل على الكتاب ونذع العمل ؟ قال : لا ، اعملوا فكلٌ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له ؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسر له عمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر له عمل أهل الشقاوة » ^(١) ، وقال : « إن الله خلق للجنة أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون ، وخلق للنار أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل النار يعملون » ^(٢) .

السبب لا يستقل
بالحكم

وإذا عُرِفَ أن « الباء » هنا للسبب فعلم أن السبب لا يستقل بالحكم . فجرد نزول المطر ليس موجباً للنبات ، بل لا بد من أن يخلق الله أموراً أخرى ويدفع عنه الآفات المانعة ، فيربّيه بالتراب والشمس والريح ، ويدفع عنه ما يفسده ، فالنبات محتاج - مع هذا السبب - إلى فضل من الله أكبر منه .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ! قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل »

(١) سبق ورود هذا الحديث من قبل ، وتكلّمت عنه هناك (ص ٩٣ ت ١) . وهو أيضاً في : البخارى ٩٦ / ٢ (كتاب الجنائز ، باب موعظة المحدث عند القبر) ، ١٧٠ / ٦ - ١٧١ (كتاب التفسير ، باب سورة الليل وإذا يفتنى) ؛ الترمذى (بشرح ابن العربي) ٣٠٠ / ٨ (كتاب القدر ، باب ما جاء في الشقاء والسعادة) ؛ سنن ابن ماجه ٣٠ / ١ - ٣١ (المقدمة ، باب في القدر) .

(٢) الحديث في : مسلم ٥٥ / ٨ (كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة . . . إلخ) ونصه : « عن عائشة أم المؤمنين : قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوي لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه . قال : أو غير ذلك : يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » .

فإنه ذكره في سياق أمره لهم بالإقتصاد . قال : « سدّدوا وقاربوا ، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله »^(١).

وقال : « إن هذا الدين متين » ، وإنه لن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا ، واستعينوا بالمَدْوَةِ والروحة وشئ من الدلبة والقصد / تبلغوا »^(٢) .

ط ١٨٨

فنفى بهذا الحديث ما قد تتوهمه النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل ليس جزاء الله على سبيل المعاوضة والمقابلة ، كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا ؛ سبيل المعاوضة

(١) جاء هذا الحديث عن طرق متعددة وبألفاظ مختلفة في كتب السنة ، والرواية التي أوردها ابن تيمية هنا تقرب من حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه ، وهو مروي في البخاري مرتين : ٨ / ٩٨ ، ٩٨ - ٩٩ (كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل) ؛ مسلم ٨ / ١٤١ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى) ونصه - واللفظ لمسلم - « عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله . قالوا ، ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » .

والحديث متفق عليه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه في : البخاري ٨ / ٩٨ (نفس الكتاب والباب) ؛ مسلم ٨ / ١٣٩ (نفس الكتاب والباب) وأوله : « لن ينجي أحدٌ منكم عمله » . إلخ . وجاء الحديث عن أبي هريرة من طرق متعددة وبألفاظ مختلفة في : البخاري ٧ / ١٢١ (كتاب الطب ، باب تيمى المريض) ؛ مسلم ٨ / ١٣٩ - ١٤١ (نفس الكتاب والباب) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٠٥ (كتاب الزهد ، باب التوقى على العمل) ؛ مسند أحمد (ط . المعارف) الأرقام : ٧٢٠٢ ، ٧٤٧٣ ، ٧٥٧٧ . وروى الدارمي الحديث في سننه ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦ (كتاب الرقائق ، باب لا ينجي أحدكم عمله) عن جابر رضي الله عنه . والحديث في المسند (ط . الحلبي) في أكثر من عشرين موضعاً . وانظر مفتاح كنوز السنة «الأعمال» .

(٢) في صحيح البخاري ١ / ١٢ (كتاب الإيمان ، باب الدين يسر) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالندوة والروحة وشئ من الدلبة » . وروى السيوطي في الجامع الصغير حديثاً عن أنس رضي الله عنه : « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » . قال السيوطي إن هذا الحديث في المسند وصححه . وروى حديثاً آخر عن جابر : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن الثبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » . قال السيوطي أنه في مسند البزار وضعفه .

فإن الأجير يعمل لمن استأجره فيعطيه أجره بقدر عمله على طريق المعاوضة ، إن زاد زاد أجرته ، وإن نقص نقص أجرته ، وله عليه أجرة يستحقها كما يستحق البائع الثمن . فنفى صلى الله عليه وسلم أن يكون جزاء الله وثوابه على سبيل المعاوضة والمقابلة والمعادلة .

والباء هنا كالباء الداخلة في المعاوضات ، كما يقال : استأجرت هذا بكذا ، وأخذت أجرني بعملى .

غلط من توهم
ذلك من وجوه
الأول

وكثير من الناس قد يتوهم ما يشبه هذا ، وهذا غلط من وجوه :
أحدها : أن الله تعالى ليس محتاجاً إلى عمل العباد كما يحتاج الخلق إلى عمل من يستأجره ، بل هو سبحانه كما قال في الحديث الصحيح : « إنكم لن تبلفوا نفعى فتنفعوني ، ولن تبلفوا ضررى فتضررونى »^(١)

والعباد إنما يعملون لأنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] ، وقال : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النمل : ٤٠] ،

(١) هذا جزء من الحديث القدسي في تحريم الظلم ، وأوله : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » . وفيه « يا عبادى إنكم لن تبلفوا ضررى فتضررونى ولن تبلفوا نفعى فتنفعوني » . وقد روى الحديث عن أبى ذر رضى الله عنه : مسلم ١٨-١٦/٨ (كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم) ؛ سنن ابن ماجه ١٤٢٢/٢ (كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة) .

ولابن تيمية رسالة في شرح هذا الحديث نشرت في مجموعة الرسائل المنيرة ٣/٢٠٥-٢٤٦ ط . المطبعة المنيرة ، ١٣٤٦ .

وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧] .

وأما العباد فإنهم محتاجون إلى من يستعملون لجلب منفعة أو دفع مضرة ، ويمطونه أجرة نفعه لهم .

الثاني

الثاني : أن الله هو الذي مَنَّ على العامل : بأن خلقه أولاً وأحياه ورزقه ، ثم بأن أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب ، ثم بأن يسَّر له العمل وحبَّب إليه الإيمان وزينه في قلبه ، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان .

والخلق إذا عمل لغيره لم يكن المستعمل هو الخالق لعمل أجيره ، فكيف يُتصوَّر أن يكون للعبد على الله عوض وهو خلقه وأحدثه وأنعم على العبد به ١٩ وهل تكون إحدى نعمتيه عوضاً ^(١) عن نعمته الأخرى وهو ينعم بكليهما ١٩ ^(٢) .

الثالث

الوجه الثالث : أن عمل العبد لو بلغ ما بلغ ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلاً له ومعادلاً حتى يكون عوضاً ، بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل .

الرابع

الرابع : أن العبد قد يُنعم ويُمتَّع في الدنيا بما أنعم الله به عليه ، مما يستحق بإزائه ^(٣) أضعاف ذلك العمل إذا طلبت المعادلة والمقابلة . وإذا كان كذلك لم يبالغوا في الاجتهاد بمبالغة من يضرُّه الاجتهاد ، كالمُنْبِت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وزال عنهم العجب ، وشهدوا إحسان الله بالعمل .

(١) في الأصل : عوض .

(٢) في الأصل : بكليهما .

(٣) في الأصل : بإزائها .

الخامس : أن العباد لا بدّ لهم من سيئات ، ولا بد في حياتهم من تقصير .
فلولا عفو الله لهم عن السيئات ، وتقبله أحسن ما عملوا - لما استحقوا ثواباً .
/ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « من نُوقِسَ الحسابَ عُدَّ . قالت عائشة :
يا رسول الله ، أليس الله يقول : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فَسَوْفَ
يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [سورة الانشقاق : ٧ ، ٨] ؟ قال : ذلك المرّض ،
ومن نُوقِسَ الحسابَ عُدَّ » (١) .

ص ١٨٩

ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح إذا طُلبت الشفاعة من أفضل الخلق :
آدم ونوح وإبراهيم وموسى ، واعتذر كل منهم بما فعل - قال لم عيسى :
« اذهبوا إلى محمد ، عبدِ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (٢) .

ولهذا قال في الحديث لما قيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا
أنا إلا أن يتغمدني الله بعفوه » . فتبين بهذا الحديث أنه لا بد من عفو الله
وتجاوزه عن العبد ، وإلا فلوناقشه على عمله لما استحق به الجزاء . قال الله
تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ
سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٦] ، وقال تعالى :
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ إلى قوله :
﴿ لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٣-٣٥] .

(١) الحديث مع اختلاف في الألفاظ في : البخارى ١ / ٢٨ (كتاب العلم ، باب من
سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه) ؛ مسلم ٨ / ١٦٤ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب
إثبات الحساب) .

(٢) حديث الشفاعة مروى من وجوه عدة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة . انظر
البخارى ٦ / ٨٤ - ٨٥ (كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل : باب ذرية من جلتهم نوح) ؟
مسلم ١ / ١٢٣ - ١٣٠ (كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة) ؛ المسند (ط . المعارف)
١ / ١٦١ - ١٦٣ (رقم ١٥) . وانظر أيضا : الترغيب والترهيب ٥ / ٣٩٨ - ٤٠٦
تيسير الوصول ٤ / ١٠٣ - ١٠٥ .

وإذا تبين ذلك أفاد هذا الحديث ألا يُعَجَّب العبد بعمله، بل يشهد نعم الله عليه، وإحسانه إليه في العمل، وأنه لا يستكثر العمل، فإن عمله لو بلغ ما بلغ، إن لم يرحمه الله ويعف عنه ويتفضل عليه، لم يستحق به شيئاً، وأنه لا يكلف من العمل ما لا يطيق ظاناً أنه يزداد بذلك أجره، كما يزداد أجر الأجير الذي يعمل فوق طاقته فإن ذلك يضره، إذ المُنْبَت لا أرضاً^(١) قطع ولا ظهراً أبقى.

وأحب العمل ما داوم عليه صاحبه، فإن الأعمال بالخواتيم، بخلاف عمل الأجراء في الدنيا، فإن الأجرة تنقسط على المنفعة، فإذا عمل بعض العمل استحق من الأجرة بقدر ما عمل ولو لم يعمل إلا قليلاً. فمن خُتم له بخير استحق الثواب، وكفر الله بتوبته سيئاته، ومن خُتم له بكفر أحبطت رِدَّتُه حسناته. فلهذا كان العمل الذي [داوم]^(٢) عليه صاحبه إلى الموت خيراً ممن أعطى قليلاً ثم أكْدَى، وكَلَّف نفسه ما لا يطيق، كما يفعله كثير من العمال.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «سَدُّوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله» ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولّد اعتقادها هذه المفاصد. وقوله: ﴿يَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يثبت السبب الموجب لأن يفعله العبد. ولهذا قال بعضهم: «اعمل، وقَدَّر أنك لم تعمل». وقال آخر: «لا بد منك، وبك وحدك لا يجيء شيء».

فلا بد من العمل بالمأمور به، ولا بد من رجاء رحمة الله وعفوه وفضله، لا بد من العمل ومن رجاء رحمة الله وشهود العبد لتقصيره، ولفقره إلى فضل ربه، وإحسان ربه إليه. وقد قال سفيان بن عيينة: «كانوا يقولون: يتنجون من النار بالعفو، ويدخلون الجنة بالرحمة، ويتقاسمون المنازل بالأعمال».

(١) في الأصل: لا أرض.

(٢) داوم: ليست في الأصل، وزدتها ليتضح المعنى.

فنبّه على أن مقادير الدرجات في الجنة تكون بالأعمال ، وأن نفس الدخول هو بالرحمة . فإن الله قد يدخل الجنة من يُنْشِئُهَا في الدار الآخرة بخلاف النار ، فإنه أقسم أن يملأها من إبليس وأتباعه .

ط ١٨٩
الله يدخل الجنة
بالعمل وبغيره
من الأسباب

/ لكن مع هذا فالعمل الصالح في الدنيا سبب للدخول والدرجة ، وإن كان الله يدخل الجنة بدون هذا السبب ، كما يدخل الأبناء تبعاً لأبائهم . وليس كل ما يحصل بسبب لا يحصل بدون ، كالموت الذي يكون بالقتل ويكون بدون القتل ، ومن فهم أن السبب لا يوجب السبب ، بل لا بد أن يضمّ الله إليه أموراً أخرى ، وأن يدفع عنه آفات كثيرة ، وأنه قد يخلق المسبب بدون السبب - انفتح له حقيقة الأمر من هذا وغيره . والله تعالى أعلم .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليم كثيراً .

رِسَالَةٌ فِي الْجَوَابِ عَمَّا يَقُولُ أَنَّ صِفَاتِ الرَّتَّبِ إِلَى نَسَبِ إِضَافَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ

س ٤٥ "سؤال عمن يقول : إن صفات الرب نسب وإضافات وغير ذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .
أما بعد ، فهذا^(١) فصل مختصر من سؤال سُئل عنه شيخ الإسلام أبو العباس
أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى .

مايقول السادة العلماء أئمة الدين - رضى الله عنهم أجمعين - فيمن قال : نس السؤال
إن صفات الرب لا تعدد ولا يفصل بعضها عن بعض إلا في مراتب العبارات
وموارد الإشارات ، فإذا أضيف علمه إلى الاطلاع على ضمير الصغير والكبير
يُقال : بصير ، وإذا ابتدر منه الرزق يُقال : رزاق ، وإذا أفاض من مكنونات
علمه على قلب أحدٍ من الناس بأسرار إلهيته ودقائق جبروت ربوبيته يقال :
متكلم ، وليس بعضه آلة السمع وبعضه آلة البصر وبعضه آلة الكلام ، بل
كله بكلية ذاته ، لا يشغله شيء عن شيء .
فهل هذا القول صواب أم لا ؟ أفتونا مأجورين .

﴿ الجواب ﴾

هذه مقالة
المتفلسفة
والقراطة
والاتحادية

الحمد لله رب العالمين . ليس هذا القول صواباً ، وإن كان بعضه صواباً ،
بل هذا القول قرع باب الإلحاد ، وتوطئة سبيل الاتحاد ، فإن هذا القول هو
قول غلاة نفاة الصفات الجهمية من متفلسفٍ وقرمطي واتحادى ونحوهم ، وليس

هو قول المعتزلة والنجارية^(١) والضرارية^(٢) والشيعة ونحوهم ممن يقول : القرآن مخلوق ، بل هو شر من قول هؤلاء ، فإن هؤلاء متفقون على أنه خلق في غيره كلاماً ، وأنه متكلم بذلك الذى خلقه في غيره ، وأن موسى والملائكة يسمعون ذلك الكلام المخلوق الذى هو كلام الله عند هؤلاء المبتدعة .

قالوا : إنه لا يكون متكلماً إلا بكلام يقوم به ، وإن الكلام إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل لاغيره ، كسائر الصفات من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوه ، فيقال : عالم وقادر وسميع وبصير ونحو ذلك .

ولهذا قال من قال من السلف : من قال : ﴿ إِنِّى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ [سورة طه : ١٤] مخلوق ، فهو بمنزلة من صدق فرعون في قوله : رد السلف عليهم

(١) النجارية هم أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، ولنا نعرف تاريخ مولده ووفاته ، ولكن ابن النديم يذكر في الفهرست (ص ٢٥٤) أنه مات بسبب العلة التي أصابته عندما ألغمه النظام في جدال جرى بينهما ، فيكون بذلك معاصراً للنظام الذى توفى حوالى سنة ٢٣١ على الأرجح . وعلى الرغم من أن الشهرستانى يعده من المجبرة إلا أنه يقول إنه يوافق الصفاتية في خلق الأعمال ، بل يذكر أنه قال بالكسب على حسب مايشته الأشعرى من بعده . والنجارية يوافقون المعتزلة في نفي الصفات وفي القول بأن المعرفة واجبة بالعقل قبل ورود السمع ، ويعدم الأشعرى من المرجئة ، وينقل الشهرستانى عن الكعبى قوله إن النجار كان يقول إن البارئ تعالى بكل مكان وجوداً لا على معنى العلم والقدرة . انظر : مقالات الإسلاميين ١/ ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٣١٥ - ٣١٦ ؛ الملل والنحل ١/ ٨١ - ٨٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛ الحور العين للحميرى ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٤ ؛ أصول الدين لابن طاهر ، ص ٣٣٤ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦١ - ٦٢ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ؛ الباب لابن الأثير ٣ / ٢١٥ ؛ الأعلام للزركلى ٧ / ٢٧٦ .

(٢) الضرارية هم أتباع ضرار بن عمرو (انظر لسان الميزان ٣ / ٢٠٣) وحفص الفرد (انظر لسان الميزان ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١ ؛ الفهرست لابن النديم ، ص ٢٥٥) وهم يشبهون النجارية في الكثير من أقوالهم ، فهم ينفون الصفات ، ويقولون بخلق الله لأنفال العباد ، ويطلقون القول بالتولد ، ولكنهم ينكرون القول بوجود المعرفة قبل ورود السمع . انظر : الملل والنحل ١/ ٨٢ - ٨٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ؛ أصول الدين لابن طاهر ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ التبصير في الدين ، ص ٦٢ - ٦٣ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٣١٣ - ٣١٤ ؛ التنبيه والرد للملطى ، ص ٤٣ ؛ الحور العين للحميرى ، ص ١٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٤٦ - ١٤٧ ؛ الفصل لابن حزم ٣ / ١٧٣ - ١٧٤ .

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٤] ، لأنه لو كان قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ مخلوقاً لكان كلاماً للمخلوق الذي خلق فيه : إما الشجرة وإما الهواء ، فيكون الشجرة أو الهواء هو القائل : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ » . ومن جعل هذا ربّاً فهو بمنزلة من جعل فرعون ربّاً ، وإن كان الله خالق ذلك الكلام في الشجرة والهواء ، فقد ثبت بالحجة أنه خالق أفعال العباد ، وأنه أنطق كل شيء ، فكل ناطق في الوجود هو أنطقه وخلق نطقه ، فيجب أن يكون كل نطق في الوجود كلامه ، حتى قول فرعون : « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » .
وحينئذٍ فلا فرق بين قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ وبين خلقه على لسان فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ .

وهذا اللازم تفر منه المعتزلة وغيرهم ، إذ هم لا يقولون بأن الله خالق أفعال العباد ، لكن يلزمهم بالحجة ما يخلق الله من الكلام ، مثل : إنطاق الجلود ، وتسبيح الحصى ، وتسليم الحجر عليه عليه السلام ، وشهادة الألسنة / والأيدى ط ٤٥ والأرجل ، فإن هذا ليس من أفعال العباد ، بل ذلك خلق الله . فيلزمهم أن يقولوا : ذلك كله كلام الله ، وهو باطل ، وهم لا يلتزمونونه .

وإنما التزم مثل هذا الاتحادية والحلولية الذين يقولون : إنه وجود المخلوقات ، أو : هو سائر في جميع المخلوقات . كما قال قائلهم :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه^(١)

(١) البيت لابن عربي وقد ذكره في الفتوحات المكية ٤ / ١٤١ ونصه هناك :
ألا كل قول في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه
والبيت الذي يتلوه :
بسم به أسمع كل مكون فنه إليه بدؤه وختامه

ومن هؤلاء من يفرّق بين قول الحلاج وأمثاله : « أنا الحق »^(١) ، وبين قول فرعون : « أنا ربكم الأعلى » بأن الحلاج وأمثاله قالوا ذلك وهم فانون ، فالحق نطق على السفتهم لغيبهم عن شهود أنفسهم ، وأما فرعون وأمثاله ممن هم في شهود أنفسهم فقالوه مع رؤيتهم أنفسهم ، وحاصله أن الله تعالى هو الذى نطق على لسان الحلاج وأمثاله .

وهذا شر من قول من يقول : القرآن مخلوق خلقه الله فى الهواء ونحوه ، لأن الجمد ليس له نطق يُضاف ، فوجود الكلام فيه شبهه توجب جعله كلاماً لغيره ، أما الإنسان الحى إذا وجد منه مثل هذا الكلام مضافاً إلى نفسه ، وجعل المتكلم به هو الله ، فهذا صريح بحلول الحق فيه واتحاده به كما تقوله^(٢) النصارى فى المسيح .

ومعلوم أن النصارى أكفر من المعتزلة ، ومعلوم بالاضطرار من العقل والدين أن الله لم يتكلم على لسان بشر ، كما يتكلم^(٣) الجنى على لسان المصروع ، ولكن يبعث الرسل فيبلغون كلامه ، والمرسل يقول لرسوله : قل على لسانى كذا ، ويقول : كلامى على لسان رسولى فلان ، أى كلامى الذى بلغه عنى .

ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله قال على لسان نبيه : سمع الله لمن حمده ، أى هذا من الكلام الذى بلغه الرسول عن الله ، كما قال تعالى :

(١) فى كتاب « أخبار الحلاج » ، ص ١٠٨ (تحقيق ماسينيون وكراوس ، باريس ، ١٩٣٦) : « وقال أحمد بن فائق : سمعت الحلاج يقول :

أنا الحق والحق للحق
لابس ذاته فاثم فرق

(٢) ك : فهذا صريح بحلول الحق فيه وإيجاده كما تقوله .. الخ ؛ ع : .. وإيجاده به .. الخ .

(٣) ك : تكلم .

﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [سورة الدخان : ٥٧] ، كما يقول المرسل : قد قلت لكم على لسان رسولي فلان كذا وكذا .

وهذا كما أن القول يضاف إلى الرسول لأنه بلغه وأدّاه ، فيضاف إلى جبريل تارة وإلى محمد صلى الله عليهما وسلم^(١) أخرى ، كما قال في آية : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الحاقة : ٤٠ - ٤٢] ، فهذا محمد . وقال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [سورة التكويد : ١٩ - ٢١] ، فهذا جبريل .

وأما جمهور العلماء من أهل الفقه والحديث والتصوف والكلام فطردوا الدليل وأثبتوا لله صفات فعلية تقوم بذاته ، وهذا هو المعلوم الذي دلّ عليه العقل واللغة والشرع .

فالناس ثلاث مراتب : منهم من نفى قيام الصفات والأفعال به كالمعتزلة ؛
ومنهم من أثبت قيام الصفات به دون الأفعال كالكلابية^(٢) ؛ ومنهم من أقرّ
بقيام الصفات والأفعال وهم جمهور الأمة ، كما ذكرته الحنفية في كتبهم ، وكما ذكره

(١) ك : صلى الله عليه وسلم .

(٢) أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب (بضم الكاف وتشديد اللام)
القطان المتوفى بعد سنة ٢٤٠ بقليل . قال عنه ابن حزم إنه شيخ قديم للأشعرية . انظر
عنه وعن مذهبه : لسان الميزان ٣ / ٢٩٠ - ٢٩١ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٥١ ؛ الفهرست
لابن النديم ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٣٢٥ ، ٢ / ٥٢ ، ٥٤ ،
١١٨ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ؛ المحطط للمقرئ ٢ / ٣٥٨ ، ٣٥٩ ؛ نهاية
الإقدام ١٨١ ، ٣٠٣ ؛ الملل والنحل ١ / ٨٥ ؛ أصول الدين ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ،
١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٥٤ ؛ الفصل لابن حزم ٢ / ١٢٣ ،
٤ / ٢٠٨ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٥٠ .

البغوى^(١) وغيره من أصحاب الشافعى عن أهل السنة ، وكما ذكره أبو إسحاق
س ٤٦ ابن شاقلا^(٢) ، وأبو عبد الله بن حامد^(٣) ، والقاضى أبو يعلى فى آخره قوليه / وابنه
أبو الحسين^(٤) ، وغيرهم^(٥) من أصحاب أحمد ، وذكره أبو بكر محمد بن إسحاق
الكلاباذى عن الصوفية فى كتاب « التعرف فى مذاهب التصوف »^(٦) ، وذكره
من ذكره من أئمة المالكية ، وذهب إليه طوائف من أهل الكلام من المرجئة^(٧) ،

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوى المعروف بالفراء ، الفقيه الشافعى المحدث
المفسر توفى سنة ٥١٠ . انظر ترجمته فى : طبقات الشافعية ٤ / ٢١٤ - ٢١٧ ؛ وفيات
الأعيان ١ / ٤٠٢ ؛ تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٥٧ ؛ الأعلام للزركلى ٢ / ٢٨٤ .
(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار من فقهاء الحنابلة
ومن المحدثين ، توفى سنة ٣٦٩ عن أربع وخمسين سنة . انظر ترجمته فى : طبقات الحنابلة
٢ / ١٢٨ - ١٣٩ ؛ المعبر للذهبي ٢ / ٣٥١ .
(٣) أبو عبد الله الحسن بن حامد بن طلى بن مروان البغدادى ، إمام الحنابلة فى زمانه ،
من مصنفاته « الجامع » فى مذهب الحنابلة ، و « شرح الحرقي » ، توفى سنة ٤٠٣ . انظر ترجمته
فى : طبقات الحنابلة ٢ / ١٧١ - ١٧٧ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٧ / ٢٦٣ - ٢٦٤ ؛ مناقب الإمام
أحمد لابن الجوزى ، ص ٥١٩ ؛ النجوم الزاهرة ٤ / ٢٣٢ ؛ الأعلام ٢ / ٢٠١ .
(٤) أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن أبي يعلى وبابن الفراء ،
صاحب كتاب « طبقات الحنابلة » ومن فقهاء الحنابلة وعلمائهم . ولد سنة ٤٥١ وتوفى سنة
٥٢٦ . انظر ترجمته فى : الذيل لابن رجب ١ / ١٧٦ - ١٧٨ ؛ الوافى بالوفيات ١ / ١٥٩ ؛
مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ، ص ٥٢٩ ؛ شذرات الذهب ٤ / ٧٩ ؛ الأعلام
٧ / ٢٤٩ .
(٥) ك ، ع ، وغيرهما .

(٦) انظر ما ذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذى (المتوفى سنة ٣٨٠) فى
« التعرف لمذهب أهل التصوف » ، ص ٣٥ - ٣٧ ط . عيسى الحلى ، ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .
(٧) المرجئة هم الذين كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان ، بمعنى أنهم كانوا يجعلون مدار
الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والإقرار بوحديته ، ولا يجعلون هذا الإيمان مرتبطاً بالعمل .
وأكثر المرجئة يرون أن الإيمان لا يتبع ولا يزيد ولا ينقص ، وبعضهم يقول إن أهل
القبلة لن يدخلوا النار مهما ارتكبوا من المعاصى . انظر ما سبق أن ذكرته فى شرح معنى
« الإرجاء » ص ١١٢ ؛ وانظر : مقالات الإسلاميين ١ / ١٩٧ - ٢١٥ ؛ اللئلى والنحل
١ / ١٢٥ - ١٣٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٢٢ - ١٢٥ ؛ الفصل لابن حزم ٤ /
٢٠٤ - ٢٠٥ ؛ التبصير فى الدين ، ص ٥٩ - ٦١ ؛ الحور العين ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ؛
البدء والتاريخ ٥ / ١٤٤ - ١٤٦ ؛ الخطط للمقرئى ٢ / ٣٤٩ - ٣٥٠ .

والشيعة والكرامية، ^(١) وذهب إليه جمهور أهل الحديث .

والقصد هنا أن الجهمية من المعتزلة ونحوهم الذين قالوا : القرآن مخلوق - مقالة أهل السنة في كلام الله
وقد عُرف مقالات السلف في تكفيرهم وتضليلهم - هم خيرٌ قولاً من أصحاب
هذا القول المذكور في السؤال القائلين : « إذا فاض من مكنونات علمه على قلب
أحد من الناس بأسرار إلهيته ، ودقائق جبروت ربوبيته يُقال : متكلم » ، فإن
هذا قول من لا يجعل لله كلاماً قائماً به ^(٢) ، كما يقوله الذين يقولون : إنه خلق
كلاماً بائناً منه ، وقد قال الإمام أحمد : « كلام الله من الله ، ليس بائناً منه » ^(٣)
والقرآن الذي أنزله هو كلامه لا كلام غيره ، إذ الكلام كلام من قاله ^(٤) مبتدئاً
لا كلام من قاله ^(٥) مبلّغاً مؤدياً .

(١) الكرامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حنبل السجستاني المتوفى
سنة ٢٥٥ ، وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات ، ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه
والتجسيم ، وكذلك هم يوافقون السلف في إثبات القدر والقول بالحكمة ، ولكنهم يوافقون
المعتزلة في وجوب معرفة الله تعالى بالعقل وفي الحسن والقبح العقليين ، وهم يعدون من المرجئة
لقولهم بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب . انظر عن ابن كرام والكرامية :
لسان الميزان ٥ / ٣٥٣ - ٣٥٦ ؛ ميزان الاعتدال ٤ / ٢١ - ٢٢ ؛ شذرات الذهب
٢ / ١٢١ ؛ تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٥٣٦ تاريخ بغداد ٤ / ١١٨ ؛ الباب لابن الأثير
٣ / ٣٢ ؛ الأعلام ٧ / ٢٣٦ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٢٥٥ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ٤٥ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ الملل والنحل ١ / ٩٩ - ١٠٤ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٠ - ١٣٧ ؛
التبصير في الدين ، ص ٦٥ - ٧٠ ؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٦٧ ؛
البدء والتاريخ ٥ / ١٤١ ؛ الخطط للمقرئ ٢ / ٣٤٩ ، ٣٥٧ ؛ Tritton (A. S.)
Muslim Theology, pp. 108-112, London, 1947.

(٢) في النسختين : كلاماً لا قائماً به . . . ، ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته ، أو
تكون العبارة : فإن هذا قول من يجعل لله كلاماً لا قائماً به .

(٣) في ترجمة الإمام أحمد في « تاريخ الإسلام للذهبي » (مقدمة المسند ، ط . المعارف ،
ص ٧٩) : « وقال الخلال : أخبرني محمد بن سليمان الجوهري حدثنا عبدوس بن مالك
الطمار سمعت أحمد بن حنبل يقول : ... والقرآن كلام الله غير مخلوق ، ولأنه من الله ليس
ببائن منه ... » .

(٤ - ٥) : ساقط من (ك) .

ولهذا قال السلف والأئمة : « القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود » . فقولهم : « منه بدأ » نهبوا به على مخالفة الجهمية الذين قالوا : إنه خلقه في غيره منفصلاً عنه ، فقال أهل السنة : « منه بدأ » : لم يبتدئ من غيره من الموجودات ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [سورة النمل : ٦] ، وقال : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، وقال : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة هود : ١] ، ولا نجعل لله كلاماً مخلوقاً في غيره منفصلاً عنه ، كما قالت (١) المعتزلة ونحوهم من الجهمية .

فإن هؤلاء وإن كان قولهم من أعظم القول فريةً وضلالاً ، فهو أقل كفرًا وضلالاً من قول أهل القول المستول عنه القائلين : « إذا فاض من مكنون علمه على قلب أحد من الناس » ، فإن هؤلاء لم يجعلوه متكلماً إلا بما جعله في القلوب من العلم .

وهذا في الأصل قول المتفلسفة والصابئة ونحوهم ، الذين لا يجعلون لله كلاماً إلا ما أفاضه على قلوب العباد من العلوم والمعارف ، ويجعلون تكليمه للعباد نوع تعريف يعرفهم به الأمور ، ويقولون : إنه تتشكل في نفس الشيء أشكال نورانية - هي ملائكة الله عندهم - وأصوات قائمة بنفسه ، هي كلام الله عندهم ، ويزعمون أن تكليم الله لموسى هو من هذا الباب ، إنما هو فيض فاض عليه من العقل الفعّال أو من غيره ، وقد يجعلون العقل الفعّال هو جبريل ، وليس التكليم عندهم مختصاً (٢) بأحد ، ولكنه يفيض بحسب استعداد النفوس (٣) .

مقالة الفلاسفة
في كلام الله

(١) ك : كما قالت .

(٢) في النسختين : مختص ، وهو خطأ .

(٣) انظر مصداق كلام ابن تيمية عن الفلاسفة في مؤلفات ابن سينا : رسالة في القوى الإنسانية ، ص ٦٦ - ٧٠ ؛ الإشارات والتنبيهات ٤ / ٨٦١ - ٨٩٠ ؛ الشفاء (النفس) ١ / ١٦٣ - ١٧٧ ؛ الرسالة العرشية ، ص ١٥ - ١٦ ؛ النجاة ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

وعلى قولهم : فجميع الخلق يكلمهم تكليماً كما كلم موسى ، وكل كلام صادق تكلم به ذو نفس صافية فهو كلام الله كما أن القرآن كلام الله ، فيلزمهم أن كل ما تكلم به الأنبياء قمنٌ دونهم من الخبر الصادق والأمر بالخير هو كلام الله ، وأن ذلك كله من نوع القرآن ، وأن يكون القرآن كلام البشر ، ولا فرق عندهم بين قول البشر وقول الله ، بل يلزمهم أن جميع ما يتكلم به البشر كلام الله ، من أجل أن ذلك يفيض على قلوب البشر ، حتى الكذب والكفر ، فإن جهة الإفاضة واحدة في الجميع ، / وكل ما يلزم القائلين بأن القرآن مخلوق يلزم هؤلاء وزيادة ، فإن أولئك يجعلونه مخلوقاً خارجاً عن نفس النبي ، وهؤلاء لا ^(١) يجعلون له محلاً إلا نفس النبي .

ط ٤٦

متابعة الغزالي
للفلاسفة

وهذا القول هو قول المتفلسفة ، ووقع فيه طوائف من المنتسبين إلى الملل من اليهود والنصارى ، ومن المنتسبين إلى المسلمين ممن خلط الفلسفة بالتصوف ، مثل أهل الكلام المستول عنه وأمثاله ، ومثل ما وقع لأبي حامد في كتاب «المضنون به على غير أهله» الأول والثاني ، ونحو ذلك من المصنّفات مثل «مشكاة الأنوار» و «مسائل النفخ والتسوية» و «كيمياء السعادة» و «جواهر القرآن» ^(٢) ،

(١) لا : ساقطة من (ع) .

(٢) يشير ابن تيمية هنا إلى رسائل عدة للغزالي منها «المضنون به على غير أهله» والمضنون الثاني ويسمى «المضنون الصغير» أو «الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية» وطبعاً ضمن مجموعة بالمطبعة الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٠٩ . وطبعاً أيضاً ضمن مجموعة «القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي» ، مكتبة الجندي ، القاهرة ، بدون تاريخ . وأما مشكاة الأنوار فطبع مراراً وآخر الطباعات هي طبعة الدار القومية ، ١٣٨٣ / ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور أبي العلا عفيفي . وطبع «كيمياء السعادة» أيضاً ضمن مجموعة ، ط . مكتبة الجندي ، بدون تاريخ . وأما «جواهر القرآن» فطبع بالمكتبة التجارية أكثر من مرة ، منها ط . سنة ١٩٣٣ / ١٣٥٢ . وأما «مسائل النفخ والتسوية» فهي نفس رسالة «المضنون الصغير» (انظر : مؤلفات الغزالي للدكتور عبد الرحمن بدوي ، ص ٣١٨-٣١٩ ، ط . المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ١٩٦٠) .

وانظر ما سيذكره ابن تيمية بعد صفحات ، ص ١٦٨ - ١٧٠ . وانظر مثلاً : رسالة المضنون به على غير أهله ، ص ٣٢٠ ، وانظر أيضاً رسالة «السيغنية» لابن تيمية ، ضمن المجلد الخامس من مجموعة فتاوى ابن تيمية ، ط . الكردى ، القاهرة ، ١٣٢٩ .

وما يشير إليه أحياناً في « الإحياء » وغيره ، فإنه كثيراً ما يقع في كلامه ما هو مأخوذ من كلام الفلاسفة ويخلطه بكلام الصوفية أو عباراتهم ، فيقع فيه كثير من المتصوفة الذين لا يميزون بين حقيقة دين الإسلام وبين ما يخالفه من الفلسفة الفاسدة وغيرها ، لا سيما إذا بُني على ذلك وأتبعَت لوازمه ، فإنه يفضي إلى قول ابن سبعين وابن عربي صاحب « الفصوص » وأمثالها من يقول بمثل هذا الكلام ، وحقيقة مذهبهم يؤول إلى التعطيل الحض ، وأنه ليس للعالم رب مباين له ، بل الخالق هو المخلوق ، والمخلوق هو الخالق .

مقالة ابن عربي
في الفصوص

كما قال صاحب « الفصوص » ^(١) : « ومن أسمائه الحسنی : العليّ ؛ صَلَّى مَنْ وَمَا تَمْ إِلَّا هُوَ ؟ ^(٢) أَوْ عَنْ مَاذَا وَمَا هُوَ إِلَّا هُوَ ؟ ! فَعَلَوْهُ لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ مِنْ حَيْثُ الْوُجُودِ عَيْنُ الْمَوْجُودَاتِ ، فَالْمُسْتَمَيَّ مُحَدَّثَاتُ هِيَ الْعَلِيَّةُ لِدَاتِهَا وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ » .

إلى أن قال ^(٣) : « فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما تَمْ من يراه غيره ، وما تَمْ يَبْطُنُ عَنْهُ سِوَاهُ ^(٤) ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسمَّى أَبُو سَعِيدِ الْخِرَازِ ^(٥) وغير ذلك من أسماء المحدثات » .

إلى أن قال ^(٦) : « ومن عرف ما قررناه في الأعداد ، وأن نفياً عين

(١) في فصوص الحكم ٧٦/١ ، وسنقابل ما ذكره ابن تيمية هنا عليه .

(٢) في الفصوص بعد هذا الكلام توجد عبارة ليست في النسختين وهي : « فهو الملقى

لداته » .

(٣) في الفصوص ٧٧/١ . وسبق أن نقلت نص الفصوص فيما تقدم (ص ١٠٥ ت ١) .

(٤) كلمة « سواه » ليست في الفصوص .

(٥) في الفصوص : أبا سعيد الخراز . وأشار الدكتور أبو الملا عفيف إلى أنها في نسخة

أخرى : « أبو سعيد الخراز » .

(٦) في الفصوص ٧٨/١ .

إثباتها^(١)، علم أن الأمر الخالق المخلوق، وأن الأمر المخلوق الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ أَفَئِلَ مَا تُؤْمَرُ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢] فالولد^(٢) عين أبيه، فما رأى يذبح سوى نفسه، وفداه بذبح عظيم^(٣)، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان، وظهر بصورة ولد^(٤) من هو عين الوالد، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة النساء: ١]، فما نكح سوى نفسه.

إلى أن قال^(٥): «فالملئ لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب المدمية^(٦) سواء كانت محمودة عُرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عُرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك لأحد إلا لسمى الله خاصة^(٧)».

وقال^(٨): «ألا ترى الحق^(٩) يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص والذم^(١٠)؟ ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها/ إلى آخرها، فكلها^(١١) حق له، كما هي صفات المحدثات حق للحق».

(١) في الفصوص بعد ذلك: «علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق. فالأمر الخالق المخلوق... الخ».

(٢) في الفصوص: والولد.

(٣) الإشارة هنا إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ يَنَآهٗ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الصافات: ١٠٧]

(٤) في الفصوص هذه الزيادة: «بل بحكم ولد».

(٥) في الفصوص ١ / ٧٩.

(٦) في الفصوص بعد ذلك: «بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت الخ».

(٧) في الفصوص: «وليس ذلك إلا لسمى الله تعالى خاصة».

(٨) في الفصوص ١ / ٨٠ - ٨١.

(٩) في (ك)، (ع): لا يرى الحق، والمثبت عن «الفصوص» ١ / ٨٠.

(١٠) والذم: كذا في النسختين، وفي الفصوص: وبصفات الذم.

(١١) في الفصوص: وكلها.

وقال أيضاً ^(١) : ﴿ وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا كُبَرًا ﴾ ، [سورة نوح : ٢٢]
لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو ، لأنه ما عَدِمَ إلى ^(٢) البداية فيُدعى إلى الغاية ،
ادعوا إلى الله ^(٣) ، فهذا عين المكر .

إلى أن قال ^(٤) : « فقالوا في مكرهم : ﴿ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ
وَدًّا ﴾ [سورة نوح : ٢٣] ، فإنهم لو تركوهم تركوا من الحق على قدر
ما تركوا من صفات هؤلاء ^(٥) ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه
ويجهله من جهله ^(٦) ، كما قال في الحمدين ^(٧) : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] ، أى حَكَمَ ، فالعالم يعلم من عُبِدَ ، وفى أى
صورة ظهر حتى عبد ، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة ،
وكالقولى المنوية فى الصورة الروحانية ، فما عُبِدَ غير الله فى كل معبود .

وقال أيضاً ^(٨) : « فكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ماعبده
أحباب المجل ، لعلمه بأن الله قد قضى أَلَّا يُعْبَدَ ^(٩) إلا إياه ، وما حكم الله
بشيء إلا وقع . فكان عيب ^(١٠) موسى أخاه هارون لِمَا وقع من إنكاره ^(١١) »

(١) فى الفصوص ١ / ٧١ - ٧٢ .

(٢) إلى : كذا فى النسختين ، وفى الفصوص : من

(٣) فى الفصوص : ادعوا الله .

(٤) فى الفصوص : ١ / ٧٢ .

(٥) فى الفصوص : ذكرت الآية إلى آخرها .

(٦) فى الفصوص : « فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء » .

(٧) فى الفصوص : « يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله » .

(٨) فى الفصوص : « المحمدين » .

(٩) فى الفصوص ١ / ١٩٣ .

(١٠) ك : أَلَّا تَعْبُدُوا . والثبت فى (ع) وفى الفصوص .

(١١) الفصوص : عتب .

(١٢) الفصوص : لما وقع الأمر فى إنكاره .

وعدم اتساعه ، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء . »

وقال أيضاً ^(١) : « ولما كان فرعون في مرتبة التحكم ^(٢) ، وأنه الخليفة بالسيف - وإن جار في العرف الناموسي - لذلك ^(٣) قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٤] ، أى وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلى منهم بما أُعْطِيَتْه في الظاهر من الحكم ^(٤) فيكم . ولما علمت السحرة صدقه فيما قال ^(٥) لم ينكروه وأقروا له بذلك ، وقالوا له ^(٦) : إنما تقضى هذه الحياة الدنيا فاقض ما أنت قاض ^(٧) ، فالدولة لك . فصاح قومه : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ . »

إلى أمثال ذلك من هذا الكلام الذى يسميه أصحابه مذهب الوحدة ويقولون : إن الوجود واحد ، كما يقوله ابن عربى صاحب « الفتوحات » وابن سبعين وابن الفارض والتلمسانى وأمثالهم - عليهم من الله ما يستحقونه - فإنهم لا يحملون للخالق سبحانه وجوداً مباحيناً لوجود المخلوق ، وهو جامع كل شرفى العالم . ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مباحيناً لوجود المخلوق ، وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً ، ومن الكلام الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً ، ومن كلام القرامطة والباطنية شيئاً ، فيطوفون على أبواب المذاهب ، ويفوزون بأخس المطالب ، ويثنون على ما يذكرون من

(١) فى الفصوص ٢١٠/١ - ٢١١ .

(٢) الفصوص : « فى منصب التحكم صاحب الوقت » .

(٣) ع (فقط) : كذلك .

(٤) الفصوص : التحكم .

(٥) الفصوص : فى مقاله .

(٦) الفصوص : فقالوا له .

(٧) لإشارة إلى آية ٧٢ من سورة طه .

تأثر النزالي
بإخوان الصفا
وأمثالهم

التصوف المخلوط بالفلسفة ، كما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه مما هو مأخوذ من رسائل إخوان الصفا وأمثالهم ، ممن يريد أن يجمع بين ما جاءت به الكتب الإلهية والرسائل المبلّغون عن الله عز وجل وما تقوله الصابئة المتفلسفون في العلم الإلهي ، فيذكرون أحاديث موضوعية ، وربما حَرَّفوا لفظها ، كما يذكرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزّني وجلالي ما خلقت خلقاً / أكرم علىّ منك ، فبك آخذ وبك أعطى ، وبك الثواب وبك العقاب » .

ط ٤٧

وهذا الحديث موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ولنظرة : أول ما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل . وروى : لما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل^(١) . فمعناه أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، ففبروا لفظه وقالوا : أول ما خلق الله العقل ، ليوافق ذلك^(٢) مذهب المشائين من المتفلسفة أتباع أرسطو القائلين : أول الصادرات عنه العقل .

(١) ذكر السيوطي في « الآلئ المصنوعة » ١ / ١٢٩ - ١٣٠ عدة روايات لهذا الحديث وبين اتفاق العلماء على أنها موضوعية . وكذلك اتفق أكثر العلماء على أن الأحاديث الواردة في فضل العقل كلها موضوعية أو ضعيفة وأن داود بن الحبر أخرجها في كتاب العقل ونقلها عنه غيره ، وداود هذا كذاب . انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ، ص ١١٨ ، ١٣٤ الموضوعات لعلي القاري ، ص ٢٧ ، ٣٠ ؛ تذكرة الموضوعات للفتحي ، ص ٢٩ - ٣٠ تنزيه الشريعة لابن عراق ١ / ٢١٣ ؛ كشف الحفاء للعجلوني ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٦٣ الفوائد المجموعة للشوكاني ، ص ٤٤٧٦ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ١ / ١١ (ط . دمشق ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩) .

وتكلم الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ / ٢٠ عن داود بن الحبر فقال : « داود بن الحبر ابن قحزم ، أبو سليمان البصري ، صاحب « العقل » ولبته لم يصنفه .. قال أحمد : لا يدرى ما الحديث ؛ وقال ابن المديني : ذهب حديثه ، وقال أبو زرعة وغيره : ضعيف ، وقال أبو حاتم : ذهب الحديث غير ثقة ، وقال الدارقطني : متروك » .

(٢) ذلك : ساقطة من (ك) .

وقد بسطنا الكلام في بيان فساد ذلك شرعاً وعقلاً ، وبيننا أن بين هؤلاء وبين الرسل من المباينة أعظم مما بين اليهود والنصارى وبين المسلمين ، وأن اليهود والنصارى إذا لم يتفلسفوا كانوا أقرب إلى الحق من هؤلاء ، فإن تفلسف اليهودى والنصرانى كان كفره من جهتين .

وهذه الكتب المضافة إلى أبى حامد ، مثل الكتابين المضمون بهما على غير أهلها وأمثالهما ، مازال أئمة الدين ينكرون مافيهما من الباطل المخالف للكتاب والسنة . ثم من الناس من يكذب نسبة هذه الكتب إليه ، ومنهم من يقول — وهو أشبه — رجع عن ذلك ، كما ذكر في كتب أخرى ذم الفلاسفة وتكفيرهم . وذكر عبد الغافر الفارسى في « تاريخ نيسابور »^(١) أنه استقر أمره على مطالعة البخارى ومسلم ، فكان آخر أمره الرجوع إلى الحديث والسنة^(٢) ، والله أعلم .

فهذا الكلام المذكور في السؤال يوجد نحوه في مثل هذه الكتب التى يجعلها أهلها من كتب الحقائق والأسرار ، كما قال صاحب كتاب « المضمون »^(٣) : « (فصل) : يتخيل بعض الناس كثرة في ذات الله تعالى من طريق تعدد الصفات، وقد صح قول من قال في الصفات : لاهى هو ولا غيره^(٤) »

(١) أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسى ، فارسى الأصل من أهل نيسابور ، ولد سنة ٤٥١ وتوفى سنة ٥٢٩ . قال الذهبي : صاحب « تاريخ نيسابور » ... وكان إماماً في الحديث واللغة والأدب والبلاغة ، عاش ثمانية وسبعين سنة وأكثر الأسفار . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢ / ٣٩١ - ٣٩٢ ؛ المبر للذهبي ٤ / ٧٩ ؛ الأعلام ١٥٧ / ٤ .

(٢) يقول عبد الغافر « وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخارى ومسلم » . ونقل كلامه السبكي في طبقاته ٤ / ١٠٩ . (٣) في كتاب « المضمون به على غير أهله » ، ص ٣١١ ، ط . الجنيدى (مجموعة القصور العوالى) .

(٤) في « المضمون » : لا هو ولا غيره .

وهذا التخيل يقع من توهم التغير، ولا تغاير في الصفات . مثال ذلك : أن إنساناً تعلم صورة الكتابة ، وله علم بصورة « بسم الله » التي تظهر تلك الصورة على القرطاس ، وهذه صفة واحدة ، وكما لها أن يكون المعلوم تبعاً لها ، فإنه إذا حصل العلم بتلك الكتابة ظهرت الصورة على القرطاس بلا حركة يد وواسطة قلم ومداد .

فهذه الصفة من حيث إن المعلوم انكشف بها يقال له : علم ، ومن حيث إن الألفاظ تدل عليها يقال لها : كلام^(١) ، فإن الكلام عبارة عن مدلول العبارات ، ومن حيث إن وجود المعلوم تبع لها يقال لها : القدرة ، ولا تغاير ههنا بين العلم والقدرة والكلام ، فإن هذه صفة واحدة في نفسها ، ولا تكون هذه الاعتبارات الثلاث واحدة .

وكل من كان أعور لا ينظر إلا بالعين العوراء ولا يرى إلا مطلق الصفة فيقول : هو هو ، وإذا التفت إلى الاعتبارات الثلاث يقال^(٢) : هي غيره ، ومن اعتبر مطلق الصفة مع الاعتبارات فقد نظر بعينين صحيحتين : / اعتقد أنها لاهو ولا غيره .

٤٨٠

والكلام في صفات الله تعالى ، وإن كان مناسباً لهذا المثال ، فإنه مبين له بوجه آخر . وتفهم هذه المعاني بالكتابة غير يسير^(٣) .

فهذا الكلام من جنس الكلام المذكور في السؤال ، وكلاهما يرجع إلى ما تزعمه المتفلسفة من أن الصفات ترجع إلى العلم إذا أثبتوه .

مقالة ابن حزم وقد يقرب من هؤلاء ابن حزم حيث رد الكلام والسمع والبصر وغير

(١) ك : يقال لها الكلام ؛ المضمون : يقال لها القدرة كلام ؛ والثبت عن (ع) .

(٢) المضمون : فقال .

(٣) المضمون : عسير غير يسير .

ذلك إلى العلم^(١) مع أنه لا يثبت صفة لله هي العلم ، ويجعل أسماء الحسنى إنما هي أعلام محضة ، فالحي والعالم والقادر والسميع والبصير ونحوه كلها أسماء أعلام لا تدل على الحياة والعلم والقدرة^(٢) .

وهذا يؤول إلى قول القرامطة الباطنية ونحوهم نفاة أسماء الله تعالى الذين الرد على النفاة يقولون : لا يقال : حي ولا عالم ولا قادر ؛ وهذا كله من الإلحاد في أسماء الله وآياته . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٠] .

وإذا كان من الإلحاد إنكار اسمه « الرحمن » كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾ [سورة الفرقان : ٦٠] ، وقال : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة الإسراء : ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] إلى غير ذلك .

(١) يقول ابن حزم في « الفصل » ٢ / ١٢٤ : « ونحن نقول أنه تعالى لم يزل سميّاً للمسموعات بصيراً بالبصرات يرى المراتب ويسمع المسموعات ، ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك ، كما قال تعالى : (لئنني منكم سميع وأرى) ، وهذا كله معنى العلم الذى لا يقتضى وجوداً لمعلومات لم يزل ... إلخ » .

(٢) يقول ابن حزم في « الفصل » ٢ / ١٢٨ : « إنما لانفهم من قولنا : قدير وعالم إذا أردنا بذلك الله تعالى ، إلا ما نفهم من قولنا الله فقط ، لأن كل ذلك أسماء أعلام لامشقة من صفة أصلاً . لكن إذا قلنا : الله تعالى بكل شيء عليم ويعلم الغيب ، فإنما نفهم من كل ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شيء ، ولا يفهم منه ألينة أن له علماً هو غيره . وهكذا نقول في : يقدر ، وفي ذلك كله » .

واظفر : منهاج السنة ٢ / ٤٦٨ (ط . دار العروبة) .

فإذا كان اسمه « الرحمن » قد أنزل فيه ما أنزل فكيف إنكار سائر الأسماء ، ومعلوم أن اللفظ إذا كان علماً محضاً لم ينكره أحد ، ولو كانت أعلاماً لم يفرق بين الرحمن والعليم والتقدير .

الرد على الغزالي وما ذكره صاحب كتاب « المصنوع » مع المتفلسفة من أن العلم بالممكنات هو المقتضى لوجودها معلوم البطلان بأدنى تأمل . فإن العلم نوعان : علم نظري وعلم عملي ، فأما النظري - وهو العلم بما لا يفعله العالم ، كعلم الله بنفسه ، وكعلمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر - فهذا ليس مقتضياً لوجود المعلوم بالضرورة واتفاق العقلاء ، وإن كان قد يكون سبباً لبعض الأعمال .

وأما العلم العملي كعلم الله بمخلوقاته ، وكعلمنا بمفعولاتنا ، فهذا العلم وحده ليس موجباً لوجود المعلوم بلا قدرة ولا إرادة وعمل ، فإننا إذا تصورنا ما نريد فعله لم يكن مجرد تصورنا ما نريده ولم نقدر عليه لم يكن ، وإذا كنا قادرين على ما نتصوره ولا نريده لم يكن ، بل لا بد : علمنا به ، وإرادتنا له ، وقدرتنا عليه .

فلو قال قائل : علم الله ليس كعلمنا .

قيل له : وذات الله ليست كذاتنا ، ولا قدرته وإرادته كقدرتنا وإرادتنا .

وهذا السؤال قد بسط الشيخ الكلام عليه وقد اختصر منه . وقال في وسط الكلام على هذا السؤال :

اثبات ابن تيمية وأهل السنة والماهية لله تعالى بل لكل موجود حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه ويبين بها غيره . وهذه الحقيقة هي حقيقة الربوبية ، وبنفها^(١) ضل الجهمية من المعتزلة والفلاسفة

(١) في النسختين : وبنفسها ، والصواب ما أثبتته . وانظر قوله : وهي الماهية التي أثبتها .. الخ ، وقوله بعد قليل : وعلى إنباتها أئمة السنة والجماعة .. الخ .

والقراطة والاتحادية وأمثالهم ، وهى الماهية التى أئبتها ضرار وأبو حنيفة وغيرهما من الكوفيين^(١) ، وخالفهم فى ذلك معتزلة البصرة^(٢) ، وعلى إثباتها أئمة السنة^(٣) والجماعة من السلف والخلف ، ولهذا ينفون العلم بماهية الله وكيفية فيقولون : لا تجرى ماهيته فى مقال ، ولا تخطر كلفيته ببال ؛ ومن نفاها من المنتسبين إلى السنة وغيرهم قال : ليس له ماهية فتجرى فى مقال ، ولاله كلفيه فتخطر ببال .

والأول هو المأثور عن السلف والأئمة ، كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع ، ويدل عليه صريح العقول وصحيح المنقول ، والله سبحانه أعلم .

(١) يقول ابن طاهر فى أصول الدين (ص ٣٣٩) عن ضرار بن عمرو : « واقرد بأشياء منها قوله : إن الله يرى بحاسة زائدة يرى بها المؤمنون ماهية الإله ، ووصف الله بالماهية كما قال أبو حنيفة وحفص الفرد » . وانظر أيضاً : الملل والنحل ١/ ٨٢ ؛ مقالات الإسلاميين ١/ ٣١٤ ؛ التبصير فى الدين ، ص ٦٣ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٣٠ ؛ الحور العين ، ص ١٤٨ . وانظر الفصل لابن حزم ١٧٣/ ٢ - ١٧٥ حيث عقد فصلاً بعنوان : الكلام فى المائىة ، قال فى أوله : « ذهب طوائف من المعتزلة إلى أن الله تعالى لا مائىة له ، وذهب أهل السنة وضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى مائىة . قال ضرار : لا يعاها غيره . قال أبو محمد : والذى نقول به - وبالله تعالى التوفيق - أن له مائىة هى لائىته نفسها . الخ » .

(٢) فى « البدء والتاريخ » لمطهر بن طاهر المقدسى ١٤٣ / ٥ : « وأما البصريون فإنهم الذين أصولوا هذا المذهب مثل واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبى الهذيل بن العلاف وأبى إسحاق النظام » . وانظر « فلسفة المعتزلة » للدكتور ألبير نصرى نادر ١/ ٧ - ١٢ ، ط . الأسكندرية ، ١٩٥٠ .

(٣) فى (ك) : أئمة السلف ؛ وفى (ع) لم يظهر من الكلمة ما بعد حرف السين ، ورجحت أن يكون الصواب ما أئبته .

رِسَالَةٌ فِي تَحْقِيقِ مَسْأَلَةِ عِلْمِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله

﴿ فصل في مسألة العلم ﴾

الناس المنتسبون إلى الإسلام في علم الله باعتبار تعلقه بالمستقبل على ثلاثة أقوال : في هذه المسألة ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يعلم المستقبلات بعلم قديم لازم لذاته ، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة ، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم . وهذا قول طائفة من الصفاتية من الكلايين والأشعرية ومن وافقهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة ، وهو قول طوائف من المعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات ، لكن هؤلاء يقولون : يعلم المستقبلات ، ويتجدد التعلق بين العالم والمعلوم ، لا بين العلم والمعلوم .

وقد تنازع الأولون : هل له علم واحد أو علوم متعددة ؟ على قولين .
والأول قول الأشعري وأكثر أصحابه ، والقاضي أبي يعلى وأتباعه ، ونحو هؤلاء .
والثاني قول أبي [سهل] الصُّغْلُوكِي ^(١) .

والقول الثاني : أنه لا يعلم الحادثات إلا بعد حدوثها . وهذا أصل قول القدرية الذين يقولون : لم يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها ، وأن الأمر أنف :

(١) في الأصل : أبي الصُّغْلُوكِي . واشتهر من الأشاعرة أبو سهل محمد بن سليمان الصُّغْلُوكِي وابنه أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصُّغْلُوكِي ، ورجحت أن يكون المقصود هو الأول . ولد سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٦٩ ، وكان من فقهاء الشافعية ، عالماً أدبياً مفسراً . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ٢ / ١٦١ - ١٦٤ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٣٤٢ - ٣٤٣ ؛ تبين كذب المفتري ، ص ١٨٣ - ١٨٨ ؛ الوافي بالوفيات ٣ / ١٢٤ ؛ الأعلام ٧ / ٢٠ .

لم يسبق القدر بشقاوة ولا سعادة ، وهم غلاة القدرية الذين حدثوا في زمان ابن عمرو وتبرأ منهم ^(١) . وقد نص الأئمة كمالك والشافعي وأحمد على تكفير قائل هذه المقالة .

لكن القدرية صرّحوا بنفي العلم السابق والقدر الماضي في أفعال العباد الأمور بها والنهي عنها ، وما يتعلق بذلك من الشقاوة والسعادة . ثم منهم من اقتصر على نفي العلم بذلك خاصة ، وقال : إنه قدّر الحوادث وعلمها إلا هذا ، لأن الأمر والنهي مع هذا العلم يتناقض عنده ، بخلاف مالا أمر فيه ولا نهى .

ومنهم من قال ذلك في عموم المقدرات ، وقد حُكي نحو هذا القول عن عمرو بن عبيد ^(٢) وأمثاله . وقد قيل : إنه رجع عن ذلك قبل إنكاره لأن تكون ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [سورة السد : ١] ، و ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

(١) يشير ابن تيمية إلى مقدمة حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه مسلم في أول كتاب الإيمان من صحيحه ١ / ٢٨ ولفظه : « عن يحيى بن عيسى قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحيد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتبرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتفته أنا وصاحبي ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ؛ فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتفقرون العلم - وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برءاء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر » .

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » ١ / ١٢٨ أن الحديث رواه مسلم والنسائي والترمذي وأبو داود وذكر رواياته المختلفة ١ / ١٢٨ - ١٣٦ .

(٢) أبو عثمان عمرو بن عبّيد بن باب مولى آل عرادة بن يربوع بن مالك ، وكان من سبي كابل . ولد سنة ٨٠ وعاش في البصرة وصاحب واصل بن عطاء وتزوج أخته وصار من أئمة المعتزلة ، وكانت وفاته سنة ١٤٤ . انظر ترجمته ومقاتله في : وفيات الأعيان ٣ / ١٣٠ - ١٣٣ ؛ النية والأمل لابن المرتضى ، ص ٢٢ - ٢٤ ؛ شذرات الذهب ١ / ٢١٠ - ٢١١ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ١٦٦ - ١٨٨ ؛ مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٣١٤ ؛ المحور العين ، ص ١١١ - ١١٢ ؛ ميزان الاعتدال ٣ / ٢٧٣ - ٢٨٠ ؛ الأعلام ٥ / ٢٥٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ - ٧٣ ؛ التبصير في الدين ، ص ٤٢ .

وَحِيداً﴾ [سورة المدثر: ١١] ، ونحو ذلك في اللوح المحفوظ ، وأمثال ذلك .

والقول الثالث : أنه يعلمها قبل حدوثها ، ويعلمها بعلم آخر حين وجودها .
وهذا قد حكاه المتكلمون كابى المالئ عن جهه ، فقالوا : إنه ذهب إلى إثبات علوم حادثة لله تعالى ، وقال : البارئ عالم لنفسه ، وقد كان فى الأزل عالماً بنفسه وبما سيكون ، فإذا خلق العالم ، وتجددت المعلومات - أحدث لنفسه علوماً بها يعلم المعلومات الحادثة ، ثم العلوم تتعاقب حسب تعاقب المعلومات فى وقوعها متقدمة عليها ، أى العلوم متقدمة على الحوادث . وذكروا أنه قال : إنها فى غير محل ، نظير ما قالت المعتزلة / البصرية فى الإرادة^(١) .

ص ٢٤٣

وهذا القول ، وإن كان قد احتجَّ عليه بما فى القرآن من قوله : ﴿لَيَعْلَمَ﴾ فتلك النصوص لا تدل على هذا القول .

فإن هذا القول مضمونه تجديد علم قبل الحدوث ، والذي فى القرآن إنما ذكروا دلالاته على ما بعد الوجود ، وهذان قولان متضاران . وإنما يحتج عليه بمثل قوله فى حديث : أبرص وأقرع وأعمى : « بدا لله أن يبتليهم »^(٢) . وليس

(١) قال أبو المالئ الجوينى فى كتابه « الإرشاد » ص ٩٦ (ط . الخانجى ١٣٦٩ / ١٩٥٠) : « ذهب جهه إلى إثبات علوم حادثة للرب ، تعالى عن قول البطلىن ، وزعم أن المعلومات إذا تجددت أحدث البارئ سبحانه وتعالى علوماً متجددة بها يعلم المعلومات الحادثة ، ثم العلوم تتعاقب حسب تعاقب المعلومات فى وقوعها متقدمة عليها . . . وسبيل الرد عليه فى مدارك العقل يدانى سبيل الرد على البصريين فى اعتقادهم الإرادات الحادثة الثابتة - على زعمهم - لله تعالى فى غير محال » .

وانظر : نهاية الإقدام للشهرستانى ، ص ٢١٥ .

(٢) الحديث متفق عليه عن أبى هريرة رضى عنه ، وهو فى البخارى ٤ / ١٧١ - ١٧٢ (كتاب الأنبياء ، حديث أبرص وأعمى وأقرع فى بنى إسرائيل) وأوله : « . . . أخبرنى عبد الرحمن بن أبى عمرة أن أباه هريرة رضى الله عنه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن ثلاثة فى بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم فبعت لايهم ملكاً . . . الحديث » . وهو فى مسلم ٨ / ٢١٣ - ٢١٤ (أول كتاب الزهد والرفائق) وفيه : « . . . فأراد أن يبتليهم . . . » .

هذا بدءاً^(١) يخالف العلم القديم ، كما قاله بعض غلاة الرافضة^(٢) . وكذلك أبو الحسين البصري^(٣) قال بإثبات علوم متجددة في ذات الله بحسب تجديد المعلومات^(٤) ، وكذلك أبو البركات صاحب «المعتبر» ، الإمام في الفلسفة^(٥) ،

(١) في الأصل : بدا (وعلى الباء فتحة وعلى الدال سكون) ، ولعله خطأ من الناسخ .
(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل ١ / ١٣٢ - ١٣٣ عن مذهب المختار الشيعية الكيسانية وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي : « فن مذهب المختار أنه يجوز البدء على الله تعالى . والبدء له معان : البدء في العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد ؛ والبدء في الإرادة ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ؛ والبدء في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك . ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة . وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبدء لأنه كان يدعى علم ما يحدث له من الأحوال : إما يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدا الربكم . وكان لا يفرق بين النسخ والبدء ؛ قال : إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البدء في الأخبار » (انظر أيضاً عن قول المختار بالبدء : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦) .

وتابع المختار في هذا القول كل الكيسانية وكثير من الإمامية الاثني عشرية ، وقد عقد الكليني في كتابه « أصول الكافي » ١ / ١٤٦ - ١٤٩ (ط . طهران ، ١٣٨١) فصلاً عن « البدء » ، وأورد فيه آثار الشيعة وأدلتهم على هذا الاعتقاد .

وانظر عن البدء عند الشيعة أيضاً : فرق الشيعة للتبليغي ، ص ٨٥ - ٨٦ : التبصير في الدين ، ص ١٨ ، ٢٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية مقالة « البدء » لجولدتسيهر .

(٣) أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري ، من متأخري المعتزلة ومن أئمتهم ، توفي سنة ٤٣٦ . انظر ترجمته ومذهبه في : وفيات الأعيان ٣ / ٤٠١ - ٤٠٢ ؛ شذرات الذهب ٣ / ٢٥٩ ؛ تاريخ بغداد ٣ / ١٠٠ ؛ لسان الميزان ٥ / ٥٩٨ ؛ الملل والنحل ١ / ٧٨ ؛ نهاية الإقدام ، ص ١٥١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٥٧ ؛ منهاج السنة (ط دارالمروية) ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ٩١ / ٢١٣ .

(٤) قال الشهرستاني في نهاية الإقدام ، ص ٢٣١ : « وقد مال أبو الحسين البصري إلى مذهب هشام بعض الميل حتى قضى بتجدد أحوال الباري تعالى عند تجديد الكائنات مع أنه من نفاة الأحوال غير أنه جعل وجوه التعلقات أحوالاً إضافية للذات العالمية » .

(٥) أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا ، طبيب وفيلسوف ، كان يهودياً وأسلم ، يعرف بأوحد الزمان وفيلسوف المراقين ، من أهم كتبه «المعتبر في الحكمة» طبع بمحدرآباد سنة ١٣٥٧ ، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة ٤٥٧ وقيل غير ذلك . انظر ترجمته في : أخبار الحكماء لابن الففطى ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ طبقات الأطباء =

قال بتجدد علوم وإرادات له ، وذكر أن إلهيته لهذا العالم لاتصح إلا مع هذا القول^(١) . وكذلك أبو عبد الله الرازي يميل إلى هذا القول في « الطالب العالي »^(٢) وغيرها .

وأما السمع والبصر والكلام فقد ذكر الحارث المحاسبي^(٣) عن أهل السنة في تجديد ذلك عند وجود السموع المرئي قولين .

والقول بسمع وبصر قديم يتعلق بهاعند وجودها قول ابن كلاب وأتباعه والأشعري ، والقول بتجدد الإدراك مع قدم الصفة قول طوائف كثيرة كالكرامية وطوائف سوام ، والقول بنبوت الإدراك قبل حدوثها وبعد وجودها قول السالمة كأبي الحسن بن سالم وأبي طالب المكي^(٤) .

== لابن أبي أسيمة ٣ / ٢٩٦ - ٣٠٠ ؛ تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، ص ١٥٢ - ١٥٤ ؛ نكت الهميان للصفدي ، ص ٤٣٠٤ الأعلام ٩ / ٦٣ . وانظر مقالة السيد سليمان الندوي عنه وعن كتاب المتبر في آخر الجزء الثالث من المتبر ، ص ٢٣٠ - ٢٥٢ .

(١) تكلم ابن ملكا عن الآراء المختلفة في مسألة علم الله وناقشها بالتفصيل في المتبر ٢٩٦ / ٣ وذكر رأيه في أثناء ذلك . وانظر مثلاً قوله ٧٦ / ٣ : « فأما القول بإيجاب التغيرية فيه يادراك الأغيار والكثرة بكثرة المدركات فجوابه الحق أنه لا يتكرر بذلك تكراراً إضافته ومنسبته وتلك مما لا تميم الكثرة على هويته وذاته » .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، فخر الدين الرازي ، ويعرف بابن خطيب الري ، ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ . من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال ، ومن كتبه « الطالب العالي » وهو ما زال مخطوطاً . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٣ / ٣٨١ - ٣٨٥ ؛ شذرات الذهب ٥ / ٢١١ ؛ طبقات الشافعية ٥ / ٢٣ - ٤٠ ؛ لسان الميزان ٤ / ٤٢٦ - ٤٢٩ ؛ الأعلام ٧ / ٢٠٣ .

(٣) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، من شيوخ الصوفية ، توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية للسلي ، ص ٥٦ - ٦٠ ؛ الطبقات الكبرى للأشعري ١ / ٦٤ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٣٧ - ٤٢ ؛ شذرات الذهب ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ ؛ ميزان الاعتدال ١ / ٤٣٠ - ٤٣١ ؛ الخلاصة للخزرجي ، ص ٥٧ ؛ الأعلام ٢ / ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) السالمة هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم (التوفي سنة ٢٩٧ هـ) وابنه الحسن أحمد بن محمد بن سالم (التوفي سنة ٣٥٠ هـ) . وقد تتلمذ سالم بن محمد على سهل بن عبد الله ==

والطوائف الثلاثة تنتسب إلى أئمة السنة كالإمام أحمد ، وفي أصحابه من قال بالأول ، ومنهم من قال بالثاني ، والسالية تنتسب إليه .
وكذلك الإرادة والمشيئة فيها للصفاتية ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها ليست إلا قديمة ^(١) ، وهو قول ابن كلاب والأشعري وأتباعهما .

الثاني : أنها ليست إلا حادثة ؛ والفرق بين هذا وبين قول المعتزلة البصرية أن المعتزلة يقولون بحدوثها لافي محل ، لامتناع كونه ^(٢) محلاً للحوادث عندهم ، وهؤلاء يقولون تقوم بذاته كما يقوم الكلام بذاته .

والثالث : أنها قديمة وحادثة ، وهو قول طوائف من الكرامية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم ، وكذلك يقول هؤلاء إنه بوصف بأنه متكلم في الأزل ، وأنه يتكلم إذا شاء ، كما صرح بذلك الأئمة كالإمام أحمد وغيره .

لكن في تحقيق ذلك نزاع بين المتأخرين . فقيل : القديم هو القدرة على الكلام كما قالت الكرامية . وقيل : بل القولان متضادان ، كما ذكر أبو بكر عبد العزيز ^(٣) وعبد الله بن حامد عن أصحاب أحمد .

= التسترى . ومن أشهر رجال السالية أبو طالب المكي صاحب كتاب « قوت القلوب » المتوفى سنة ٣٨٦ . ويجمع السالية في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية . انظر : شذرات الذهب ٣/٣٦ ؛ اللع السراج ، ص ٤٧٢ - ٤٧٦ ، القاهرة ١٩٦٠ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٤١٤ - ٤١٦ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ، ص ٩٩ - ١٠٠ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨ ، ٢٠٢ ؛ مقالة « السالية » في دائرة المعارف الإسلامية لاسينبون .

(١) في الأصل : أنها ليست الإرادة إلا قديمة .

(٢) في الأصل : لامتناع قوله ، وهو تحريف .

(٣) أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد ، المعروف بعلام الحلال ، من أئمة الحنابلة ، توفي سنة ٣٥٣ من أهم مصنفاته « الشافى » و « المفتح » انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ٢ / ١١٩ - ١٢٢ .

فأما إثبات علمه وتقديره للحوادث قبل كونها ، ففي القرآن والحديث والآثار مالا يكاد يُحصَر ، بل كل ما أخبر الله به قبل كونه فقد علمه قبل كونه ، وهو سبحانه يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وقد أخبر بذلك ، والنزاع في هذا مع غلاة القدرية ونحوهم .

وأما المستحيل فمثل قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٢] ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ الآية [سورة البقرة : ٢١٤] ، آل عمران : ١٤٢ ، وقوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾ الآية [سورة التوبة : ١٦] ، وقوله : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة النكبت : ٣] ، وقوله : ﴿ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [سورة النكبت : ١١] ، وقوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٣١] .

آخره ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

رِسَالَتِي فِي الْجَوَابِ عَنْ سُؤَالِ عَنِ الْحَلَّاجِ هَلْ كَانَ صَدِيقًا أَوْ زَنْدِيقًا

ما يقول السادة العلماء رضى الله عنهم في الخلاج الحسين بن منصور : هل
كان صديقاً أو زنديقاً ؟ وهل كان ولياً لله متقياً له ، أم كان له حال رحمانى ،
أو من أهل السحر والخزعبلات ؟ وهل قتل على الزندقة بمحض من علماء
المسلمين ، أو قتل مظلوماً ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب فأجاب شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية ، قدس الله روحه .
الحمد لله رب العالمين .

الخلاج كان
زنديقاً قتل على الزندقة^(١) التى ثبتت عليه بإقراره وبغير إقراره ،
والأمر الذى ثبت عليه مما يوجب القتل باتفاق المسلمين ، ومن قال : إنه قُتل بغير
حق فهو إما منافق ملحد ، وإما جاهل ضال .

والذى قُتل به ما استفاض عنه من أنواع الكفر ، وبعضه يوجب قتله ،
فضلاً عن جميعه ، ولم يكن من أولياء الله المتقين ، بل كان له عبادات ورياضات
ومجاهدات بعضها شيطاني ، وبعضها نفساني ، وبعضها موافق^(٢) للشريرة من
وجه دون وجه ، فلبس الحق بالباطل .

وكان قد ذهب إلى بلاد الهند وتعلم أنواعاً من السحر^(٣) ، وصنّف كتاباً بعض أخبار الخلاج

(١) وكان قتله سنة ٣٠٩ .

(٢) في الأصل : موافقاً ، وهو خطأ .

(٣) قال ابن الجوزى في ترجمة الخلاج في كتابه « المنتظم » ٦ / ١٦٠ - ١٦١ :
« وطف البلاد وقصد الهند وخراسان وما وراء النهر وتركستان » . ثم قال (١٦١/٦) : « ...
سمعت على بن أحمد الحاسب يقول : سمعت والدى يقول : وجهنى المتضد إلى الهند ، وكان معى
في السفينة رجل يعرف بالحسين بن منصور ، فلما خرجنا من المركب قلت له : في أى شئ جئت
إلى هاهنا ؟ قال : جئت لأتلم السحر وأدعو الخلق إلى الله » . وانظر : روضات الجنات ،
ص ٢٢٥ .

في السحر معروفا ، وهو موجود إلى اليوم ، وكانت له أقوال شيطانية
ومخاريق بهتانية .

وقد جمع العلماء أخباره في كتب كثيرة أرّخوها الذين كانوا في زمنه ،
والذين نقلوا عنهم مثل ابن علي الخطّبي^(١) ذكره في تاريخ بغداد ، والحافظ
أبو بكر الخطيب ذكر له ترجمة كبيرة في « تاريخ بغداد »^(٢) ، وأبو يوسف
القزويني صنّف مجلداً في أخباره^(٣) ، وأبو الفرج بن الجوزي له فيه مصنف
سمّاه « رفع اللجاج في أخبار الحلاج »^(٤) ، وبسط ذكره في تاريخه^(٥) .

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » أن كثيراً من المشايخ
ذموه وأنكروا عليه ولم يعدّوه من مشايخ الطريق وأكثرهم حط عليه^(٦) ،

(١) في الأصل : أبي علي الخطّبي . وجاء في مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ط . الرياض)
٣ / ٤٨٣ : « وكما ذكر إسماعيل بن علي الخطّبي في « تاريخ بغداد » وقد شهد قتله » .
وهو أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطّبي (نسبة إلى الخطب وإنشائها) مؤرخ أديب
صنف تاريخاً كبيراً ، ولد سنة ٢٦٩ وتوفي سنة ٣٥٠ . انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة
٢ / ١١٨ - ١١٩ ؛ العبر ٢ / ٢٨٦ ؛ الباب ١ / ٣٧٩ ؛ الأعلام ١ / ٣١٦ .

(٢) في الجزء الثامن ، ص ١١٢ - ١٤١ .

(٣) أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني ، شيخ المعتزلة في
عصره وكان زدياً ، ولد سنة ٣٩٣ وتوفي ٨٨ : له تفسير يبلغ ثلاثمائة مجلد ، ولم أجد فيها
بين يدي من المراجع ذكر الكتاب عن الحلاج . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة ٥ / ١٦٥ ؛
دول الإسلام للذهبي ٢ / ١٣ ؛ لسان الميزان ٤ / ١١ - ١٢ ؛ طبقات المفسرين للسيوطي ،
ص ١٩ ؛ العبر للذهبي ٣ / ٣٢١ ؛ الأعلام ٤ / ١٣١ .

(٤) ذكر ابن الجوزي في « المنتظم » ٦ / ١٦٢ : « وقد جمعت أخباره في كتاب
سميته القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال اللجاج » . وقال ابن رجب في « الذيل على طبقات
الحنابلة » ١ / ٤١٨ أن من مصنفات ابن الجوزي : « القاطع لمحال اللجاج بمحال
اللجاج ، جزء » .

(٥) في « المنتظم » ٦ / ١٦٠ - ١٦٤ .

(٦) ترجم السلمي للحلاج في كتابه « طبقات الصوفية » ، ص ٣٠٧ - ٣١١ ، وقال
عنه : « والمشايخ في أمره مختلفون . رده أكثر المشايخ وقوه وأبوا أن يكون له قدم في
التصوف ، وقبله من جلتهم إلخ » . وانظر روّضات الجنّات . ص ٢٣٦ .

ومن ذكّه وحطّ عليه أبو القاسم الجنيد^(١) ، ولم يقتل في حياة الجنيد ، بل قتل بعد موت الجنيد ، فإن الجنيد توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين^(٢) / والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمائة .

ط ١٢٤

وقدموا به إلى بغداد راكباً على جمل يُنادى عليه : هذا داعي القرامطة ، وأقام في الحبس مدة حتى وُجد من كلامه الكفر والزندقة واعترف به ، مثل أنه ذكر في كتاب له : من فاته الحج فإنه يبنى في داره بيتاً ويطوف به كما يُتطوف بالبيت ، ويتصدق على ثلاثين بيتاً بصدقة ذكرها ، وقد أجزأه ذلك عن الحج . فقالوا له : أنت قلت هذا ؟ قال : نعم . فقالوا له : ومن أين لك هذا ؟ قال : ذكره الحسن البصري في كتاب « الصلاة » . فقال له القاضي أبو عمر : تكذب يا زنديق ، أنا قرأت هذا الكتاب وليس هذا فيه . فطلب منهم الوزير أن يشهدوا بما سمعوه ، ويفتوا بما يجب عليه ، فاتفقوا على وجوب قتله^(٣) .

(١) في كتاب « أخبار الحلاج » لعل بن أنجب السامعي (ط . باريس ، ١٩٣٦) ص ٣٨ : « عن أبي محمد الجسري قال : رأيت الجنيد ينكر على الحلاج ، وكذلك عمرو ابن عثمان المكي وأبو يعقوب التهرجوري وعلي بن سهل الأصهباني ومحمد بن داود الأصهباني .. الخ » . وفي نفس الكتاب ، ص ٩٢ : « وقال أحمد بن يونس : كنا في ضيافة بغداد فأطال الجنيد اللسان في الحلاج ونسبه إلى السحر والشعوذة والتبرج ... الخ » . وفي روضات الجنات ، ص ٢٢٥ أن الحلاج صحب في شبابه الجنيد في بغداد ثم سافر مدة من الزمن ولما رجع إلى بغداد قصد إلى الجنيد وسأله عن مسألة فلم يجبه ، وقال له : أنت مدع في سؤالك ، فتكدر منه الحلاج . وانظر أيضاً ، ص ٢٣٤ . وذكر الياقعي كلاماً مشابهاً في « مرآة الجنان » ٢/ ٢٥٩ . وانظر أيضاً : الفرق بين الفرق ، ص ١٥٨ .

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد الحزار ، ويقال له أحياناً القواريري ، من شيوخ الصوفية ، توفي سنة ٢٩٧ وقبل سنة ٢٩٨ . انظر ترجمته في : طبقات الصوفية للسلمي ، ص ١٥٥ - ١٦٣ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٢ - ٧٤ ؛ المنتظم لابن الجوزي ١٠٥/٦ - ١٠٦ ؛ تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١ - ٢٤٩ ؛ الأعلام ٢/ ١٣٧ - ١٣٨ . وانظر ما ذكره الخوانساري في « روضات الجنات » حيث يقول : « وعن بعض كتب التواريخ أن شيخه الجنيد أيضاً كتب في الاستشهاد عليه أن الرجل في ظاهر حاله يستحق القتل . وعن بعضها التنظر في ذلك لكون وفاة الجنيد قبل وقت قتله بكثير ، وفيه نظر لاحتمال كون صدور ذلك منه أيام تغيره عليه كما عرفته من قبل » .

(٣) انظر خبر مقتله هذا في : المنتظم ٦/ ١٦٢ ؛ الكامل لابن الأثير ٨/ ٤٠ ؛ تاريخ بغداد ٨/ ١٣٨ - ١٣٩ ؛ البداية والنهاية ١١/ ١٤١ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٤ - ١٥ .

لكن العلماء لم قولان في الزنديق إذا أظهر التوبة ، هل تُقبل توبته فلا يُقتل ، أم يُقتل لأنه لا يُعلم صدقه ، فإنه مازال يظهر ذلك ؟ فأفتى طائفة بأنه يُستتاب فلا يُقتل ، وأفتى الأَكثَرُونَ بأنه يقتل وإن أظهر التوبة ، فإنه إن كان صادقاً في توبته نفعه ذلك عند الله وقُتل في الدنيا ، وكان الحد تطهيراً له ، كما لو تاب الزاني والسارق ونحوهما بعد أن يُرفعوا إلى الأمام ، فإنه لا بد من إقامة الحد عليهم ، فإنهم إن كانوا صادقين كان قتلهم كفارة لهم ، ومن كان كاذباً في التوبة كان قتله عقوبة له .

فإن كان الحلاج وقت قتله تاب في الباطن فإن الله ينفعه بتلك التوبة ، وإن كان كاذباً فإنه قُتل كافراً ، ولما قُتل لم يظهر له وقت القتل شيء من الكرامات ، وكل من ذكر أن دمه كتب على الأرض اسم الله (١) ، أو أن دجلة انقطع ماؤها ، أو غير ذلك (٢) فإنه كاذب ، وهذه الأمور لا يحكيها إلا جاهل أو منافق ، وإنما وضعها الزنادقة وأعداء الإسلام ، حتى يقول قائلهم : إن شرع محمد بن عبد الله يقتل أولياء الله حين يسمعون (٣) أمثال هذه الهذيان ، وإلا فقد قُتل أنبياء كثيرون وقُتل من أصحابهم وأصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم والتابعين وغيرهم من الصالحين من لا يحصى عددهم إلا الله ، قُتلوا بسيف الفجّار والكفار والظلمة وغيرهم ولم يكتب دم أحدهم اسم الله ، والدم أيضاً نجس فلا يجوز أن يكتب اسم الله تعالى ؛ فهل الحلاج خير من هؤلاء ، ودمه أطهر من دمائهم ؟ . . .

(١) ذكر هذا الخبر : المتاوى في « الكواكب الدراري » ٢ / ٢٥ ؛ الخوانساري في روضات الجنات ، ص ٢٣٥ . وانظر : الحلاج شهيد التصوف الإسلامى لطفه عبد الباقي سرور ، ص ١٩٠ ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(٢) الذى في « وفيات الأعيان » ١ / ٤٠٧ : « واتفق أن دجلة زادت في تلك السنة زيادة وافرة ، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها » . وانظر : البداية والنهاية ١١ / ١٤٣ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ .
(٣) في الأصل : يسمعون ، وهو خطأ .

وقد جزع وقت القتل وأظهر التوبة والسنة فلم يُقبل ذلك منه^(١) ، ولو عاش افتتن به كثير من الجهال ، لأنه كان صاحب خزعبلات بُهتانية وأحوال شيطانية ، ولهذا إنما يعظمه من يعظم الأحوال الشيطانية والفسانية والبهتانية .

وأما أولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس منهم واحد يعظمه ، ولهذا لم يذكره القشيري في مشايخ رسالته ، وإن كان قد ذكر من كلامه كلمات استحسناها^(٢) .

وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجوري قد زوّجه بابنته فلما اطلع على زندقته رُعِيَا منه^(٣) . وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر ، ويقول : كنت معه فسمع قارئاً يقرأ القرآن يقال : أقدر أن أصنّف مثل هذا القرآن ، أو نحو هذا الكلام^(٤) .

(١) في : وفيات الأعيان ٤٠٧/١ ؛ تاريخ بغداد ٤١٣٩/٨ مرآة الجنان للبافعي ٢٥٩/٢ ؛ روضات الجنات ، ص ٢٣٥ : أن الحلاج قال للعلماء الذين أفتوا بقتله : « ظهري حي ، ودي حرام ، وما يجعل لكم أن تنقلوا علي بما يبيحه ، وأنا اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة ... » ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين ، فآله الله في دمي .. الخ .
(٢) قال الشعراني في ترجمة الحلاج (الطبقات الكبرى ١ / ٩٢) : « وقد أشار القشيري إلى تركبته حيث ذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة أول الكتاب فتجالباب حسن الظن به ، ثم ذكره في أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه » . ويذكر القشيري في رسالته ، ص ٦ : « وقال الحسين بن منصور : من عرف الحقيقة في التوحيد سقط عنه لم وكيف » .

(٣) في : المنتظم ١٦٢/٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢١/٨ ؛ البداية والنهاية ١١ / ١٣٥ ؛ العبر للذهبي ١٤٠/٢ : « قال أبو زرعة : وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابنتي من الحسين بن منصور الحلاج لما رأيت من حسن طريقته ، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال خبيث كافر » . ولم أجد من يسمي بأبي يعقوب الأقطع ولكنني وجدت أبا يعقوب النهرجوري وأبا الخير الأقطع . وانظر طبقات الصوفية ص ٣٧٠ ، ٣٧٨ .

(٤) يذكر ابن حجر في « لسان الميزان » ٣١٤/٢ : « قال محمد بن يحيى الرازي ، سمعت عمرو بن يحيى المكي يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه أقتله بيدي . قلت : لا يش الذي وجد الشيخ عليه ؟ قال : قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكن أن أولف مثله أو أتكلم به . حكاهما القشيري في الرسالة » . وذكرت القصة منسوبة إلى عمرو بن عثمان المكي في : المنتظم ١٦٢/٦ ؛ تاريخ بغداد ١٢١/٨ ؛ البداية والنهاية ١١ / ١٣٥ ؛ الفرق بين الفرق . ص ١٥٨ ؛ العبر للذهبي ١٤٠/٢ .

وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم به إلى تعظيمه ، فيظهر عند أهل السنة أنه سنيّ ، وعند أهل الشيعة أنه شيعيّ ، ويلبس لباس الزهاد تارة ، ولباس الأجناد تارة (١) .

وكان من مخاريقه أنه يبعث بعض أصحابه إلى مكان في البرية يحجى فيه شيئاً من الفاكهة والحلوى ، ثم يحجى بمجموعة من أهل الدنيا إلى قريب من ذلك المكان فيقول لهم : ما تشتهون أن آتيكم به من هذه البرية ؟ فيشتهى أحدهم فاكهة أو حلوة فيقول : / امكثوا . ثم يذهب إلى ذلك المكان ويأتي بما حُجّي أو ببعضه ، فيظن الحاضرون أن هذه كرامة له (٢) .

وكان صاحب سيمياء وشياطين تخدمه أحياناً ، كانوا معه على جبل أبي قبيس فطلبوا منه حلوة ، فذهب إلى مكان قريب منهم وجاء بصحن حلوى ، فكشفوا الأمر فوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلاوى باليمن ، حمله شيطان من تلك البقعة (٣) .

ومثل هذا يحدث كثيراً لغير الحلاج ممن له حال شيطاني ، ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا وغير زماننا ، مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق ، فيجىء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس فيدخل وهم يرونه ، ويحجى بالليل إلى باب الصغير (٤) فيعبر منه هو ورفيقه وهو من أجرة الناس .

أخبار أخرى
من بعض
أصحاب الأحوال
الشيطانية

(١) انظر : المنتظم ١٦١/٦ ؛ البداية والنهاية ١١/١٣٧ .

(٢) انظر : المنتظم ١٦١/٦ وانظر قصة مماثلة في البداية والنهاية ١١/١٣٧ . وانظر من مخاريقه أيضاً مارواه الباقلاني في كتابه « البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والتاريجات » (ط . بيروت ، ١٩٥٨) ص ٧٦ .

(٣) روى هذه القصة الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/١٢٥ - ١٢٦ . ورواها ابن أنجب الساعي في « أخبار الحلاج » ص ٤٠ - ٤١ عن أبي يعقوب النهرجوري ولكنه زاد بأن الحلاج أرسل إلى الحلواني ثم الحلوى بعد أن فقدت من دكانه .

(٤) « لمدينة دمشق ستة أبواب : باب الجابية وباب الصغير ... الخ » (مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ، ص ١٠٦ ، ط . لندن ، ١٣٠٢)

وآخر كان بالشَّوْبَك^(١) من قرية يقال لها الشاهدة يطير في الهواء إلى رأس الجبل والناس يرونه ، وكان شيطانه يحمله ، وكان يقطع الطريق ؛ وأكثرهم شيوخ الشر ، يُقال لأحدهم البَوْشَى^(٢) أبي الحبيب^(٣) ينصبون له خركاه في ليلة مظلمة ويصنعون خبزا على سبيل القربات ، فلا يذكر الله ولا يكون عندهم من يذكر الله ولا كتاب فيه ذكر الله ، ثم يصعد ذلك البَوْشَى في الهواء وهم يرونه ويسمعون خطابه للشيطان وخطاب الشيطان له ، ومن ضحك أو سرق من الخبز ضرب به الدف ولا يرون من يضرب به . ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه ، ويأمرهم بأن يقرَّبوا له بقرأ وخيلا وغير ذلك^(٤) ، وأن يخفقوها خنقا ولا يذكر اسم الله عليها ، فإذا فعلوا قضى حاجتهم . وشيخ آخر أخبرني نفسه أنه كان يزني بالنساء ويتلوط بالصبيان الذين يُقال لهم « الحوارات » ، وكان يقول : يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان فيقول لى : فلان ابن فلان نذر لك نذرا وغدا نأتيك به ، وأنا قضيت حاجته لأجلك ، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر .

قال : وكنت إذا طُلب منى تغيير مثل اللادَن^(٥) أقول حتى أغيب عن عقلى وإذا باللاذن في يدى أو فى فى ، وأنا لا أدرى من وضعه . قال : وكنت أمشى وبين يدى عمود أسود عليه نور .

(١) في معجم البلدان : « الشوبك قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقازم قرب الكرك » .

(٢) في « القاموس » مادة « بوش » : « البوشى (بفتح فسكون) الفقير المليل وهو من خان الناس ودهمائمهم ، وضم » .

(٣) في الأصل : أبى المحب ، غير منقوطة .

(٤) في الأصل : وخيلا وغيرهم وغير ذلك .

(٥) في المعجم الوسيط : « اللادَن جنس جنية من الفصيلة اللاذنية يستخرج منه صمغ راتينجى يملك ويستعمل عطرا ودواء » . وانظر : القاموس المحيط .

فلما تاب هذا الشيخ وصار يصليّ ويصوم ويحْتَنِبُ الحارِمَ ذهب الكلب الأسود وذهب التغير فلا يأتي بلاذن ولا غيره .

وشيوخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس ، فيأتي أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه ، فيرسل إلى أتباعه فيفارقون ذلك المصروع ، ويعطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة . وكان أحياناً تأتيه الجن بدرام وطعام تسرقه من الناس ، حتى أن بعض الناس كان له تين في كواراة فيطلب الشيخ من شياطينه تيناً فيحضرونه له ، فيطلب أصحاب الكواراة التين فوجدوه قد ذهب .

وآخر كان مشتغلاً بالعلم والقراءة فجاءته الشياطين أغوته وقالوا له : نحن نُسْقِطُ عنك الصلاة ونحضر لك ما تريد . فكانوا يأتونه بالحلوى أو الفاكهة ، حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة فاستتابه ، وأعطى أهل الخلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذلك المفتون بالشیطان .

فكل من خرج عن الكتاب والسنة وكان له حال من مكاشفة أو تأثير فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني ، وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال فهو صاحب حال^(١) بهتاني . وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والحال البهتاني ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَبَّكُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينَ ﴾ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿ [سورة الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢] . والحلاج كان من أئمة هؤلاء ، أهل الحال الشيطاني والحال البهتاني ، وهؤلاء طوائف كثيرة . فأئمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام ، مثل الكهان والسحرة الذين كانوا للعرب المشركين ، ومثل الكهان والسحرة الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم . ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يحيى بعد الموت يكلمهم ويقضى ديونه ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا ، فإنهم

ظ ١٢٥

(١) في الأصل : محال ، ولها وجه . وما أثبتته موافق للسياق .

تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان تمثل في صورته فيظنون إياه .

وكثير ممن يستغيث بالمشايخ فيقول : يا سيدى فلان ، أو : يا شيخ فلان اقض حاجتى ، فيرى صورة ذلك الشيخ يخاطبه ويقول : أنا أقضى حاجتك ، أو طيب قلبك ، فيقضى حاجته أو يدفع عنه عدوه ، ويكون ذلك شيطانا قد تمثل في صورته لما أشرك بالله فدعا غيره .

وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة ، حتى أن طائفة من أصحابى ذكروا أنهم استفنوا بى فى شذائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخركان خائفاً من التتر ، فذكر كل منهم أنه لما استفن بى رآنى فى الهواء وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم أنى لم أشعر بهذا ، ولا دفعت عنكم شيئاً ، وإنما هذا شيطان تمثل لأحدهم فأغواه لما أشرك بالله تعالى .

وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم ، يستغيث أحدهم بالشيخ فيرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته ، ويقول ذلك الشيخ : إنى لم أعلم بهذا ، فيتبين أن ذلك كان شيطانا .

وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذكر لى أنه استفن باثنين كان يعقدهما وأنهما أتياه فى الهواء وقالاه : طيب قلبك نحن ندفع عنك هؤلاء ونفعل ونصنع . قلت له : فهل كان من ذلك شيء (١) ؟ فقال : لا . فكان هذا مما دلّه على أنهما شيطانان ، فإن الشياطين وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية أو قصة فيها صدق فإنهم يكذبون أضعاف ذلك ، كما كانت الجن يخبرون الكهان .

ولهذا من اعتمد على مكاشفته التى هى من أخبار الجن كان كذبه أكثر من صدقه . كشيخ كان يُقال له الشياح توبّناه وجدّدنا إسلامه ، كان له قرين

(١) فى الأصل : شيئاً ، وهو خطأ .

من الجن يقال له « عنتر » يخبره بأشياء فيصدق تارة ويكذب تارة ، فلما ذكرت له : إنك تمبد شيطاناً من دون الله ، اعترف بأنه يقول له : يا عنتر لا سبجانك إنك إله قدر ، وتاب من ذلك في قصة مشهورة .

وقد قتل سيف الشرع من قتل من هؤلاء ، مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة ، وكان له قرين يأتيه ويكاشفه فيصدق تارة ويكذب تارة ، وكان قد انقاد له طائفة من النسوة إلى أهل العلم والرئاسة فيكاشفهم حتى كشف الله أمره ، وذلك أن القرين كان تارة يقول : أنا رسول الله ، ويذكر أشياء تنافي حال الرسول ، فشهد عليه أنه قال : إن الرسول يأتيني ويقول لي كذا وكذا ، من الأمور التي يكفر من أضافها إلى الرسول . فذكرت لولاة الأمور أن هذا من جنس الكهّان ، وأن الذي يراه شيطان^(١) ، ولهذا لا يأتيه في الصورة المعروفة للنبي صلى الله عليه وسلم بل يأتيه في صورة منكورة ، ويذكر عنه أنه يخضع له ويبسح له أن يتناول المنكر وأموراً أخرى ، وكان كثير من الناس يظنون أنه كاذب فيما يخبر به من الرؤية ، ولم يكن كاذباً في أنه رأى تلك الصورة ، لكن كان كافراً في اعتقاده أن ذلك رسول الله ، ومثل هذا كثير .

ولهذا تحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مراد الشيطان ، فكلما / بعدوا عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وطريق المؤمنين قربوا من الشيطان ، فيطرون في الهواء والشيطان طار بهم ، ومنهم من يصرع الحاضرين وشياطينه صرعتهم ، ومنهم من يحضر طعاماً وإداماً ويملاً^(٢) الإبريق ماءً من الهواء ، والشياطين فعلت ذلك ، فيحسب الجاهلون أن هذه كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هي من جنس أحوال السحرة والكهنة وأمثالهم .

س ١٢٦

(١) في الأصل : شيطاناً ، وهو خطأ .

(٢) في الأصل : وملاً .

ومن لم يميز بين الأحوال الرحانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل ،
ومن لم ينور الله قلبه بحقائق الإيمان وأتباع القرآن لم يعرف طريق الحق من
المبطل ، والتبس عليه الأمر والحال ، كما التبس على الناس حال مسيلمة صاحب
اليمامة وغيره من الكذابين في زعمهم أنهم أنبياء وإنما هم كذّابون .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون إخبار النبي صلى
الله عليه وسلم
عن الدجالين
والدجال الكبير

وأعظم الدجالة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى بن مريم (٢) ،
فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته ، وأمر المسلمين
أن يستميزوا من فتنته في صلاتهم (٣) . وقد ثبت أنه يقول للسماء : أمطري ،

(١) روى مسلم في صحيحه ١٨٩/٨ (كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل
بقبر الرجل . الخ) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله » .
رواه أحمد في مسنده (ط . المعارف) ٢١٨/١٢ (رقم ٧٢٢٧) . وهو جزء من حديث
رواه البخاري في صحيحه ٢٠٠/٤ (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) ، ومن
حديث آخر طويل ٥٩/٩ (كتاب الفتن ، باب حدثنا مسدد .. الخ) (وقال النبهاني في الفتح
الكبير ٣/٣٣٥ أنه في سنن أبي داود وسنن الترمذي . وروى ابن عمر رضى الله عنه
حديثاً بنفس المعنى في المسند (ط . المعارف) الأرقام : ٥٦٩٤ ، ٥٦٩٥ ، ٥٨٠٨ ،
٥٩٨٥ .

وذكر النبهاني (في نفس الصفحة السابقة) حديثاً آخر عن ثوبان بنفس المعنى قال إنه في
سنن الترمذي وفي مستدرک الحاكم .

(٢) خبر قتل المسيح صلى الله عليه وسلم للدجال رواه مسلم في صحيحه في ثلاثة مواضع
من كتاب الفتن ١٧٤/٨ - ١٧٥ (باب في فتح القسطنطينية .. الخ) ، ١٩٨/٨ (باب
ذكر الدجال وصفته وما معه) ، ٢٠١/٨ (باب في خروج الدجال) . والخبر في سنن
أبي داود والترمذي وابن ماجة والمسند .

(٣) التعوذ من شر فتنة المسيح الدجال بعد التشهد الأخير ثابت عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، جاء في أحاديث عن عدد من الصحابة في صحيح البخاري ومسلم وأبي داود
والنسائي . انظر الأذكار لقرطوبى ، ص ٦٤ ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٥٤/١٤ - ٢٥٥
(رقم ٧٨٥٧) ١١٣/١٥ - ١١٤ (رقم ٧٩٥١) .

فتمطر ، وللأرض : أنبتى فتنبت^(١) ، وأنه يقتل رجلاً مؤمناً ثم يقول : قم ، فيقوم ، فيقول : أنا ربك ، فيقول له : كذبت بل أنت الأعور الكذاب الذى أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة . فيقتله مرتين ويريد أن يقتله فى الثالثة فلا يُسلط عليه ، وهو يدعى الإلهية^(٢) .

وقد بينَّ له النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث علامات تنافى ما يدعيه، أحدها : أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور . والثانية : أنه مكتوب بين عينيه « كافر » يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ^(٣) . والثالثة : قوله : « واعلموا أن أحكم لا يرى ربه حتى يموت »^(٤) .

فهذا هو الدجال الكبير ، ودونه دجاجة : منهم من يدعى النبوة ، ومنهم من يكذب بغير ادعاء النبوة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « يكون فى آخر الزمان

(١) فى حديث النّوّاس بن سمان رضى الله عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ١٩٧/٨ (كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الدجال : « . . . فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت . . الخ » .

(٢) هذا الخبر جزء من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وهو فى : البخارى ٢٢/٣ (كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة) ؛ مسلم ١٩٩/٨ (كتاب الفتن ، باب فى صفة الدجال وتحريم المدينة عليه . . الخ) .

(٣) وردت أحاديث كثيرة فى صفة الدجال وفى أنه أعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر . انظر مثلاً حديث أنس رضى الله عنه فى : البخارى ٦٠/٩ (كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال) ؛ مسلم ١٩٥/٨ (كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) .

(٤) هذه العبارة جزء من حديث رواه مسلم فى صحيحه ١٩٣/٨ (كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد) ورواه الداريمى فى كتاب « الرد على الجهمية » س ٥١ . ووردت هذه العبارة فى حديث آخر طويل عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه فى سنن ابن ماجه ٣٦/٢ (كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال) . وهى جزء من حديث رواه أحمد عن عباد بن الصامت فى المسند (ط . الحلبي) ٣٢٤/٥ وفى كتاب « السنة » ، س ١٣٨ (ط . السلفية ، مكة ، ١٣٤٩) . وأورد فى نفس الكتاب (س ١٣٨ - ١٣٩) حديث أبى أمامة ، كما أورده ابن خزيمة فى كتاب التوحيد ، س ١٢١ - ١٢٢ .

دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ، فإياكم وإياهم» ^(١) .

كان الحلاج دجالا
ووجب قتله

فالحلاج كان من الدجاجلة بلا ريب ، ولكن إذا قيل : هل تاب قبل الموت أم لا ؟ قال ^(٢) : الله أعلم ، فلا يقول ما ليس له به علم ؛ ولكن ظهر عنه من الأقوال والأعمال ما أوجب كفره وقتله باتفاق المسلمين ، والله أعلم .

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم ٩/١ (المقدمة باب في الضعفاء والكذابين) .

(٢) قال : كذا بالأصل ، وسياق الكلام يدل على أن المقصود : قال الحبيب .

رِسَالَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ عَرَبِي فِي دَعْوَى إِيمَانِ فِرْعَوْنَ

هذا سؤال أجاب عنه الشيخ الإمام العلامة الأوحى ، شيخ الإسلام ، تقي
الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
ابن محمد بن تيمية الحراني .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ظ ١٣٧

وبه التوفيق

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

ما تقول السادة العلماء رضى الله عنهم في قول فرعون عند الفرق : ﴿ آمَنْتُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
[سورة يونس : ٩٠] هل فيه دليل على إيمانه وإسلامه ؟ وما يجب على من يقول :
إنه مات مؤمناً والحالة هذه ؟

الجواب

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله .

كفر فرعون ، وموته كافراً ، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار
من دين المسلمين ، بل ومن دين اليهود والنصارى ، فإن أهل الملل الثلاثة متفقون
على أنه من أعظم الخلق كفراً ، ولهذا لم يذكر الله تعالى في القرآن قصة كافر
كما ذكر قصته في بسطها وتنزيها ، ولا ذكر عن كافر من الكفر أعظم مما
ذكر من كفره واجترائه وكونه^(١) أشد الناس عذاباً يوم القيامة .
ولهذا كان المسلمون متفقين^(٢) على أن من توقّف في كفره ، وكونه من

(١) في الأصل : وقومه ، وهو تحريف .

(٢) في الأصل : متفقون . وهو خطأ .

أهل النار فإنه يجب أن يُستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتدّاً ، فضلاً عن
يقول إنه مات مؤمناً .

والشك في كفره أو نفيّه أعظم منه في كفر أبي لهب ونحوه ، وأعظم
من ذلك في أبي جهل وعقبة بن أبي مُعَيْط والنضر بن الحارث ونحوهم ممّن
تواتر كفرهم ولم يذكر باسمه في القرآن ، وإنما ذكر ما ذكر من أعمالهم ، ولهذا
لم يظهر عن أحد بالتصريح بأنه مات مؤمناً إلا عنّ فيه من النفاق والزندقة
أو التقليد للزندقة والمناقين ما هو أعظم من ذلك ، كالاتحادية الذين يقولون :
إن وجود الخالق [هو] وجود الخلق^(١) ، حتى يصرّحون بأن يَفُوتَ وَيَعُوقَ
ونَسراً وغيرها من الأصنام هي وجودها وجود الله ، وأنها عُبِدَت بِحَقِّ^(٢) ،
وكذلك العجل عُبد بِحَقِّ ، وأن موسى أنكر على هارون من نهيه عن عبادة
العجل^(٣) ، وأن فرعون كان صادقاً في قوله : أنا ربكم الأعلى ، وأنه عين الحق^(٤)
وأن العبد إذا دعا الله تعالى فعين الداعي عين الجيب ، وأن العالم هويته ، ليس
وراء العالم وجود أصلاً^(٥) .

لا يصرح بعونه
مؤمناً إلا من فيه
نفاق وزندقة
كالأحادية

ومعلوم أن هذا بعينه هو / حقيقة قول فرعون الذي قال : ﴿ يَا هَامَانَ

س ١٣٨

(١) في الأصل : إن وجود الخالق ووجود المخلوق . وانظر مقدمة فصوص الحكم
للدكتور أبي الملا عفيفي ، س ٢٤ - ٢٨ . وانظر قول ابن عربي في الفصوص ١ / ٢٩ :
فخلق خلق بهنّا الوجه فاعتبروا وليس خلقا بذاك الوجه فاذكروا
من يدر ما قلت لم تخلد بصيرته وليس يدره إلا من له بصير
جمع وفرق فإن الصين واحدة وهي الكثيرة لا تبقى ولا تنفر
(٢) في الأصل : وأنها عبد بحق . وانظر ما سبق س ١٦٦ حيث ذكر ابن تيمية نص
الفصوص ١ / ٧٢ .

(٣) انظر ما سبق ، س ١٦٦ - ١٦٧ ، وانظر الفصوص ١ / ١٩٢ .

(٤) انظر ما سبق ، س ١٦٧ ، والفصوص ١ / ٢١٠ - ٢١١ .

(٥) انظر ما سبق س ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٦٤ - ١٦٦ .

ابْنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ
مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴿ [سورة غافر : ٣٦، ٣٥] .

ولقد خاطبت بعض الفضلاء مرة بحقيقة مذهبهم ، وأنه حقيقة قول فرعون
فذكري رئيس من رؤسائهم أنه لما دعاه إلى هذا القول وبينه قال : قلت له :
هذا قول فرعون . فقال له : ونحن على قول فرعون ؛ وما كنت أظن أنهم
يُقرُّون أو يعترفون بأنهم على قول فرعون . قال : إنما قلت ذلك استدلالاً ،
فلما قال ذلك ، قلت له : مع إقرار الخصم لا يحتاج إلى بيّنة .

وهم مع هذا الكفر والتعطيل الذي هو شرٌّ من قول اليهود والنصارى ، تفضيل الاتحادية
الولي على النبي والرسول
يدَّعون أن هذا العلم ليس إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء الذي يدَّعونه ، وأن
خاتم الأنبياء إنما يرى هذا العلم من مشكاة خاتم الأولياء ، وأن خاتم الأولياء
يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى خاتم الأنبياء ، وهو
في الشرع مع موافقته له في الظاهر مشكاة [له] في الباطن ^(١) ، ولا يحتاج أن
يكون متبعاً للرسول لا في الظاهر ولا في الباطن ^(٢) .

وهذا - مع أنه من أقبح الكفر وأخبثه - فهو من أفسد الأشياء في
العقل ، كما يُقال لمن قال : « نخرّ عليهم السقف من تحتهم » : لاعقل ولا قرآن ؛

(١) في الأصل : مرآة في الباطن ، ورجحت أن يكون الصواب ما أنبته .

(٢) انظر الفصوص ١/ ٦١ - ٦٤ ، وانظر قول ابن عربي ١/ ٦٢ : « . . وهذا هو أعلى عالم بالله ، وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء ، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى أن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء » . ثم انظر ما ذكره بعد ذلك ١/ ٦٣ : « . . فيكون خاتم الأولياء تينك اللبتين فيكمل الحائط . والسبب الموجب لكونه رأها لبتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر - وهو موضع اللبنة الذهبية ، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام . . . وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول » .

لأن الخُرور لا يكون من أسفل ، وكذلك الاستفادة ، إنما يستفيد المتأخر من المتقدم .

ثم خاتم الأولياء الذين يدعونهم ، ضلالهم فيه من وجوه ، حيث ظنوا أن للأولياء خاتماً ، وأن يكون أفضلهم قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يعلموا أن أفضل الأولياء من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهم السائقون من الأولياء لا الآخرون ، إذ فضل الأولياء على قدر أتباعهم للأنبياء واستفادتهم منهم علماً وعملاً .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولي يأخذ من الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ بواسطة ، وهذا جهل منهم ، فإن الولي عليه أن يتبع النبى ، ويعرض كلِّ ما له من محادثة وإلهام على ما جاء به النبى ، فإن واقفه وإلارده ، إذ ليس هو بمعصوم فيما يقضى له .

وقد يلبسون على بعض الناس بدعواهم أن ولاية النبى أفضل من نبوته^(١) ، وهذا مع أنه ضلال فليس هو مقصودهم ، فهم مع ضلالهم فيما ظنوه من خاتم الأولياء ومرتبته يختلفون فى عينه بحسب الظن وماتهبوى الأنفس^(٢) ،

(١) انظر فصوص الحكم ١ / ١٣٤ - ١٣٧ وانظر قول ابن عربى ١ / ١٣٥ : « فإذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولى وعارف ، ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع . فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو ينقل إليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه . أو يقول : إن الولي فوق النبى والرسول فإنه يعنى بذلك فى شخص واحد : وهو أن الرسول عليه السلام - من حيث هو ولى - أتم من حيث هو نبى ورسول ، لا أن الولي التابع له أعلى منه . . . » .

(٢) يزعم ابن عربى أنه هو خاتم الأولياء - وخاتم الأولياء عنده أفضل من خاتم الرسل - فيقول :

أنا ختم الولاية دون شك لورث الهاشمى مع المسيح
وانظر « التصوف الثيرة الروحية فى الإسلام » للدكتور أبى العلا غنقى (ط . المعارف ، ١٩٦٣) ص ٣١٢ - ٣١٤ . وانظر الفتوحات ٢ / ٤٩ (ط . الحلبي) .

لتنازعهم في تعيين القطب الفرد الفوث الجامع^(١)، ونحو ذلك من المراتب التي يدعونها، وهي / معلومة البطلان بالشرع والعقل . ثم يتنازعون في عين الموصوف بها، وهذا باب واسع .

ط ١٣٨

والمقصود هنا أن هؤلاء الاتحادية من أتباع صاحب « فصوص الحكم » وصاحب « الفتوحات المكية » ونحوهم، هم الذين يعظمون فرعون، ويدعون أنه مات مؤمناً، وأن تفريقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون: ليس في القرآن ما يدل على كفره، ويحتجون على إيمانه بقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٩٠] .

وتمام القصة تبين ضلالمهم، فإنه قال سبحانه: ﴿ آلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة يونس : ٩١]، وهذا استفهام إنكار وذم، ولو كان إيمانه صحيحاً مقبولاً لما قيل له ذلك .

بطلان حجتهم
على إيمان فرعون

وقد قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة يونس : ٨٨] .

(١) في رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي (طبعت مع التعريفات للجرجاني ، ط . مصطفى الحلبي ، ومع رسائل ابن عربي ، ط . حيدرآباد ، وهي واردة في الفتوحات) :
« القطب - وهو الفوث - عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ، وهو على قلب إسرائيل عليه السلام » . وزاد الجرجاني في التعريفات : « أعطاه (الله) الطلسم » . وأما الفوث فعرفه ابن عربي : « هو واحد في كل الزمان بعينه إلا أنه إذا كان الوقت يعطى الالتجاء إلى عنايته » . وقال الجرجاني : « هو القطب حينما يلتجأ إليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثاً » .

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ [سورة يونس : ٨٩] ،
فاستجاب الله دعوة موسى وهارون ، فإن موسى كان يدعو ، وهارون يؤمن أن
فرعون وملائه لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم .

وقد قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا
عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكُفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة غافر : ٨٢ - ٨٥] ، فأخبر سبحانه وتعالى أن الكفار
لم يك ينفعهم إيمانهم حين رأوا البأس ، وأخبر أن هذه سنته التي قد خلت في
عباده ، ليبين أن هذه عادته سبحانه في المستقدمين والمستأخرين ، كما قال
سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾
[سورة النساء : ١٨] .

ثم إنه سبحانه وتعالى قال بعد قوله : ﴿ آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَأَلَيْتُمْ نَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾
[سورة يونس : ٩١ - ٩٢] ، فجعله الله تعالى عبرة وعلامة لمن يكون بعده من
الأمم لينظروا عاقبة من كفر بالله تعالى ، ولهذا ذكر الله تعالى الاعتبار بقصة
فرعون وقومه في غير موضع .

وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ
وَنُوحٌ * وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ

تُبْعِ كُلِّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿ [سورة ق: ١٢ - ١٤] ، فأخبر سبحانه أن كل واحد من هؤلاء المذكورين ، فرعون وغيره ، كَذَّبَ الرسل كلهم ، إذ لم يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض كاليهود والنصارى ، بل كذبوا الجميع ، وهذا أعظم أنواع الكفر ، فكل من كذب رسولا فقد كفر ، ومن لم يصدقه ولم يكذبه فقد كفر ؛ فكل مكذب للرسول كافر به ، وليس كل كافر مكذبا به ، إذ قد يكون شاكاً في رسالته ، أو عالماً بصدقه لكنه يحمله الحسد أو الكبر على ألا يصدق ، وقد يكون مشتغلاً بهواه عن استماع رسالته والإصغاء إليه ؛ فمن وصف بالكفر الخاص الأشد ، كيف لا يدخل في الكفر ١٩

ولكن ضلالهم في هذا نظير ضلالهم في قوله :

مقام النبوة في برزخ قُوتِ الرسول ودون الولى^(١)

وقد علم أن كل رسول نبي ، وكل نبي ولى ، ولا ينمكس .

وقال سبحانه تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾ [سورة م: ١٢ - ١٤] . وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾ [سورة الحاقة : ٩ ، ١٠] .

(١) لم أعر على هذا البيت ولكن وجدت بيتا بمعناه في كتاب « لطائف الأسرار » لابن عربى (تحقيق أحمد زكى عطية وطه عبد الباقي سرور ، دار الفكر العربى ، ١٣٨٠ / ١٩٦) ص ٤٩ ونصه :

سما النبوة في برزخ
دوين الولى وفوق الرسول
وفى الفتوحات المكية ٢ / ٢٥٢ يقول :
بين الولاية والرسالة برزخ
فيه النبوة حكمها لا يبجل
وانظر الفتوحات ٢ / ٥٢ - ٥٣ .

ثم إن الله تعالى أخبر عن فرعون بأعظم أنواع الكفر : من جحود الخالق ، ودعواه الإلهية ، وتكذيب من بقر بالخالق سبحانه ، ومن تكذيب الرسول ووصفه بالجنون والسحر وغير ذلك . ومن المعلوم بالاضطرار أن الكفار العرب الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم - مثل أبي جهل وذريته - لم يكونوا يمجدون الصانع ، ولا يدعون لأنفسهم الإلهية ، بل كانوا بشر كون بالله ويكذبون رسوله .

وفرعون كان أعظم كفرا من هؤلاء ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٢٣ - ٢٨] ، إلى قوله : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٦ ، ٣٧] .

ظ ١٣٩

أخبر الله سبحانه وتعالى أن فرعون ومن ذكر معه قال إن موسى ساحر كذاب ، وهذا من أعظم أنواع الكفر .

ثم أخبر الله [أنه] ^(١) أمر بقتل أولاد الذين آمنوا معه لينفروا عن

(١) أنه : زيادة يستقيم بها السياق .

الإيمان معه كيداً لموسى . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٢٧] ، فدلّ على أنهم من الكافرين الذين كيدهم في تباب ، فوصفهم بالكذب وبالكفر جميعاً ، وإن كان التكذيب مشتملاً مستلزماً للكفر ، كما أن الرسالة مستلزمة للنبوة ، والنبوة مستلزمة للولاية .

ثم أخبر عن فرعون أنه طلب قتل موسى وقال : ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ ، وهذا تنبيه على أنه لم يكن مقرّاً بربه ، ولهذا قال في تمام الكلام : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [سورة القصص : ٣٨] ، وهذا جعد صريح لإله العالمين ، وهى الكلمة الأولى .

ثم قال بعد ذلك لما ذكره ^(١) الله تعالى بقوله : ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات : ٢١ - ٢٤] ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [سورة النازعات : ٢٥ - ٢٦] . قال كثير من العلماء : أى نكال الكلمة الآخرة ، ونكال الكلمة الأولى ، فنكّل الله تعالى [به] ^(٢) على الكلمتين باعترافه ، وجعل ذلك عبرة لمن يخشى . ولو كان هذا ممن لم يعاقب على ما تقدم من كفره ، ولم يكن عقابه عبرة ، بل من آمن غفر الله له ماسلف ، ولم يذكره بكفر ولا بذم أصلاً ، بل يمدحه على إيمانه ، ويثني عليه كما أثنى على من آمن بالرسول ، وأخبر أنه نَجَّاهم .

وفرعون هو أكثر الكفار ذكراً في القرآن ، وهو لا يذكره سبحانه إلا

(١) الكلمة في الأصل مطموسة وكذا استظهرتها .

(٢) في الأصل : فنكلمه الله تعالى ، وهو تحريف .

بالدم والتقييح واللعن ، ولم يذكره بخير قط .

وهؤلاء الملاحدة النافقون يزعمون أنه مات طاهراً مطهراً ليس فيه شيء من الخبث ، بل يزعمون أن السحرة صدقوه في قوله : ما علمت لكم من إله غيري ، وأنه صح قوله : أنا ربكم الأعلى ، وأنه كان عين الحق .

وقد أخبر سبحانه وتعالى عن جحوده رب العالمين . قال لما قال له موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٤ ، ١٠٥] ، ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَن حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَآ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢٣-٢٩] ^(١) ، فتوعد موسى بالسجن إن اتخذ إلهاً غيره .

وهؤلاء مع تنظيمهم لفرعون بشاركون في حقيقة كفره ، وإن كانوا مفارقين له من جهة أخرى ، فإن عندهم : ما ثمَّ موجودٌ غير الله أصلاً ، ولا يمكن أحد ^(٢) أن يتخذ إلهاً غيره ، لأنه أي شيء عبد العابد من الأوثان والأصنام والشياطين ، فليست عندهم غير الله أصلاً . وهل يُقال هي الله ؟ لم في ذلك قولان .

(١) في الأصل لم تذكر الآيات كاملة .

(٢) في الأصل : أحداً .

وإخباره سبحانه وتعالى عن تكذيب فرعون وغير ذلك من أنواع كفره
كثير في القرآن ، وكذلك إخباره عن عذابه في الآخرة . فإن هؤلاء الملاحدة
يزعمون أنه ليس في القرآن آية تدل على عذابه ، ويقولون إنما قال سبحانه :
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾
[سورة هود : ٩٨] ، قالوا : فأخبر أنه يوردهم ، ولم يذكر أنه دخل معهم .
قالوا : وقد قال : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر :
٤٦] ، فإنما يدخل النار آل فرعون لا فرعون .

وهذا من أعظم جهلهم وضلالهم ، فإنه حيث ذكر في الكتاب والسنة
آل فلان كان فلان داخلا فيهم ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ
وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران :
٣٣] ، وقوله : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [سورة القمر :
٣٤] ، وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الصافات : ١٣٠] .
وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم صل على آل أبي أوفى » ^(١) ، وقوله :
« لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » ^(٢) .

(١) الحديث متفق عليه عن عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه في : البخارى ١٢٩/٢
(كتاب الزكاة ، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة) ونصه فيه : « عن عبد الله بن
أبي أوفى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقهم قال : اللهم صل على آل
فلان ، فأناه أبى بصدقة ، فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى . » والحديث في : مسلم ١٢١/٣
(كتاب الزكاة ، باب الدعاء لمن أتى بصدقة) ؛ التاريخ الكبير للبخارى ٣ / ٢٤ ؛ الإصابة
لابن حجر ٢ / ٤٩٥ (ط . التجارية ، ١٣٥٨ / ١٩٣٩) .

(٢) الحديث متفق عليه . رواه البخارى ١٩٥/٦ (كتاب فضائل القرآن ، باب حسن
الصوت بالقراءة) ونصه : « عن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
له : يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . » وهو في : مسلم ١٩٢/٢ - ١٩٣
(كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن) ؛ الإصابة ٢ / ٣٥٢ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة : ٤٩] ، ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ [سورة آل عمران : ١١] ، ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ التَّنْذِرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر : ٤١ - ٤٢] .
وقوله : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر : ٤٦] متناولٌ له ولم باتفاق المسلمين ، وبالعالم الضروري من دين المسلمين .

وهذا بعد قوله تعالى حكاية عن مؤمن [من] آل فرعون ^(١) يكتم إيمانه : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [سورة غافر : ٢٨] ، والذي طلب قتله هو فرعون ، فقال المؤمن بعد ذلك : ﴿ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَقَدْ عَوْني إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ﴾ [سورة غافر : ٤١ - ٤٢] ، والداعي إلى الكفر هو كافر كفراً مغلظاً ، فهذا فيه .

ووصفهم أيضاً بالكفر إلى قوله : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر : ٤٥ - ٤٦] ، فأخبر أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب . ثم قال : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا قَهْلُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلُ * قَالِ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

ظ ١٤٠

(١) في الأصل : عن مؤمن آل فرعون .

كُلِّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿ [سورة غافر : ٤٧ - ٤٨]
ومعلوم أن فرعون هو أعظم الذين استكبروا ، ثم هامان وقارون ، وأن قومهم
كانوا لهم تبعاً ، وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذى قال : ما علمت لكم من
إله غيرى ، وقال : أنا ربكم الأعلى .

وقد قال : ﴿ وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَثِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ * وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [سورة القصص : ٣٩ - ٤٢] .

وهذا تصريح بأنه نبذه وقومه في اليم عقوبة الذى هو الكفر ، وأنه أتبعه
وقومه في الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين هو وقومه جميعاً ، وهذا
موافق لقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ * إِلَى
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ *
يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ *
وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾
[سورة هود : ٩٦ - ٩٩] .

فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا أمره ، وأنه يقدمهم لأنه إمامهم ، فيكون
قادماً لهم لا سائقاً لهم ، وأنه يوردهم النار . فإذا كان التابع قد ورد النار فمعلوم
أن القادم الذى يقدمه وهو متبوعه ورد قبله ، ولهذا قال بعد ذلك : ﴿ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [سورة القصص : ٤٢] .

والتابع والمتبع كما قال الله تعالى في تلك السورة عن فرعون وقومه :
﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتِسُ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [سورة
مود : ٩٩] .

والكلام في هذا مبسوط ، لم تحتل هذه الورقة إلا هذا ، والله أعلم .
والحمد لله وحده ، وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل .
تم وكل .

رِسَالَةُ فِي التَّوْبَةِ

﴿ فصل ﴾ ^(١)

س ٧٠

قال الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم
ابن تيمية رحمه الله :

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من
شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلَّ فلا
هادي [له] ^(٢) . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله
شهيداً . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

قال الله تعالى : ﴿ الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ - إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ *
وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ
مَّسْئِيٍّ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [سورة هود : ١ - ٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *
وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ

(١) في أول الصفحة كتب العنوان الآتي : سبب البقاء في الجنة وهو الصلاة .

(٢) له : ساقطة من الأصل .

يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ [سورة الزمر :

٥٣ - ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ الآية [سورة التحريم : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾
[سورة النور : ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ
خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة : ١١٧، ١١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ
وَكَلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا
اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ
إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ٣٥ - ٣٧] .

وقال تعالى في السورة الأخرى : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢ ، ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

وقال تعالى عن نوح أنه قال لقومه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ الآية [سورة نوح : ١٠ ، ١١] .

وقال عن نوح : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] ، وعن هود : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَبَرِّذْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٥٢] ، وعن صالح : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ [سورة هود : ٦١] ، وكذلك قال شعيب : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [سورة هود : ٩٠] . وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤١] ، وقال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [سورة الشعراء : ٨٢] ، وقال : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿ [سورة البقرة : ١٢٨] ، وقال عن موسى عليه السلام : ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة القصص : ١٥ ، ١٦] ، وقال موسى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥١] ، وقال موسى : ﴿ سُبْحَانَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] .

وقال تعالى لموسى : ﴿ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النمل : ١٠ ، ١١] ، وقال موسى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَإِخْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَلَيْنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٥٥ - ١٥٧] .

وقال لخاتم الرسل : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة محمد : ١٩] ، وقال : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [سورة الفتح : ١ ، ٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾
[سورة البقرة : ٢٢٢] .

وقال : ﴿ حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ [سورة غافر : ١ - ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو
عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة الشورى : ٢٥ ، ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا
صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ
صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ * وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *
وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٢ - ١٠٦] .

وفي صحيح مسلم عن أبي بريدة عن الأغر عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا أيها الناسُ توبوا إلى الله ، فإنى أتوب إليه فى اليوم
فى التوبة

مائة مرة»^(١). وعن أبي بردة عن الأغر المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لَيُغَانُ على قلبي ، وإنى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »^(٢) . وقال : « إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »^(٣) . وقال : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مئسى النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مئسى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »^(٤) . وقال : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »^(٥) . وقال : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ،

(١) الحديث في مسلم ٧٢/٨ - ٧٣ (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه) ونصه : « .. عن أبي بردة قال سمعت الأغر - وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - يحدث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب في اليوم إليه مائة مرة » . وفي نسخة : « .. في اليوم مائة مرة » .

(٢) الحديث في مسلم ٧٢/٨ (نفس الكتاب والباب) ؛ سنن أبي داود ١١٣/٢ (كتاب الوتر ، باب في الاستغفار) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٢١١/٤ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في : البخارى ٦٧/٨ (كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم واليلة) ؛ سنن الترمذى (بشرح ابن العربي) ١٢ / ١٤٤ ، (كتاب التفسير ، سورة محمد) ؛ المسند . (ط . الحلبي) ٢ / ٢٨٢ ، ٣٤١ .

(٤) الحديث عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه في : مسلم ٩٩/٨ - ١٠٠ (كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٣٩٥ ؛ الترغيب والترهيب للمنذرى ٤٩/٥ وقال : رواه مسلم والنسائي .

(٥) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم ٧٣/٨ (كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٤ / ١٢٩ (رقم ٧٦٩٧) ، (ط . الحلبي) ٢ / ٣٩٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٥ .

فأخذ بخطأِها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح»^(١) .

وهذا الحديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه ابن مسعود ، والبراء بن عازب ، والنُّعمان بن بشير ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك^(٢) .
ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لله أفرحُ بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ^(٣) ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يُصلحه ، فأضلَّها ، ففرج في طلبها ، حتى إذا أدركه الموت ولم يجدها قال : أرجع إلى مكاني الذي أضلَّتها فيه فأموت فيه . فأتى مكانه فغلبته عينه ، فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يُصلحه»^(٤) . وفي السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كلَّ بنى آدمَ خطاءٌ ، وخير الخطائين التواوبون »^(٥) . وقال : « إن العبد إذا أذنب

(١) الحديث بهذا اللفظ مروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه في مسلم ٩٣/٨ (كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها) . وانظر : جامع الأصول لابن الأثير ٦٦/٣ .
(٢) انظر : جامع الأصول ٦٣/٣ - ٦٧ .

(٣) قال الشيخ أحد شاكر في شرحه للحديث : المسند (ط . المعارف) ٢٢٥/٥ : « دوية : بفتح الدال وتشديد الواو المكسورة وتشديد الياء المفتوحة ، قال ابن الأثير : الدو : الصحراء ، والدوية منسوبة إليها ، وقد تبدل من إحدى الواوین ألف فيقال : داوية على غير قياس ، نحو طائى في النسب إلى طى . مهلكة : بفتح الميم واللام : أى موضع الهلاك ، أو الهلاك نفسه ، وفتح لامها وتكسر ، وحا أيضا المفازة ، قاله ابن الأثير . ونقل الحافظ في الفتح أن في بعض نسخ البخارى : بضم الميم وكسر اللام من الرباعى ، أى تهلك هى من يحصل فيها » . وانظر : النهاية في غريب الحديث : مادة « دوا » ومادة « هلك » .

(٤) الحديث في : البخارى ٦٧/٨ - ٦٨ (كتاب الدعوات ، باب التوبة) ؛ مسلم ٩٢/٨ (كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٢٥/٥ - ٢٢٦ (رقم ٣٦٢٧) .

(٥) الحديث مروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه في : الترمذى (يشرح ابن العربى) = (١٥ جامع الرسائل - ١)

نُكُتْ في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تعلق قلبه ، فذلكم الرّانُ الذي ذكر الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] ، ^(١) .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ [سورة النجم : ٣٢] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن تغفرِ اللهم تغفرِ جَمًّا وأى عَبْدٍ لك لا إلّا » ^(٢)

وعن ابن عمر قال : إن كنا لنعد / لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور » مائة مرة . رواه أحمد والترمذي وقال : حديث صحيح ^(٣) .

ظ ٧١

= ٣٠٨/٩ (أبواب صفة القيامة ، باب المؤمن يستثقل ذنوبه والتوبة) ؛ سنن ابن ماجه ١٤٢٠/٢ (رقم ٤٢٥١) ؛ سنن الدارمي ٢ / ٣٠٣ ؛ المستدرک للحاکم ٢٤٤/٤ . وقال الحاکم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وانظر : جامع الأصول ٧٠/٣ ؛ الترغيب والترهيب ٥ / ٥٢ .

(١) رواه المنذرى بالفاظ مقاربة في الترغيب والترهيب ٣/١٢٩ ، ٥٣/٥ ، وقال : « رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاکم - واللفظ له - من طريقين قال في أحدهما : صحيح على شرط مسلم . ولفظ ابن حبان وغيره : إن العبد إذا أخطأ خطيئة ينكت في قلبه نكتة ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقلت ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلق قلبه ، الحديث » . والحديث في سنن ابن ماجه ١٤١٨/٢ (كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب) .

(٢) الحديث في سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ١٢ / ١٧٢ - ١٧٣ (كتاب التفسير ، سورة النجم) ونصه : « حدثنا أحمد بن عثمان البصري حدثنا أبو عاصم عن زكريا ابن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

إن تغفرِ اللهم تغفرِ جَمًّا وأى عَبْدٍ لك ما إلّا

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق » . وانظر : الدر المنثور للسيوطي ١٢٧/٦ .

(٣) الحديث في : سنن أبي داود ١١٣/٢ (كتاب الوتر ، باب في الاستغفار) ؛ المسند (ط . المعارف) ٣٢٨/٦ (رقم ٤٧٢٦) وانظر أرقام : ٥٣٥٤ ، ٥٥٦٤ ؛ سنن ابن ماجه ١٢٥٣/٢ (كتاب الأدب ، باب الاستغفار) .

﴿فصل﴾

التوبة نوعان : واجبة ومستحبة .

التوبة نوعان
واجبة ومستحبة

فالواجبة هي التوبة من ترك مأمور أو فعل محظور . وهذه واجبة على الواجبة من ترك مأمور أو فعل محظور جميع المكلفين ، كما أمرهم الله بذلك في كتابه وعلى السنة رسوله .

والمستحبة هي التوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات . فمن اقتصر على التوبة الأولى كان من الأبرار المقتصدين ، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين . ومن لم يأت بالأولى كان من الظالمين : إما الكافرين وإما الفاسقين . قال الله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [سورة الواقعة : ٧ - ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَرِيمٍ وَتَضْلِيلَةٌ جَحِيمٍ ﴾ [سورة الواقعة : ٨٨ - ٩٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة فاطر : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ٣ - ٦] ، وقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لِنِي سَجِّينٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَلَّا إِنَّ

كِتَابِ الْأَبْرَارِ لِنِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٢٨﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَزَاجُهُ
مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ٧ - ٢٨] ،
قال ابن عباس : تمزج لأصحاب اليمين مزجاً ، ويشرب بها المقربون صِرْفًا .

والتوبة رجوع عما تاب منه إلى ما تاب إليه . فالتوبة المشروعة هي
الرجوع إلى الله ، وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . وليست التوبة من
فعل السيئات فقط كما يظن كثير من الجاهل ، لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله
العبد من القبائح كالنفوحش والمظالم ، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها
أهم من التوبة من فعل السيئات المنهى عنها ، فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما
أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال البدن وأعماله ، وقد لا يعلمون
أن ذلك مما أمروا به ، أو يعلمون الحق ولا يتبعونه ، فيكونون إما ضالين
بعدم العلم النافع ، وإما مضطرباً عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته .

التوبة من ترك
الحسنات أهم من
التوبة من فعل
السيئات

وقد أمر / الله عباده المؤمنين أن يدعوه في كل صلاة بقوله : ﴿ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ . ولهذا نزه الله نبيه عن هذين ، فقال تعالى :
﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [سورة النجم : ١ - ٤] ،
فالضال الذي لا يعلم الحق ، بل يظن أنه على الحق وهو جاهل به ، كما عليه
النصارى . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] .

ص ٧٢

والغاوى الذى يتبع هواه وشهواته مع علمه بأن ذلك خلاف الحق ، كما

عليه اليهود . قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَّكَهُ يَلْهَثْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

الغنى والضلal
يجمعان جميع
السيئات

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغنى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن »^(١) . فإن الغنى والضلal يجمع جميع سيئات بني آدم ، فإن الإنسان كما قال تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأعراف : ٧٢] ، فبظلمه يكون غاويًا ، وبجهوله يكون ضالًا ، وكثيرا ما يجمع بين الأمرين فيكون ضالًا في شيء غاويًا في شيء آخر ، إذ هو ظالم جهول ، ويعاقب على كل من الذنوبين بالآخر ، كما قال : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [سورة البقرة : ١٠] ، وكما قال : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [سورة الصف : ٥] .

كما يثاب المؤمن على الحسنة بحسنة أخرى ، فإذا عمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم ، وإذا عمل بحسنة دعت إلى حسنة أخرى . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ

(١) الحديث عن أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٤٢٠ من طريقين ، ولفظ الأولى : « حدثنا عبداقة ، حدثني أبي ، ثنا يونس ، ثنا أبو الأشهب ، عن علي بن الحكم ، عن أبي برزة الأسلمي - قال أبو الأشهب : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : إن مما أخشى عليكم شهوات الغنى في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن » . وفي الطريق الثانية (نفس الصفحة) : « .. عن أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن مما أخشى ... ومضلات الهوى » . ورواه الهيثمي في الزوائد ٧ / ٣٠٥ - ٣٠٦ وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » .

اهْتَدُوا زَادُكُمْ هُدًى وَآثَامُكُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿ [سورة محمد : ١٧] ، وقال تعالى :
 ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [سورة مريم : ٧٦] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ
 جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة النكبت : ٦٩] ، وقال :
 ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَفَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً *
 وَإِذَا لَا تَنِيَانَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾
 [سورة النساء ٦٦-٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا
 تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ثَلَاثًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ
 إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
 يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨ ، ٢٩] .

ظ ٧٣

وهو صلى الله عليه وسلم ذكر شهوات النوى في / البطون والفروج ، كما
 في الصحيح أنه قال : « من تكفل لي بما بين لحييه وما بين رجله تكفلت له
 بالجنة » ^(١) . فإن هذا يعلم عامة الناس أنه من الذنوب ، لكن يفعلونه اتباعاً
 لشهواتهم .

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى البخارى الحديث بألفاظ أخرى في موضعين
 من صحيحه الأول ٨ / ١٠٠ (كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان) عن سهل بن سعد رضى
 الله عنه ونصه : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجله أضمن له الجنة » ، والثانى
 ٨ / ١٦٤ (كتاب المحاربين ، باب فضل من ترك الفواحش) عن سهل أيضا وأوله :
 « من توكل لى . . الخ » . وذكر المنذرى فى الرغيب والترهيب ٤ / ٦١ - ٦٢ عدة
 روايات للحديث عن سهل بن سعد وعن أبى هريرة وعن أبى رافع وأبى موسى رضى الله عنهم
 وذكر أنه قد رواه البخارى والترمذى والطبرانى وأبو يعلى . وشرح المنذرى الحديث فقال :
 « المراد بما بين لحييه : اللسان ، وبما بين رجله : الفرج ، واللحيان : ما عظم الحنك » .
 والحديث عن سهل رضى الله عنه فى المسند (ط . الحلبي) ٥ / ٣٣٣ وأوله : « من توكل
 لى . . الخ » . وذكر النبهانى فى « الفتح الكبير » ٣ / ٢٤٦ أن الحديث رواه ابن حبان
 والحاكم أيضا . وهو فى سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ٩ / ٢٤٨ (كتاب الزهد ،
 باب ما جاء فى حفظ اللسان) بلفظ : « من يتكفل لى . . . انكفل . . الخ » .

وأما مضلات الفتن ، فَأَنْ يُفْتَنَ الْعَبْدُ فَيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَهْتَدٍ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٣٦ ، ٣٧] ، وَقَالَ : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٨] ، وَقَالَ : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] ، وَقَالَ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] .

ولهذا تأوَّل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فيمن يتعبد بغير شريعة الله التي بعث بها رسوله ، من المشركين وأهل الكتاب كالرهبان ، وفي أهل الأهواء من هذه الأمة كالخوارج الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، وقال فيهم : « يَخْفِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ . أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١) . وذلك لأن هؤلاء خرجوا عن سنة رسول

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن جاء الحديث في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرتين تتضمنان أكثر الألفاظ الواردة هنا ، الأولى ٢٠٠/٤ (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة) ولفظها : « بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسَمًا أَنَّهُ ذُو الْخَوْبِصَةِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَعْدِلْ . فَقَالَ : وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ، قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنِ لِي فِيهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَقَالَ : دَعِهِ ، فَإِنْ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ . . . الخ الحديث » . والرواية الثانية ٢٠٠ / ٤ - ٢٠١ ونصها : « يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حَدَّثُوا الْأَسْنَانَ سَفَهَاءَ الْأَحْلَامِ ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ =

الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين حتى كفروا من خالفهم مثل عثمان وعلى وسائر من تولاهما من المؤمنين ، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم : « يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان »^(١) .

وإذا اجتمع شهوات النوى ومضلات الفتن قوى البلاء ، وصار صاحبه مفضوباً عليه ضالاً . وهذا يكون كثيراً ، بسبب حب الرئاسة ، والعلو في الأرض ، كحال فرعون . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّجُ أُنْبَاءَهُمْ وَيَسْتَخْفِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص : ٤] ، فوصفه بالعلو في الأرض والفساد . وقال في آخر السورة : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة القصص : ٨٣] ، ولهذا قال في حق فرعون : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوهُ عَمَلِهِ ﴾ [سورة غافر : ٣٧] .

وذلك أن حب الرئاسة شهوة خفية ، كما قال شذاد بن أوس رضي الله

== كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأبينا لقيتموهم فاقتلهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » .

وجاء الحديث عن الخوارج في البخارى في مواضع أخرى ، وأفرد لهم مسلم أبواباً في صحيحة ٣ / ١٠٩ - ١١٧ (كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، وباب التحريض على قتل الخوارج ، وباب الخوارج شر الخلق والخلقة) . كما وردت الأحاديث عنهم في سنن أبي داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارى وفى المسند فى مواضع . وانظر مسند أبى سعيد الخدرى (ط . الحللى) ٣ / ٣٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٣ . وانظر جامع الأصول لابن الأثير ١٠ / ٤٣٢ - ٤٤٢ ؛ مفتاح كنوز السنة : الخوارج .

(١) هذا جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه رواه البخارى ٤ / ١٣٧ (كتاب الأنبياء ، باب قول الله عز وجل : وأما عاد فأهلكوا .. الآية) ؛ ومسلم ٣ / ١١٠ (كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم) ؛ أبو داود ٤ / ٣٣٥ (كتاب السنة ، باب فى قتال الخوارج) .

عنه : « يا بفايا العرب ! يا بفايا العرب ! إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » . قيل / لأبي داود السجستاني : ما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة ^(١) . وحبك الشيء يُعْمَى وَيُصَمِّمُ ، فيبقى حب ذلك يزني له ما يهواه ، مما فيه علو نفسه ، ويبغض إليه ضد ذلك ، حتى يجتمع فيه الاستكبار ، والاختيال ، والحسد الذي فيه بغض نعمة الله على عباده ، لا سيما من مناظره .

والكبر والحسد هما داءان أهل الكاالأولين والآخرين ، وهما أعظم الذنوب التي بها عُصِيَ الله أولاً . فإن إبليس استكبر وحسد آدم ، وكذلك ابن آدم الذي قتل أخاه حسداً أخاه . ولهذا كان الكبر ينافي الإسلام ، كما أن الشرك ينافي الإسلام . فإن الإسلام هو الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر ، كحال فرعون وملاؤه . ولذلك

(١) لم أجد هذا الأثر بهذا اللفظ ، ولكن أورد أحمد في مسنده (ط . الحلبي) ١٢٣ / ٤ - ١٢٤ حديثاً عن شداد بن أوس رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه : « . . . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية . قال : قلت : يا رسول الله ، أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : نعم ، أما أنهم لا يعبدون شمساً ولا قرأ ، ولا حجراً ولا وثناً ، ولكن يراءون بأعمالهم . والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فنعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه » . وجاء الحديث عن شداد مرة أخرى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ مختلفة ٤ / ١٢٥ - ١٢٦ . وروى الحديث بألفاظ مختلفة عن شداد رضي الله عنه ابن ماجه في سننه ٢ / ١٤٠٦ (كتاب الزهد ، باب الرياء والسعة) . وذكر المنذرى في الترغيب والترهيب ١ / ٣٣ - ٣٥ عدة روايات للحديث وقال إن الحديث رواه أحمد والبيهقي والحاكم وابن ماجه وتسكلم على رواياته المختلفة كما ذكر بعد ذلك ٤ / ٥٠ حديثاً عن عبداه زيد لفظه : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا بفايا العرب يا بفايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الزنا والشهوة الخفية » ثم قال : « رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح ، وقد قيده بعض الحفاظ : الرياء ، بالراء والياء » .

قال لهم موسى : ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾
 [سورة الدخان : ١٩] ، وقال تعالى عن فرعون : ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾
 [سورة القصص : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ
 ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل : ١٤] .

ومن أسلم وجهه لله حنيفاً فهو المسلم الذي على ملة إبراهيم الذي قال له ربه :
 أسلم ، قال : أسلمتُ لربِّ العالمين .

وهذا الإسلام هو دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم ، كما وصف
 الله به في كتابه نوحاً وإبراهيم وموسى ويوسف وسليمان وغيرهم من النبيين ،
 مثل قول موسى لقومه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَقَلِّبُوهُ تَوَكَّلُوا إِنْ
 كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس : ٨٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ
 فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَخْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾
 [سورة المائدة : ٤٤] ، وقال نوح عليه السلام : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
 [سورة يونس : ٧٢] .

وقال يوسف : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة يوسف : ١٠١]
 وقالت بلقيس : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
 [سورة النمل : ٤٤] .

والتي في شهوات
 الرئاسة والكبر
 والعلو
 وليس الفنى مختصا بشهوات البطون والفروج فقط ، بل هو في شهوات
 البطون والفروج وشهوات الرئاسة والكبر والعلو وغير ذلك . فهو اتباع

المهوى وإن لم يعتقد أنه هوى ، بخلاف الضال ، فإنه يحسب أنه يحسن صنعا ، ولهذا كان إبليس أول الغاوين ، كما قال : ﴿ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧] ، وقال : ﴿ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة الحجر : ٣٩ ، ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة القصص : ٦٢ ، ٦٣] .

وقد قال تعالى : ﴿ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَتَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الشعراء : ٩٤ ، ٩٥] .

وإنما في الحديث ما يخاف على هذه الأمة من النى ، وهو شهوات النى في البطون والفروج . فأما النى الذى هو / الاستكبار عن اتباع الحق ، فذاك أصل الكفر ، فصاحبه ليس من هذه الأمة ، كإبليس وفرعون وغيرها . وأما غى شهوات البطون والفروج ، فذاك يكون لأهل الإيمان ثم يتوبون ، كما قال : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

وفي السنن والمسند من حديث ليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن عمرو ، عن أبي سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن إبليس قال لربه عز وجل : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم . فقال له ربه عز وجل : فبعزتي وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما استغفرونى » (١) .

﴿ فصل ﴾

وجميع ما يتوب العبد منه ، سواء كان فعلاً أو تركاً ، قد لا يكون كان عالماً بأنه ينبغي التوبة منه ، وقد يكون كان عالماً بذلك . فإن الإنسان كثيراً ما يكون غير عالم بوجوب الشيء أو قبحه ، ثم يتبين له فيما بعد وجوبه أو قبحه . وقد يكون عالماً بوجوبه أو قبحه ، ويتركه أو يفعله لضعف المقتضى لفعل الواجب ، أو قوة المقتضى لفعل القبيح . لكن هذا لا يكاد يقع إلا مع ضعف العلم بوجوبه وقبحه ، وإلا فإذا كمل العلم استلزم الإرادة الجازمة في الطرفين ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٧] . قال أبو العالية : قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عصى الله فهو جاهل ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب (٢) .

المصيان يقع مع ضعف العلم

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي سعيد رضى الله عنه في المسند (ط . الحلبي) ٢٩ / ٣ .

(٢) روى ابن جرير في تفسيره ٨ / ٨٩ (ط . المعارف) عن أبي العالية : أنه كان يحدث : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : كل ذنب أصابه العبد فهو بجهالة . وذكره السيوطى في الدر المنثور ٢ / ١٣٠ ، وقال : أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

وأما بقية الأثر فرواها بمعناها ابن جرير في تفسيره ٨ / ٩٤ - ٩٥ عن الضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم . وانظر : الدر المنثور ، نفس الصفحة .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] .

والمؤمن لا يزال يخرج من الظلمات إلى النور ، ويزداد هدى ، فيتجدد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك ، فيتوب مما تركه وفعله . والتوبة تصقل القلب وتجليه مما عرض له من رين الذنوب ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا أذنب نُكِتَتْ في قلبه نُكْة سوداء ، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه ، وإن زاد زيد فيها حتى تملو قلبه ، فذلك الرّان الذي قال الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] » ^(١) .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » ^(٢) .

والتوبة من الاعتقادات أعظم من التوبة من الإرادات ، فإن من ترك واجباً أو فعل قبيحاً يعتقد وجوبه وقبحه ، كان ذلك الاعتقاد داعياً له إلى فعل الواجب ومانعاً من فعل القبيح ، فلا يكون في فعله وتركه ثابت الدواعي والصوارف ، بل تكون دواعيه / وصوارفه متعارضة . ولهذا يكون الغالب على هذا التلوم ، وتكون نفسهم لوامة ، تارة يؤدون الواجب وتارة يتركونه ؛ وتارة يتركون القبيح ، وتارة يفعلونه ، كما تجده في كثير من فساق القبلة الذين يؤدون الحقوق تارة ويمنعونها أخرى ، يفعلون السيئات تارة ويتركونها

(١) انظر ما سبق ، ص ٢٢٦ ت ١ .

(٢) انظر ما سبق ، ص ٢٢٤ ت ٢ .

أخرى ، لتعارض الإرادات في قلوبهم ، إذ معهم أصل الإيمان الذي يأمر بفعل الواجب وينهى عن فعل القبيح ، ومعهم من الشبهات والشهوات ما يدعومهم إلى خلاف ذلك .

وأما ما فعله الإنسان مع اعتقاد وجوبه ، وترّكه مع اعتقاد تحريمه ، فهذا يكون ثابت الدواعي والصوارف ، أعظم من الأول بكثير . وهذا يحتاج توبته^(١) إلى صلاح اعتقاده أولاً وبيان الحق . وهذا قد يكون أصعب من الأول ، إذ ليس معه داع إلى أن يترك اعتقاده ، كما كان مع الأول داع إلى أن يترك مراده . وقد يكون أسهل إذا كان له غرض فيما يخالف موجب الاعتقاد ، مثل الآصار والأغلال التي على أهل الكتاب ، وإذلال المسلمين لهم ، وأخذ الجزية منهم ، مع مخالفة المسلمين له ؛ فهذا قد يكون داعياً إلى أن ينظر في اعتقاده : هل هو حق أو باطل حتى يتبين له الحق ، وقد يكون أيضاً سرغباً له في اعتقاد يخرج به من هذا البلاء .

والاعتقاد والارادة يتعاونان وكذلك قهر المسلمين لعدوهم بالأسر يدعومهم إلى الفطر في محاسن الإسلام . فللرغبة والرهبة تأثير عظيم في معاونة الاعتقاد ، كما للاعتقاد تأثير عظيم في الفعل والترك . فكل واحد من العلم والعمل ، من الاعتقاد والإرادة ، يتعاونان . فالعلم والاعتقاد يدعوان إلى العمل بموجبه ، والإرادة رغبة ورهبة ، والعمل بموجبها يؤيد النظر والعلم الموافق لتلك الإرادة والعمل ، كما يقال : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم .

وفي القرآن شواهد هذا متعددة ، في مثل قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً ﴾ وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيماً * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيماً ﴿ [سورة النساء : ٦٦-٦٨] .

(١) في الأصل تحتاج إليه توبته .. الخ .

وفي قوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨] ، وغير ذلك .

فإذا كان الإنسان معاقباً على الاعتقاد كما يعاقب الكفار على كفرهم ، كانت التوبة منه ظاهرة ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة المائدة : ٧٣ ، ٧٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] .

ط ٧٤

فأما الاعتقاد المغفور : كالخطأ والنسيان الذي لا يؤاخذ الله به هذه الأمة ، كما في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] . وقد ثبت في الصحيح أن الله قد فعل ذلك^(١) . وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »^(٢) . فهذا

(١) انظر الكلام عن هذا الحديث برواياته المتعددة في تفسير الطبري (ط . المعارف ٦ / ١٠٣ - ١٠٥ ، ١٤٢ - ١٤٦ . وانظر الحديث بمعناه في : مسلم ١ / ٨٠ - ٨١) كتاب الإيمان ، باب بيان قوله تعالى : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه » : المسند (ط . المعارف) ٣ / ٣٤١ - ٣٤٢ (رقم ٢٠٧٠) ٥ / ٣٠ - ٣١ (رقم ٣٠٧١) ؛ سنن الترمذي ١١١ / ١١٢ - ١١٣ (كتاب التفسير ، سورة البقرة) .

(٢) الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في : البخاري ٩ / ١٠٨ (كتاب الاعتصام ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) ؛ مسلم ٥ / ١٣١ - ١٣٢ (كتاب الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) . ولفظ الحديث فيها : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » . وجاء الحديث بلفظ آخر عن عبد الله بن عمرو عن أبيه رضي الله عنهما في المسند (ط . المعارف) ١١ / ٣٩ - ٤٠ (رقم ٦٧٥٥) وفي مسند عمرو (ط . الحلبي) ٤ / ٢٠٥ . وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه ١١ / ٤١ : ورواه الدارقطني (ص ٥١٠) والحاكم (٤ : ٨٨) .

قد يقال في مثله : إن قيل إنه يُتاب منه فكيف يتاب ثمّ لاذم فيه ولا عقاب ؟
وإن قيل : لا يتاب منه فكيف لا يرجع الإنسان إلى الحق إذا تبين له ؟

وجواب ذلك أنه يتاب منه كما يتاب من غيره ، لأن صاحبه قد ترك ما هو مأمور به في نفس الأمر من العلم وما يتبعه من أعمال القلوب والجوارح ، إما لعجزه عن بلوغه وإما لتقصيره في طلبه .

وأيضاً ، فإنه قد فعل من الاعتقاد وما يتبعه من أعمال القلوب والجوارح ما هو منهي عنه في نفس الأمر ، لكن سقط عنه النهى لعدم قدرته على معرفة قبضه . والتكليف مشروط بالتمكن من العلم والقدرة ، فلا يُكَلَّفُ العاجز عن العلم ما هو عاجز عنه ، والناسي والمخطئ كذلك . لكن إذا تجدد له قدرة على العلم صار مأموراً بطلبه ، وإذا تجدد له العلم صار مأموراً حينئذ باتباعه . وصار في هذه الحال مذموماً على ترك ما يقدر عليه من طلب العلم الواجب ، وعلى ترك اتباع ما تبين له من العلم .

وأيضاً ، فإدام غير مستيقن للحق فهو مأمور بطلب العلم الذي يبين له الحق . والمعتقد المخطئ لا يكون مستيقناً قط ، فإن العلم واليقين يجده الإنسان من نفسه كما يجد سائر إدراكاته وحركاته ، مثلاً يجد سمعه وبصره وشمه وذوقه ، فهو إذا رأى الشيء يقيناً يعلم أنه رآه ، وإذا علمه يقيناً يعلم أنه علمه . وأما إذا لم يكن مستيقناً فإنه لا يجد ما يجده العالم ، كما إذا لم يستيقن رؤيته لم يجد ما يجده الرائي ، وإنما يكون عنده ^(١) ظن ونوع إرادة توجب اعتقاده .

(١) في الأصل : عند .

هذا هو الذى يحده بنو آدم فى نفوسهم كما قال سبحانه : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [سورة النجم : ٢٣] . وإذا كان الإنسان مأمورا بطلب العلم الذى يحتاج إليه بحسب إمكانه ، وهو إذا لم يجد العلم اليقينى يعلم أنه لم يجد العلم فهو مأمور بالطلب والاجتهاد ، فإن تَرَكَ ما أمر به كان مستحقاً للذم والعقاب على ذلك . فإذا تبين له الحق وعَلِمَهُ ، وعلم أنه كان جاهلاً به معتقداً غير الحق كان تائباً ، بمعنى أنه رجع من الباطل إلى الحق ، وإن كان الله قد عفى عنه ما رجع عنه لعجزه إذ ذاك ، وكان أيضاً تائباً مما حصل فيه أولاً من تفريط فى طلب الحق ، فكثير من خطأ بنى آدم من تفريطهم فى طلب الحق لا من العجز التام . وكان أيضاً تائباً من اتباع هواه أولاً بغير هدى من الله ، فإن أكثر ما يحمل الإنسان على اتباع الظن الخطيئ هو هواه ، كما قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ . وليس توبة هذا وحاله كحال من كان عاجزاً عن الفعل ثم قدر عليه كالمرضى الذى لا يطبق الفياض إذا قدر عليه بعد ذلك ، وكالخالف إذا أمن ، وكالمصلى بقيثم ، ونحو هؤلاء .

وذلك أن هؤلاء إذا كانت إرادتهم للفعل للأمور به على وجه الكمال ثابتة فى قلوبهم ، وقد عملوا ما يقدرون عليه من المراد ، وإنما تركوا تمامه لعجزهم - كان لهم مثل ثواب الفاعل ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث للفتق عليه عن أبى موسى : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم »^(١) . وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم

(١) الحديث عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى : البخارى ٤ / ٥٧ (كتاب الجهاد ، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل فى الإقامة) ولفظه : « إذا مرض العبد أو = (١٦ جامع الرسائل - ١)

قال : « إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعهم وادياً إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر » (١) .

وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة النساء : ٩٥] ، فهؤلاء لهم علم بالمأمور به الكامل ، واعتقاد الأمر به ، وإرادة فعله بحسب الإمكان ، وهذا كله من أدائهم للأمر به ، فإذا تجددت لهم قدرة لم يتجدد رغبة في الفعل الكامل ، وإنما يتجدد العمل بتلك الرغبة المتقدمة ، وإن كان لابد لهذا الفعل من إرادة تخصه ، ولم يكن هؤلاء مأمورين بذلك إلا في هذه الحال فقط ، كما تؤمر المرأة بالصلاة عند انقضاء الحيض ، وكما يؤمر الصبي بما يجب عليه عند بلوغه ، وكما يؤمر الزنكي بالزكاة بعد ملك النصاب والحول ، والمصلّي بالصلاة بعد دخول الوقت .

وأما الناسى والخطيء فإنه لم يكن قد أتى بالعلم والاعتقاد والإرادة ، فلا يثاب على هذه الأمور التي لم تكن له ، بل يكون الذي حصل له ذلك أفضل منه بها ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٩] ، فنفى المساواة بين الذي يعلم والذي لا يعلم مطلقاً ، لم يستثن المعذور كما استثنى في تفضيل المجاهد على القاعد المعذور . وكذلك سائر ما في القرآن من نحو هذا ، كقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي

== سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقبياً صحيحاً . وهو في مسند أبي موسى (ط . الحلبي) ٤ / ٤١٨ مع اختلاف يسير في اللفظ .

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أنس رضي الله عنه في : البخاري ٤ / ٢٦ (كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الفزو) ؛ وعن جابر رضي الله عنه في : مسلم ٦ / ٤٩ (كتاب الإمامة ، باب ثواب من حبسه عن الفزو مرض أو عذر آخر) ولفظ مسلم كلفظ الحديث هنا إلا أن فيه : حبسهم المرض .

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظَّلُّ وَلَا الْخُرُورُ *
وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿ [سورة فاطر : ١٩ - ٢٢] ، وقوله :
﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا ﴾ [سورة هود : ٢٤] ، وقوله : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَحَصَلْنَا
لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾
[سورة الأنعام : ١٢٢] .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « إذا اجتهد
الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » ، لم يجعل أجر العاجز
على إصابتها الصواب مع اجتهداده كأجر القادر عليه ، كما جعل للمريض والمسافر
مثل ثواب الصحيح المقيم ، كما جعل للمعذور من القاعدين عن الجهاد الذي
تمت رغبته/ بمنزلة المجاهد ، فإن الأصل هو القلب ، والبدن تابع . فالمستويان في
عمل القلب إذا فعل كل منهما بقدر بدنه متماثلان ، بخلاف المتفاضلين في عمل
القلب : علمه وإرادته وما يتبع ذلك ، فإنهما لا يتماثلان . ولهذا يعاقب العبد
على ما تركه من الإيمان بقلبه .

وإن قيل : إن ذلك تكليف ما لا يطاق ، ولا يعاقب على ما عجز عنه
بدنه باتفاق المسلمين ، فهو يعاقب على ترك ما أمر بإرادته وفعله وإن كانت
نفسه لا تريده ولا تحبه ، وليس هو معاقباً على ترك ما عجز عنه بدنه ،
كجهاد المقعد والأعمى ونحوهما . ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به
رسله و [لا] تريده لتفريطه وتعديه ، إذ آيات ذلك الحق ظاهرة^(١)
وهو محبوب ، وقد خلق الله كل مولود على الفطرة التي تتضمن القوة على معرفة

(١) العبارة في الأصل مضطربة كما يلي : « ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به رسله
وتريده لتفريطه وتعديه إذا تاب ذلك الحق ظاهرة . . إلخ . » وأرجو أن يكون الصواب
ما أثبتته .

هذا الحق وعلى محبته ، ولكن غير فطرته بما يقلده عن غيره ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبوه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تُنتج البهيمة بهيمة جماء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » ^(١) . وإذا كان قد خلق على الصحة والسلامة ، فهو يستحق العقوبة على ما غيره من خلق الله بتفريطه وعدوانه ، لا تباعه الظن وما تهوى الأنفس .

وقد بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٥] ، وهذا مما يظهر به الفرق بين المجتهد المخطئ والناسي من هذه الأمة في المسائل الخبرية والعملية ، وبين المخطئ من الكفار والمشركين وأهل الكتاب الذي بلفظه الرسالة ، إذا قيل إنه غير معاند للحق ، فإن ذاك لا يكون خطؤه إلا لتفريطه وعدوانه ، لا يتصور أن يجتهد فيكون مخطئاً في الإيمان بالرسول ، بل متى اجتهد — والاجتهاد است فراغ الوُسع في طلب العلم بذلك — كان مصيباً للعلم به بلا ريب .

فإن دلائل ما جاء به الرسول ودواعيه في نهاية الكمال والتمام الذي يشمل كل من بلفظه ، ولا يترك أحد قط اتباع الرسول إلا لتفريط وعدوان فيستحق العقاب ، بخلاف كثير من تفصيل ما جاء به ، فإنه قد يعزب علمه عن كثير

(١) ذكرت من قبل (ص ١١ ت ٣) أن هذا الحديث جاء بتمامه في منهاج السنة ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥ حيث تكلمت عن طريقه وموضعه في الصحاح ، وحيث نقلت عن النووي شرحه للحديث (شرح مسلم ١٦ / ٢٠٩) وفيه : « (جماء) بالمد ، أى مجتمعة الأعضاء ، سليمة من نقص ، لا يوجد فيها (جدعاء) بالمد ، وهى مقطوعة الأذن أو غيرهما من الأعضاء . ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها ، وإنما يحدث فيها المجدع والنقص بعد ولادتها . »

من خواص الأمة وعوامها ، بحيث لا يكونون في ترك معرفته لا مقصّرين ولا مفرّطين فلا يعاقبون بتركه ، مع أنهم قد آمنوا به إيماناً محملاً في إيمانهم بما جاء به الرسل ، فهم آمنوا به مجملاً ومعهم أصول الإيمان به ، كما أن الفاسق معه ^(١) الدواعي لفعل المأمور وترك المحذور .

فلماذا كان الخطيء بالتأويل من هذه الأمة ، والفاسق بالفعل مع صحة الاعتقاد ، كل منهما محسناً من وجه مسيئاً من وجه ، وليس واحد منهما كالكفار من المشركين وأهل الكتاب ، وإن كانوا في ذلك على درجات متفاوتة ، بل كل منهما ليس تاركاً لما أمر به من الاعتقاد والعمل مطلقاً / ولا فاعلاً لضده مطلقاً ، بل التأويل قد آمن إيماناً عاماً بكل ما جاء به الرسول ، واستسلم لكل ما أمره به . وهذا الإيمان والإسلام يتناول ما جهله ، ويدعوه إلى الإيمان والإسلام المفصل إذا علمه ، لكن عارض ذلك من جهله وظلمه لنفسه ما قد يكون مغفوراً له وقد يكون معدّياً به .

ولذلك الفاجر بالعمل معه من الإيمان بقبح الفعل وبفضه ما هو [داع له إلى] ^(٢) فعل الأصل المأمور به وداع له إلى تركه ، لكن عارض ذلك من هواه ما منع كمال طاعته ، بخلاف المكذب للرسول صلى الله عليه وسلم والكافر به ، فإنه لم يصدّق بالحق ولم يستسلم له لا جملةً ولا تفصيلاً ، لكن قد يكون ما اتبعه من ظنه وهواه موجباً لبعض ما جاء به الرسول وما نأى له من النظر فيه بحيث لا يستطيع مع ذلك أن يسمع به ، فهذا واقع ، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿ [سورة الكهف : ١٠٠-١٠١] ،

(١) و الأصل : مع .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُفْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة هود : ١٨ - ٢٠] .

لكن عدم هذه الاستطاعة كان بتفريطه وعدوانه ، ومن كان تركه للأمور بذنب منه ، أو ضروره إلى المحذور بذنب منه - لم يكن ذلك مانعاً من ذمّه وعقابه ، ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ وَتَقَلَّبُ أَفْتِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَسَنَهُمُ اللَّهُ يَكْفُرُهُمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٨٨] ، وقال : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء : ١٥٥] .

وبهذا يظهر ضعف قول طائفة من المتكلمين الذين يقولون : الخطأ والإثم يتلازمان . ثم منهم من يقول : كل مجتهد في المسائل العملية مصيب ؛ كما يقوله كثير من المعتزلة والأشعرية . ومنهم من يقول : بل فيها خطيء ، والخطيء آثم ، كما يقوله الميرسي وغيره ^(١) ؛ وذلك أنهم اعتقدوا أنه حيث يكون مخطئاً يكون تاركاً لما وجب عليه .

(١) يقول الآمدي - من أئمة متأخري الأشاعرة - في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » (ط . المعارف / ١٣٣٢ / ١٩١٤) ٤ / ٢٤٤ : « وافق أهل الحق من المسلمين على أن الإثم محطوط عن المجتهدين في الأحكام الشرعية ، وذهب بشر الميرسي وابن عليه وأبو بكر الأعمى ونفاة القياس - كالظاهرية والإمامية - إلى أنه ما من مسألة إلا والحق فيها متعين ، وعليه دليل قاطع ، فن أخطأه فهو آثم غير كافر ولا فاسق » .

ثم قال الأولون : فإذا لم يكن تاركاً للمأمور به ، فلا يكون قد في
للمسألة حكم معين ، أو لا يكون الحكم المنصوص حكماً في حقه إذا لم يتمكن
من معرفته .

وقال الآخرون : بل إذا كان مخطئاً يكون تاركاً للمأمور به
فيكون آثماً .

والتحقيق أنه مأمور به أسراً مطلقاً ، لكن شرط الإثم بمنزلة التمكن
من معرفته ، فإذا لم يتمكن من معرفته لا يكون شرط الإثم موجوداً فيه .
ولكن ذلك لا ينفى أن يكون هو المأمور به ، وهو الذي يحبّه الله ويرضاه ،
ويُثيب فاعله إذا فعله . وإنما سقط عن بعض العباد لفوات الشرط في حقه
خاصة ، وحينئذ فيكون النزاع في بعض المواضع نزاعاً لفظياً .

ولهذا اختلف العلماء : هل هو مصيب في اجتهاده وإن كان مخطئاً في
نفس الأمر ؟ أو هو مخطئ في اجتهاده وفي نفس الأمر ؟ على قولين ذكرهما
القاضي روايتين عن أحمد . وذلك أن الخطأ في الاجتهاد قد يعنى به القصور
والتقصير ، وقد لا يعنى به إلا التقصير ، إذ العاجز عن معرفة الحكم الذي لله
عاجز قاصر ، ليس بمقصر ولا مفترط فيما بعده عليه . فإذا قال : أخطأ في اجتهاده ،
أراد أخطأ في استدلاله ، بمعنى أنه لم يستدلّ بالدليل الذي يوصله إلى نفس
الحق ، ولا ريب أنه أخطأ هذا الاستدلال الموصل له إلى الحق ، إذ لو أصابه
لأصاب الحق ، لكنه لم يكن قادراً على هذا الاستدلال فلا يعاقب
على تركه .

ومن قال : لم يخطئ في اجتهاده ، أراد أنه لم يخطئ فيما قدر عليه من
الاجتهاد ، بل فعله على وجهه ، لكن لم يكن مقدوره من الاجتهاد كافياً
في إدراك المطلوب في نفس الأمر .

ومثل هذا النزاع أن يُقال : هل فعل ما أمر به أو لم يفعل ما أمر به ؟
فالمأمور به في نفس الأمر لم يفعله ، وأما المأمور به في حقه من العمل الممكن
فقد فعله . ولذلك إذا اشتبهت أخته بأجنبية ، هل يقال : الحرام - في نفس
الأمر - واحدة ، أم الاثنان محرمتان ؟ على القولين بهذا الاعتبار .

﴿فصل﴾

فأما التوبة من الحسنات فلا تجوز عند أحد من المسلمين ، بل من تاب
من الحسنات ، مع علمه بأنه تاب من الحسنات ، فهو إما كافر وإما فاسق .
وإن لم يعلم أنه تاب من الحسنات فهو جاهل ضالّ . وذلك أن الحسنات هي
الإيمان والعمل الصالح ، فالتوبة من الإيمان هي الرجوع عنه ، والرجوع عنه
ردّةٌ ؛ وذلك كفر . والتوبة من الأعمال الصالحة رجوع عما أمر الله به ،
وذلك فسوق أو معصية .

التوبة من
الحسنات لا تجوز
عند أحد من
المسلمين

والله تعالى حَبَّبَ إلى المؤمنين الإيمان ، وكرهَ إليهم الكفرَ والفسوقَ
والعصيان . فكل حسنة يفعلها العبد إما واجبة وإما مستحبة . والتوبة تتضمن
الندم على ماضٍ ، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في المستقبل . والندم يتضمن
ثلاثة أشياء : اعتقاد قبح ما ندم عليه ، وبغضه وكرهه ، وألمّ يلحقه عليه .
فن اعتقد قبح ما أمر الله به أمرٌ إيجاب أو استحباب ، أو أبغض ذلك وكرهه
بحيث يتألم على فعله ، ويتأذى بوجوده ، ففيه من النفاق بحسب ذلك . وهو
إما نفاق أكبر يخرج من أصل الإيمان ، وإما نفاق أصغر يخرج من كماله
الواجب عليه . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا

مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَئِكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
فَرَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿ [سورة التوبة :
١٢٤ ، ١٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [سورة الإسراء : ٨٢] .

بل إذا علم العبد أن هذا الفعل قد أمره الله به وأحبه ، فاعتقد هو أن ذلك
ليس ممّا أمر الله به وأبغضه وكرهه ، فهو كافر بلا ريب . فمثل هذه التوبة
عن الحسنات هي ردة محضة عن الإيمان وكفر بالإيمان : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٥] .

فإطلاق القول بأن الحسنات يُتاب منها هو كفر يجب أن يُستتاب
صاحبه ، إذ معناه أنه يؤمر بالرجوع عن الحسنات ، واعتقاد أن الرجوع عن
الحسنات يقرب إلى الله ، وهذا كفر بلا ريب . ثم إن هذه التوبة متناقضة
ممنوعة في نفسها ، فإن الثائب من الحسنات إن اعتقد أن هذه التوبة / حسنة ،
فعلية أن يتوب منها ، فتكون باطلة ، فلا يكون قد تاب من الحسنات . وإن
اعتقد أنها سيئة كان مقراً بأن هذه التوبة محرمة ، فقد التزم أحد أمرين : إما
أنه لم يتب من الحسنات ، أو تاب توبة محرمة . وهذا اشتبه عليه حال السابقين
المقربين الذين يتوبون من ترك المستحبات ، أو فعل المكروهات غير المحرمات ،
فظن أنهم تابوا مما فعلوه من الحسنات وتركوه من المحرمات ، فإنهم لو تابوا
من ذلك لكانوا مرتدين [إما]^(١) عن أصل الإيمان وإما عن كماله . وإنما هي
توبة عما تركوه من مستحب وفعلوه من مكروه ، مثل أن يكون العبد يصلي
صلاة مجزئة غير كاملة ، فتبلغه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم المستحبة ، فيصل
كصلاته ، ويندم على ما كان يفعله من الصلاة الناقصة .

(١) إما : زيادة يفتضيها السياق .

فهو لا يتوب مما فعله من الحسن ، وإنما يتوب مما تركه من الحسن ، ولهذا ينسب نفسه إلى التفريط بما أضاعه من الحسنات . وكذلك إذا سمع فضائل الأعمال المستحبة وما وعد الله لأصحابها من علو الدرجات ، فيندم على ما فرط من ذلك ، ويمزم على فعلها ، فهو توبة مما تركه من الحسنات .

وكذلك لو كان يصبر على المكاره ، مثل الفقر والمرض وخوف العدو ، من غير رضى بذلك ، فبلغه مقام أهل الرضا ، وأنه أعلى من الصبر الذى لارضا معه ، وأن هؤلاء يستحقون رضوان الله عليهم ، وأن أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يمدون الله على السراء والضراء ، وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس : « إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل ، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما يبكره خيراً كثيراً »^(١) .

فهذا يتوب من ترك الرضا ، لا من نفس ما أمر به من الصبر ، فإن الصبر يبقى مع الرضا ، لا بد من الصبر في الحالين ، لكن تذهب مرارة الكراهة بالرضا ، وتلك المرارة ليست من الحسنات المأمور بها ، ولا هي داخلة أيضاً في حد الصبر المأمور به ، بل الصبر قد تكون معه مرارة ، وقد لا تكون .

ومن اعتقد أن الصبر لا يكون إلا مع مرارة ، وأنه ضد الرضا - فقد تكلم بعرف بعض المتأخرين ، وليس ذاك عرف الكتاب والسنة ، فإن الله تعالى أمرنا بالصبر وأثنى على أصحابه في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه .

(١) قال المراقى من هذا الحديث في تعليقه على الإحياء ١٢ / ٣٤ : « الترمذى من حديث ابن عباس » ولم أستطع معرفة مكان الحديث .

والله تعالى لا يأمر بما هو مكروه أو ترك الأفضل ، ولا يكون ذلك إلا بفعل الحسن ، لا بترك الأحسن .

وبهذا يعرف قول من قال : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » . مع أن هذا اللفظ ليس محفوظا عن قوله حجة ، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها . وإنما هو كلام^(١) وله معنى صحيح ، وقد يحمل على معنى فاسد .

أما معناه الصحيح فوجهان :

المعنى الصحيح
لمباراة حسنات
الأبرار سيئات
المقربين

أحدهما : أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات ، وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقربين . ومعنى كونه سيئة أن يخرج صاحبه عن مقام المقربين ، فيحرم درجاتهم ، وذلك مما يسوء من يريد أن يكون من المقربين . فكل من أحب شيئا وطلبه إذا فاته محبوبه ومطلوبه ساءه ذلك . فالتقربون يتوبون من الاقتصار على الواجبات ، لا يتوبون من نفس الحسنات التي يعمل مثلها الأبرار ، بل يتوبون من الاقتصار عليها . وفرق بين التوبة من فعل الحسن وبين التوبة من ترك الأحسن والاقتصار على الحسن .

الثاني : أن العبد قد يؤمر بفعل يكون حسنا منه ، إما واجبا ، وإما مستحبا ، لأن ذلك مبلغ / علمه وقدرته . ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك ، بل يؤمر بما هو أعلى منه ، فلو فعل هذا ما فعله الأول كان ذلك سيئة . مثال ذلك أن العامى يؤمر بمسألة العلماء المأمونين على الإسلام والرجوع إليهم بحسب قوة إدراكه ، وإن كان في ذلك تقليد لهم ، إذا لا يؤمر العبد إلا بما يقدر عليه . وأما العلماء القادرون على معرفة الكتاب والسنة والاستدلال

(١) بعد كلمة « كلام » يياض في الأصل موضع كلمة واحدة .

بهما فلو تركوا ذلك وأتوا بما يؤمر به العامى لكانوا مسيئين بذلك .

وهذا كما يؤمر المريض أن يصلى قائماً ، فإن لم يستطع فقاعداً ، فإن لم يستطع فعلى جنب . وكما يؤمر المسافر أن يصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين في السفر ، وهذا لو فعله المقيم لكان مسيئاً تاركاً للفرض ، بل فرضه أربع ركعات . فإن المرض والسفر لا ينقص العبد عن كونه مقرباً إذا كان ذلك حاله في الإقامة ، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم » (١) .

بخلاف العلم والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والمسابقة إلى الخيرات ، فإن الله يقول : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجادلة : ١١] ، ويقول : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة النساء : ٩٥] ، ويقول في كتابه : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة الحديد : ١٠] ، ويقول : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ *

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» [سورة التوبة : ١٩ - ٢٢] .

وكذلك في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم سِتْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » ^(١) وقال : « خير القرون القرن الذين بمثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ^(٢) .

فالعلم والجهاد كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يدخل في ذلك هو واجب على الكفاية من المؤمنين . فمن قام به كان أفضل ممن لم يقم به ، وإذا ترك ذلك مَنْ تَعَيَّنَ عليه كان مذنباً مسيئاً ، فيكون ذلك سيئة له إذا تركه ، وحسنة مفضلة له على غيره إذا فعله . وإن كان القيام بالواجبات بدون ذلك من حسنات من لم يكن قادراً على ذلك . فحسنات هؤلاء الأبرار - وهي الاقتصار على ذلك - سيئات أولئك المقربين .

(١) الحديث في : البخارى ٥ / ٨ (كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذاً خليلاً) ؛ مسلم ٧ / ١٨٨ (كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة) . وهو في : سنن أبي داود ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨ (كتاب السنة ، باب في التهنئة عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٣ / ١١ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٤ . والحديث مروي بمعناه عن أبي هريرة رضى الله عنه في : مسلم (نفس الموضع) ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٥٧ (المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وفي اللسان : المد ضرب من المكايل وهو ربع صاع ، وهو قدر مد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصاع خمسة أوطال . وقال النووي (شرح مسلم ١٦ / ٩٣) : « وقال أهل اللغة النصف : النصف . . . ومعناه لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحد أصحابي مداً ولا نصف مد » .

(٢) انظر : البخارى ٥ / ٢ - ٣ (كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) ؛ مسلم ٧ / ١٨٤ - ١٨٦ (كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) . وقد تكلمت عن هذا الحديث وعن رواته وطرقه ومواضعه في الصحاح بالتفصيل في « منهاج السنة » ٢ / ٢٤ (ت ١) .

وكذلك السابقون الأولون من هذه الأمة فيما فعلوه من الجهاد والهجرة لو تركوا ذلك واقتصروا على ما دونه كان ذلك من أعظم سيئاتهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ^(١) كان الاقتصار على مجرد ذلك من حسنات الأبرار الذين ليسوا من أولئك السابقين .

وكذلك المرسلون لهم مأمورات لو تركوها كان ذلك سيئات ، وإن كان فعل ما دونهما حسنات لغيرهم ممن لم يؤمر بذلك ، إلى نظائر ذلك مما يؤمر فيه العبد بفعله لم يؤمر به من هو دونه ، فيكون ترك ذلك سيئة في حقه ، وهو من المقرين إذا فعله ، ويكون فعل ما دون ذلك حسنات لمن دونه .

وذلك أن الإنسان يفضل على غيره إما بفعل مستحب في حقهما ، وإما بما يؤمر به أحدهما دون الآخر فيفعله ، وتخصيصه / بفعله قد يكون لقدرته وقد يكون لامتحانه بسببه ، كمن له والدان فإنه يؤمر ببرّهما ويكون بذلك أفضل ممن لم يعمل مثل عمله ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق المتصدقين بفضول أموالهم المشاركين لغيرهم في الأعمال البدنية : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » فهؤلاء الفضّلون الاقتصار على ما دون هذه الأمور سيئات في حقهم وحسنات لمن ليس مثلهم في ذلك .

ص ٧٨

(١) جاء هذا الحديث (مع اختلاف في اللفظ أحياناً) في : البخارى في عدة مواضع ، فهو في ثلاثة مواضع من كتاب الجهاد والسير (ج ٤) : ص ١٥ (باب فضل الجهاد والسير) ، ص ٢٣ (باب وجوب النفير) ، ص ٧٥ (باب لا هجرة بعد الفتح) . وهو أيضاً في : ٤ / ١٠٤ (كتاب الجزية ، باب لثم الغادر للبر والفاجر) ، ٥ / ٥٧ (كتاب مناب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة) ، ٥ / ١٥٢ (كتاب المغازي ، باب وقال اللث) . والحديث في مسلم ٦ / ٢٧ - ٢٨ (كتاب الإمارة ، باب المباينة بعد فتح مكة) ؛ المسند (ط . المعارف) ٣ / ٣٠٧ - ٣٠٨ (رقم ١٩٩١ - وانظر التعليقات) ، ٤ / ١٢٧ (رقم ٢٣٩٦) ، ٣٢١ (رقم ٢٨٩٨) - وانظر التعليقات وهو في سنن النسائي (بشرح السيوطي) ٧ / ١٤٦ (كتاب البيع ، باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة) .

فهذان الوجهان كلاهما معنى صحيح لقول القائل : « حسنات الأبرار سيئات
المقربين » .

المعنى الفاسد
للعبرة

وأما المعنى الفاسد فإن يظنَّ الظَّانُّ أنَّ الحسنات التي أمر الله بها
أمراً عاماً يدخل فيه الأبرار ويكون سيئاتٍ للمقربين ، مثل من يظن أن
الصلوات الخمس ومحبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين لله ونحو
ذلك هي سيئات في حق المقربين . فهذا قول فاسد غلا فيه قوم من الزنادقة
المنافقين المنتسبين إلى العلماء والعُباد ، فرغموا أنهم يصلون إلى مقام المقربين
الذي لا يؤمرون فيه بما يؤمر به عموم المؤمنين من الواجبات ، ولا يحرم عليهم
ما يحرم على عموم المؤمنين من الحرمات ، كالزنا والخمر والميسر .

وكذلك زعم قوم في أحوال القلوب التي يؤمر بها جميع المؤمنين أن المقربين
لا تكون هذه حسنات في حقهم .

وكلا هذين من أخبث الأقوال وأفسدها .

وإنما قلنا : إن التائب من الحسنات - إن علم أنها حسنات - وتاب منها
فقد أذنب إما بكفر أو فسوق أو معصية ، وإن لم يعلم أنها حسنات فهو ضالٌّ
جاهل ، لأنه إذا تاب بما يسمى حسنة ، وكان حسنة في الشريعة حقيقة قد أمر
الله بها ، فهو راجع عن طاعة الله التي هي طاعته وهي حسنة . والرجوع عن
طاعة الله ودينه لا يخرج عن أن يكون ردةً عن أصل الدين فيكون كفراً
مغلطاً ، وإما عن كماله . هذا لو كان الرجوع بنفس الترك ، فإن ترك الإيمان
ككفر ، وترك الواجبات إما فسق وإما معصية ، وترك المستحبات المتطوعة
يؤخر درجته . هذا إذا كان تركاً محضاً ، فأما إذا اعتقد مع ذلك أن الحسنات
التي يحبها الله ورسوله مما يُتاب منها بحيث يندم العبد عليها ، فيعتقد أن تركها
خيرٌ من فعلها ، أو أنها ليست مأموراً بها ، أو أنها لا تقرب إلى الله أو لا تنفع

عنده ، أو أبغضها وكرهها ، ورجع عنها وتألّم من فعلها مندبناً بذلك - فهذا كافر مرتدّ تجب استتابته بلا نزاع بين العلماء . وهذا هو معنى التوبة . فلم أن القول بأن الحسنات يتاب منها كفر محض .

وأما إن لم يعلم أنها حسنات ، بل تاب مما كان يسميه - أو غيره - حسنات ، أو كان حسنةً في الشريعة ولم يعلم العبد أنه حسنة بل ظن أنه سيئة ، أو كان سيئةً منهاً عنها ، واعتقد المرء أنه حسنة مأمور بها - فهو ضالّ جاهل ، وهذا عليه أن يتوب من هذا الاعتقاد والعمل الذي كان يعتقد أنه حسنة ، كما يتوب كل ضالّ من الكفار وأهل الأهواء المشركين وأهل الكتاب ، والمبتدعة كالخوارج والروافض والقدرية والجهمية وغيرهم . فإن هؤلاء يتوبون مما كانوا يظنونهم حسنات ، لا يتوبون مما هو في الشريعة حسنات ، ولا يطلقون القول إنا نتوب من الحسنات ، ولا أن التوبة من الحسنات فعل المقربين ، ولا أن التوبة من الحسنات مشروع للسابقين ، ولا أن الذي تبنا منه كان حسنات . ولكن يقولون : نتوب مما كنا نظن أنه حسنات وليس بحسنات ؛ كما قيل :

إِذَا تَحَاسِبْنِي أَلَّا قِيَّ أَدِلُّ بِهَا
كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ اعْتَذِرُ^(١)

وكذلك يتوب المرء مما يمدّه حسنات له وهو مقصر في فعله ، أو خائف من قصيره في فعله ، كما قال تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ

(١) البيت للبحرئ من قصيدة يمدح بها علي بن مر الأرمي أولها :

في الشيب زجر له لو كان ينزجر وبالغ منه لولا أنه حجر

(الديوان ٤٣/٢)

وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿ [سورة المؤمنون : ٦٠] . وقد روى عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله : أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف ؟ فقال : « لا يا بنت الصديق . ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يُقبلَ منه » ^(١) .

وهذا لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٧] ، أى من الذين يتقونه في العمل .

والتقوى في العمل بشيئين : أحدهما إخلاصه لله ، وهو أن يريد به وجه الله لا يشرك بعبادة ربه أحداً . والثاني : أن يكون مما أمره الله به وأحبه ، فيكون موافقاً للشرعية ، لامن الدين الذي شرعه من لم يأذن الله له ، وهذا كما قال الفضيل بن عياض في قوله : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (سورة هود : ٧) قال : أخلصه وأصوبه . وذلك أن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون صادقاً في إخلاصه الدين لله ، أو أن لا تكون موافقه لما أمر الله به على لسان رسوله . ولهذا كان السلف يخافون النفاق على أنفسهم ، فذكر البخارى عن أبي العالية قال : « أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه » ^(٢) . ولهذا كانوا يستنثون فيقول أحدهم : أنا مؤمن إن شاء الله ، ومثل هؤلاء يستغفرون الله مما علموه أو لم يعلموه من التقصير والتمددى ويتوبون من ذلك .

(١) الحديث في سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٠٤ ؛ الدر المنثور ٥ / ١١ .

(٢) في صحيح البخارى ١ / ١٤ (كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر) : « وقال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل » .
(١٧ جامع الرسائل - ١)

وهذا مشروع للأنبياء والمؤمنين . كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر بعد الصلاة ثلاثاً^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧] . قالوا : كانوا يُحْيُونَ الليلَ صلاةً ، ثم يقعدون في السَّحَرِ يستغفرون ، فيختمون قيام الليل بالاستغفار . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَذَا كُنْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

فإن قيل : قد قال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور : ٣١] ، وفي المؤمنين من لا ذنب له ، فيكون أمره بالتوبة أمراً بالتوبة من الحسنات ، وكذلك توبة الأنبياء وهم معصومون ؟ قيل : هذا من أعظم الفرية ، لم تأت الشريعة بالتوبة من الحسنات ، وهي ما أمر به من طاعته واطاعة أنبيائه . وليس في المؤمنين إلا من له ذنبٌ من ترك مأمورٍ أو قتلٍ محظورٍ ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »^(٢) .

لم تأت الشريعة
بالتوبة من
الحسنات

وقد قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ

(١) في صحيح مسلم ٩٤/٢ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته) : ... عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً ، وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام » - قال الوليد : فقلت للأوزاعي : كيف الاستغفار ؟ قال : تقول : استغفر الله استغفر الله

(٢) انظر ما سبق ، ص ٢٢٥ ت .

الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة الزمر : ٣٣ - ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٦] .

وأصل هذه المقالة ، وهو دعوى العصمة في المؤمنين وما يشبه ذلك ، هو أصل هذه المقالة هو دعوى العصمة من أفعال الغالية من النصارى وغالية هذه الأمة ، وابتدعها في اللئين منافقوها . في المؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [سورة النساء : ١٧١] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُبْذِرَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا التَّلَاقِظَ وَالنِّدْبِيْنَ أَرْبَابًا أَيْأَمْرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ بْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتْلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

غلوا النصارى في هذه الدعوى

أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [سورة التوبة :
٣٠ ، ٣١] .

وقد روى في حديث عدى بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
قلت يا رسول الله : ما عبدوهم . قال : « أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرّموا
عليهم الحلال فأطاعوهم ، فتلك عبادتهم إياهم » ^(١) .

وهذا الغلو الذي في النصارى حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله
واتخذوا أحياءهم ورهبانهم أرباباً من دون الله - قد ذكروا أن أول من ابتدعه
لهم بولص الذي كان يهودياً فأسلم واتبع المسيح نفاقاً ليلبس على النصارى دينهم ،
فأحدث لهم مقالات غالية ، وكثرت البدع في النصارى : في اعتقاداتهم
وعباداتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد : ٢٧] .

وكذلك أول ما ابتدعت مقالة الغالية في الإسلام من جهة بعض من كان
قد دخل في الإسلام وانتحل التشيع . وقيل : أول من أظهر ذلك عبد الله بن سبأ
الذي كان يهودياً فأسلم ، وكان ممن أقام الفتنة على عثمان ، ثم أظهر موالاته
على . وهو من ابتدع الغلو في علي ^(٢) ، حتى ظهر في زمانه من ادعى فيه الإلهية

غلو الشيعة في
دعوى المصصة

(١) الحديث في سنن الترمذى ١١ / ٢٣٨ - ٢٣٩ (كتاب التفسير ، سورة التوبة)
ولفظه : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنق صليب من ذهب ، فقال : يا عدى اطرَحْ
عَنكَ هَذَا الْوَتْنَ . وسمعت يقرأ في سورة براءة : (اتخذوا أحياءهم ورهبانهم أرباباً من دون
الله) قال : أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا
حرّموا عليهم شيئاً حرّموه » .

(٢) انظر ما ذكرته عن عبد الله بن سبأ والسبئية في « منهاج السنة » ١٤/١ - ١٥
(ت ٦) ، ٢٢٠ (ت ١) . وانظر : فرق الشيعة للنوبختي (ط . النجف ، ١٣٧٩ / =

وسجدوا له لما خرج من باب مسجد كندة ، فأمر على رضي الله عنه بتحريقهم بالنار بعد أن أجّلهم ثلاثه أيام^(١) . وفي الصحيح أن ابن عباس بلغه أن علياً حرق زنادقة فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعَذَّبَ بمذاب الله ، ولضربت رقابهم بالسيف ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه »^(٢) . قالوا : وهم هؤلاء ، وقد رووا قصتهم مستوفاة . ورووا أنه أظهر أيضاً سب أبي بكر وعمر حتى طلب على أن يقتله فهرب منه^(٣) . ولما بلغ علياً أن أفواماً يفضلونه على أبي بكر وعمر قال : « لأوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلده حدّ المفترى » تحقيقاً لما رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ؟ فقال : أبو بكر . قال : ثم من ؟ قال : ثم عمر . وقد روى ذلك عن علي من نحو ثمانين طريقاً ، وهو متواتر عنه^(٤) . وروى هذا المعنى عنه من

(١٩٥٩) ، ص ٤٣ - ٤٤ ؛ مقالات الإسلاميين ١ / ٨٥ - ٨٦ ؛ التبصير في الدين ، ص ٧١ - ٧٢ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ؛ الملل والنحل ١ / ١٥٥ - ١٥٦ ؛ الخطط للمقريزي ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧ ؛ الفصل لابن حزم ٤ / ١٨٦ ؛ البدء والتاريخ ٥ / ١٢٥ ، ١٢٦ ؛ الحور العين للحميري ، ص ١٥٤ ؛ لسان الميزان ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ رجال الطوسي (ط . النجف ١٣٨١ / ١٩٦١) ص ٥١ ؛ الأعلام ٤ / ٢٢٠ ؛ مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ ، ط . ثانية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨١ .

(١) انظر خبر هذه الواقعة في أكثر المراجع المذكورة في التعليق السابق ، وانظر منهاج السنة ١ / ٢١٩ .

(٢) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه في : البخاري ٩ / ١٥ (كتاب استنابة المرتدين ، باب حكم المرتد والمرتدة) ؛ سنن أبي داود ٤ / ١٨٠ (كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد) ؛ سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٣ (كتاب الحدود ، باب ماجاء في المرتد) ؛ سنن النسائي (بشرح السيوطي) ٧ / ١٠٤ (كتاب تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد) ؛ سنن ابن ماجه ٢ / ٨٤٨ (كتاب الحدود ، باب المرتد عن دينه) ؛ المسند (ط . المعارف) الأرقام : ١٨٧١ ، ١٩٠١ ، ٢٥٥١ ، ٢٥٥٢ .

(٣) المقصود هنا عبد الله بن سبأ وفرقه ، وانظر لسان الميزان ٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) تكلمت عن هذا الخبر موقوفاً ومرفوعاً في منهاج السنة ١ / ٧ ، ٢٢٠ ، ٢ / ٢ =

وجوه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رواه الترمذى ^(١) ، ورواه الدارقطنى فى كتاب «ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة» ^(٢) .

وحينئذ ابتدَعَ القول بأن عليًّا إمام منصوح على إمامته ، وابتدع أيضا القول بأنه معصوم أعظم مما يعتقده المؤمنون فى عصمة الأنبياء ، بل ابتدع القول بنبوته ، وحدث بإزاء هؤلاء من اعتقد كفره وردّته واستحلّ قتله على ذلك من الخوارج ، ومن اعتقد فسقه أو ظلمه من الأموية وبعض أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم ^(٣) ، ومن لم يعتقد إمامته ولا إمامة غيره فى زمانه ، أو جعل إمامته وإمامة غيره سواء مع اعتقاده فضله وسابقته ^(٤) . فهؤلاء الثلاثة حدثت بإزاء تلك الثلاثة : فالغالية والرافضة والمفضّلة ، بإزاء المكفّرة والمفسّقة والمتوقّفة عن اختصاصه بالإمامة إذ ذاك .

- = ٥١ وذكرت فى الموضوع الأخير مكانه فى صحيح البخارى وفى سنن أبى داود وسنن ابن ماجه وبينت أنه ورد فى مسند أحمد (ط . المعارف) ٢٤ مرة وذكر أرقامه فيه .
- (١) فى سنن الترمذى (بشرح ابن العربى) ١٣ / ١٣٢ (كتاب المناقب ، باب مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كليهما) : « عن على عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما ياعلى » . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير ١٠ / ٢ (ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٨ / ١٣٥٩) حديثا آخر رواه ابن عساكر عن على والزيير معا عن النبي صلى الله عليه وسلم ونصه : « خير أمتى بعدى أبو بكر وعمر » وحسن السيوطى الحديث . وانظر سنن ابن ماجه ١ / ٣٨ - ٣٩ (المقدمة ، باب فى فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
- (٢) الدارقطنى هو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى ، البغدady ، الحافظ الشهير صاحب السنن ، ولد بدار القطن (من أحياء بغداد) سنة ٣٠٦ وتوفى سنة ٣٨٥ . انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩١ - ٩٩٥ ؛ وفيات الأعيان ٢ / ٤٥٩ - ٤٦٠ ؛ تاريخ بغداد ١٢ / ٣٤ - ٤٠ ؛ طبقات الشافعية ٢ / ٣١٠ - ٣١٢ ؛ المنتظم لابن الجوزى ٧ / ١٨٣ - ١٨٤ ؛ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣ / ٢١٠ - ٢١١ (وذكر من كتبه المخطوطة فى الظاهرية : فضائل الصحابة) ؛ الأعلام ٥ / ١٣٠ .
- (٣) انظر ما ذكره ابن طاهر فى أصول الدين ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ فى إمامة على رضى الله عنه ، ص ٢٨٩ - ٢٩٢ ؛ مقالات الإسلاميين ٢ / ١٢٦ - ١٣٠ .
- (٤) انظر مقالات الإسلاميين ٢ / ١٢٢ - ١٣٤ ؛ أصول الدين ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ -

ثم القائلون بأنه إمام منصوص عليه معصوم تفرقوا في الإمامة بعده تفرقا كثيرا مشهورا في كتب المقالات ، منهم الاثنا عشرية الذين يقولون بأن الإمامة انتقلت بالنص من واحد إلى واحد إلى المنتظر محمد بن الحسن ، الذي يزعمون أنه دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين وهو / طفل له سنتان أو ثلاث ، وأكثر ما قيل خمس . ويزعمون مع ذلك أنه إمام معصوم ، يعلم كل شيء من أمر الدين ، ويجب الإيمان به على كل أحد ، ولا يصح إيمان أحد إلا بالإيمان به . ومع هذا فله اليوم أكثر من أربعمئة وأربعين سنة لم يعرف له عين ولا أثر ، ولا سمع له أحد بما يعتمد عليه من الخبر .

ط ٧٩

وأهل المعرفة بالنسب يقولون : إن الحسن بن علي العسكري والده لم يكن له نسل ولا عقب ، واتفق العقلاء على أنه لم يدخل السرداب أحد ، وأجمع أهل العلم بالشريعة على ما دل عليه الكتاب والسنة أن هذا لو كان موجودا لكان من أطفال المسلمين الذين يحب الحجر عليهم في أنفسهم وأموالهم حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد ، كما قال تعالى : ﴿ وَابْتَئُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ [سورة النساء : ٦] .

وقد بسطنا القول في بيان فساد هذا في ذكر ما خاطبنا به الشيعة قبل هذا ، ثم في كتابنا الكبير المسمى بمنهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية^(١) .

ومن الرافضة من يزعم أن الإمام بعد علي أو بعد الحسين هو ابن علي محمد

(١) انظر مثلاً في خبر محمد بن الحسن المهدي المنتظر عند الشيعة منهاج السنة (ط . دار المروبة) ١ / ٢٨ - ٢٩ (وانظر التعليقات) ، ٥٧ - ٦٠ ، (ط . بولاق) ٢ / ١٣١ - ١٣٤ .

ابن الحنفية^(١) وهم الكيسانية^(٢) ، ومنهم طوائف كثيرة ليس هذا موضعها ، إذ ليس في نحل الأمة أكثر تفرقاً واختلافاً منهم ، فإن أول من ابتدع مقالاتهم كان منافقاً زنديقاً ، لم يك مؤمناً ، ثم انتشرت في أقوام لم يعرفوا أخبار [المسلمين الأوائل]^(٣) ولم يقصدوا الزندقة .

والقصود هنا أن هؤلاء هم أول من أظهر القول بأن في المؤمنين من لا ذنب له كما قال هذا السائل ، وادَّعوا عصمة الأئمة الاثني عشر حتى عن الخطأ في الاجتهاد ، وعن نسيان العلم ، وعن عدم معرفة شيء من العلم ، فقالوا إنهم يعلمون كل شيء ، وادَّعوا عصمتهم من صغير الذنوب وكبيرها وغير ذلك ، وادَّعوا ذلك في الأنبياء أيضاً لأنهم أفضل من الأئمة .

غلو الصوفية ولم يقل هذا في الأمة غيرهم على هذا الوجه . لكن ظهر في صنفين من الأمة بعض بدعتهم : طائفة من التَّسَاكِ والعِبَاد يزعمون في بعض المشايخ أو فيمن يقولون إنه ولي الله أنه لا يذنب ، وربما عَيَّنوا بعض المشايخ وزعموا أنه لم يكن لأحدهم ذنب . وربما قال بعضهم : النبي معصوم ، والولي محفوظ .

ومن غالبية هؤلاء من يعتقد في بعض المشايخ من الإلهية والنبوة ما اعتقدته

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ويعرف بابن الحنفية نسبة إلى أمه وقد توفي سنة ٨١ على الأرجح . انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد ٥ / ٩١ - ١١٦ ؛ الجرح والتعديل ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٦ ؛ تهذيب الأسماء واللغات ، ق ١ ، ص ٨٨ - ٨٩ ؛ وفيات الأعيان ٣ / ٣١٠ - ٣١٣ ؛ شذرات الذهب ١ / ٨٨ - ٩٠ .

(٢) قال الأشعري (الفتاوى ١ / ٨٩ - ٩٠) عن الكيسانية : «وهي إحدى عشرة فرقة ، وإنما سماها كيسانية لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان . ويقال إنه مولى لعل بن أبي طالب رضوان الله عليه . وانظر عن الكيسانية وفرقها : الفتاوى ١ / ٨٩ - ٩٠ ؛ الملل والنحل ١ / ١٣١ - ١٣٧ ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٦ - ٣٤ ؛ التبصير في الدين ، ص ١٨ - ٢٠ ؛ المحور العين ، ص ١٥٧ - ١٥٩ ؛ الحطط للمقرئ ٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) في الأصل بعد كلمة «أخبار» بياض ، ولعل ما زدته يوفى بالمعنى المقصود .

الغالية في عليّ ، ويزعم أن الشيخ يخلق ويرزق ويدخل من بشاء الجنة ومن بشاء النار ، ويعبده ويدعوه كما يعبد الله ، ويقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان فإني لا أريده ، ويدبح الذبائح باسمه ، ويصلي ويسجد إلى جهة قبره ، ويستغيث به في الحاجات كما يُستغاث بالله تعالى .

فأما ضلال هذه الغالية فشرك واضح قد بيناه في غير هذا الموضع ، فإنه لا تجوز عبادة أحد دون الله ، ولا التوكل عليه والاستعانة به ، ودعاؤه ومسالته كما يدعى الله ويسأل الله .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٥٦ ، ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سورة سبأ : ٢٢ ، ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ * قُلِ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الزمر : ٤٣ ، ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٣] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة : ٧٢] .

لا عصمة لأحد
بعد الرسول

والمقصود هنا ذكر العصمة ، فقد أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا ، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب ، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه ، وليس هذا واجباً لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنبٌ يغفره الله ، وقد خفي عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه . ولهذا انفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذهب بعض الناس إلى أن قول أبي بكر وحده حجة وإن خالفه عمر ، ثم قول عمر حجة وإن خالفه عثمان وعلى . وأما أئمة الإسلام فلا يقولون بهذا ، بل تنازعوا فيما إذا اتفق أبو بكر وعمر على قول ، هل يكون حجة ؟ على قولين هما روايتان عن أحمد . والأظهر في الموضعين أن ذلك حجة^(١) لقوله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر »^(٢) ، وقوله : « إن يطع

(١) قال ابن بدران في « المدخل إلى مذهب الإمام أحمد » (ط . المنيرة) ص ١٣٢ : « . . . وإذا لم يكن اتفاق الأربعة إجماعاً فقول اثنين منهم أولى بأن لا يكون إجماعاً . ونقل عن الإمام أحمد أن اتفاق الخلفاء الأربعة حجة وكذا اتفاق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين . . . وحديث : اقتدوا بالذين من بعدي . . . ولو لم تهم الحجة بقولهم لا أمرنا باتباعهم ؟ وهذا القول هو الحق » . وانظر : أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (ط . المنيرة) ٢ / ١٧٦ ، ٤ / ١٠٢ - ١٢٩ ؛ ابن حنبل لمحمد أبي زهرة (القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٧) ص ٢٤٤ - ٢٥٨ .

(٢) أورد النبهاني في « الفتح الكبير » ١ / ٢١٥ عدة أحاديث تتضمن هذه العبارة عن حذيفة وأبي الدرداء وابن مسعود رضي الله عنهم وقال إن هذه الأحاديث جاءت في سنن الترمذي وابن ماجه وفي مسند أحمد وأبي يعلى والطبراني . وانظر : سنن الترمذي ١٣ / ١٢٩ - ١٣٠ (كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما) ؛ سنن ابن ماجه ١ / ٣٧ (المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؛ المستدرک ٧٠ / ٣ - ٧٦ .

القومُ أبا بكرٍ [وعمر] يرشُدوا»^(١)، وقوله: «لو اتفقنا على شيء لم أخالفكما»^(٢) ولقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، تمسكوا بها وعَصُوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»^(٣)، وقد قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً»^(٤). وقد كانت خلافة على تمام الثلاثين مع الأشهر التي تولها الحسن رضى الله عنه.

واتفقوا على أنه ليس من شرط ولى الله أن لا يكون له ذنب أصلاً، بل أولياء الله تعالى هم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس ٦٢، ٦٣].

(١) وعمر: ليست في الاصل. وهذه العبارة جزء من حديث طويل عرف بمحدث الميضة رواه مسلم في صحيحة ١٣٨/٢ - ١٤٠ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب قضاء الصلاة الفائتة) عن أبي قتادة رضى الله عنه وأوله: «عن أبي قتادة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تسرون عشيتكم وليتكم وتأتون الماء إن شاء الله غدا. الحديث» وفيه: «ثم قال: أصبح الناس فقدوا نبيهم، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم، لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم. فان يطعموا أبا بكر وعمر يرشدوا». والعبارة الأخيرة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وانظر شرح النووي ١٨٨ / ٥.

(٢) قال ابن القيم (إعلام الموقعين ٤ / ١٢٢): «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر في شأن تأمير القعقاع بن حكيم والأقرع بن حابس: «لو اتفقنا على شيء لم أخالفكما». ورجعت إلى حديث الاختلاف بين عمر وأبي بكر رضى الله عنهما وهو الذي نزلت فيه الآية الأولى من سورة الحجرات في عدة مواضع من البخارى وفي سنن الترمذى والنسائى ولسكنى لم أجده هذه العبارة فيه.

(٣) الحديث عن العرابض بن سارية رضى الله عنه في: سنن أبي داود ٤ / ٢٨٠ - ٢٨١ (كتاب السنة، باب في لزوم السنة)؛ سنن الترمذى ١٠ / ١٤٣ - ١٤٦ (كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة)؛ سنن ابن ماجه ١ / ١٥ - ١٦ (المقدمة، باب في اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين).

(٤) الحديث بمعناه عن سفينة رضى الله عنه في: سنن أبي داود ٤ / ٢٩٣ (كتاب السنة، باب في الخلفاء)؛ سنن الترمذى ٩ / ٧٠ - ٧٢ (كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة)؛ المستدرک للحاكم ٣ / ٧١.

ولا يخرجون عن التقوى بإنيان ذنب صغير لم يصروا عليه ، ولا بإتيان
ذنب كبير أو صغير إذا تابوا منه .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ
عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
[سورة الزمر : ٣٣ - ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٣١]

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ
بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [سورة النجم : ٣١ ، ٣٢]

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ رءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا
ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ
لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

والفريق الثانى قوم من أهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعهم ، زعموا أن

الأنبياء عليهم السلام معصومون مما يتاب منه ، وأن أحداً منهم لم يتب عن ذنب ،
وحرفوا نصوص الكتاب والسنة ، كعادة أهل الأهواء في تحريف الكلم
عن مواضعه ، والإلحاد في أسماء الله وآياته .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه ،
وما ثبت عن رسوله ، من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا
منها ، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم ، فإن الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين . وعصمتهم هي من أن يُقرؤوا على الذنوب والخطأ ، فإن من سوى
الأنبياء يجوز عليهم الذنب الخطأ من غير توبة ، والأنبياء عليهم السلام يستدرّكهم
الله فيتوب عليهم ويبين لهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُصْحِكُمْ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً
لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾
[سورة الحج : ٥٢ ، ٥٣] .

وقد ذكر الله تعالى قصة آدم ونوح وداود وسليمان وموسى وغيرهم ،
كما تلونا بعض ذلك فيما ذكرناه من توبة الأنبياء واستغفارهم ، كقوله :
﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ٣٧] .

وقول نوح : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَالْأَعْيُنُ لِي وَتَرْتَحِنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] .

وقول إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤١]

مذهب السلف
وأهل السنة
هو القول بتوبة
الأنبياء

ظ ٨٠

وقوله : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾
[سورة الشعراء : ٨٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ فاعلم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة محمد : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ
عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ
مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ظَنَّ
دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ
وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ الآية
[سورة م : ١٧ - ٣٥] .

ولما كان اليهود ضد النصارى حيث قتلوا الأنبياء وكذبوهم جحدوا نبوة
داود ، وهم لنبوة سليمان أجحد ، وزعموا أنهما كانا حكيمين ، وأن داود كان
مسيحاً . وقد نزه الله سليمان مما تلتته الشياطين على ملكه مما اتبعه السحرة من
الصابئة والمشركين ومن اتبعهم من أهل الكتاب والمنقسين إلى هذه الملة .
والسامرة أعظم جحوداً ، لا يقرون إلا بنبوه موسى خاصة ، وبوشع بعده .

اليهود فرطوا
في حق الأنبياء

والله سبحانه قد هدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى الإسلام هو الصراط المستقيم
 من يشاء إلى صراط مستقيم ، كما اختلفت الأمتان في المسح ، فقال تعالى :
 ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ * مَا كَانَ لِلَّهِ
 أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿
 [سورة مريم : ٣٤ ، ٣٥] .

وكذلك المنحرفون من هذه الأمة قد اختلفوا في علي وغيره كما تقدم ، فتجد
 أحدهم يغلو في الرجل العالم والعابد ، حتى يعتقد عصمته ، أو يجعله كالأنبياء
 أو فوقهم ، أو يجعل لهم حظا في الإلهية . وتجد الآخر يقدح في ذلك ، وربما
 كفره أو فتنه أو أخرجه عن أن يكون من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون .
 فالأول يحمل ما صدر منه من اجتهاد وعمل صوابا وإن كان خطأ وذنبا ،
 والآخر يحمل صدور الذنب والخطأ منه مانعا من ولايته ووجوب موالاته .

وكلا القولين خطأ موروث عن أهل الكتابين . كما قال صلى الله عليه
 وسلم في الحديث المتفق عليه : « لتركبن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة
 حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا : اليهود والنصارى وقال : فن ؟! »^(١)

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، ولكن روى البخارى ٩ / ١٠٣ (كتاب الاعتصام
 بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من كان قبلكم) ؛ وسلم
 ٥٧ / ٨ - ٥٨ (كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى) عن أبي سعيد الخدري رضى
 الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا
 بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموه . قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟
 قال : فن » . وجاء الحديث بمعناه عن أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة رضوان
 الله عليهم في المسند (ط . الحلبي) . وانظر مثلا : ٢ / ٣٢٧ ، ٣٦٧ ، ٤٥٠ ، ٥١١ ،
 ٥٢٧ ، ٣ / ٨٤ ، ٩٤ . وهو في سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٢٢ (كتاب الفتن ، باب
 افتراق الأمم) ؛ سنن الترمذى ٩ / ٢٦ - ٢٨ (كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن
 من كان قبلكم) .

وقد ثبت في صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن أنها أفضل سورة في القرآن وأنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها ، وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] (١) .

وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى يقول : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين ، فنصفها لى ونصفها لعبدى ، ولعبدى / ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدنى عبدى . فإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى على عبدى . فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال : مجّدتنى عبدى . فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، قال : فهو لاء لعبدى ، ولعبدى ما سأل » (٢) .

س ٨١

وهذه البدع هى وغيرها من البدع لا بد أن تنافى كمال الإيمان ، وتقبح في بعض حقائقه ، فإن رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده

== وقال ابن الأثير (النهاية في غريب الحديث مادة : قذذ) : « القذذ ريش السهم واحدها قذذ ، ومنه الحديث : لتركبن . . . أى كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع » .

(١) انظر البخارى ٦ / ٨١ (كتاب التفسير ، سورة الحجر) ، ٦ / ١٨٧ (كتاب فضائل القرآن ، باب فاتحة الكتاب) ؛ الترغيب والترهيب ٣ / ٢٥ - ٢٨ .

(٢) جاء هذا الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة رضى الله عنه في صحيح مسلم ١٠ / ٩٠-٩١ (كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة . الخ) وأوله : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ومن صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج - ثلاثا - غير تمام » فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال : اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : قسمت الصلاة . . . الحديث » . ورواه بمعناه الترمذى في سنة ١١ / ٦٩ - ٧١ (كتاب التفسير ، سورة الفاتحة) .

ورسوله . فلا بد من إخلاص الدين لله ، حتى لا يكون في القلب تآله لغير الله ، فمتى كان في القلب تآله لغير الله فذاك شرك يقدح في تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله . ولا بد من الشهادة بأن محمداً رسول الله ، وذلك يتضمن تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته فيما أمر به ، ومن ذلك الإيمان بأنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبي بعده ، فمتى جعل لغيره نصيباً من خصائص الرسالة والنبوة كان في ذلك نصيب من الإيمان بنبي بعده ورسول بعده ، كالمؤمنين بنبوة مسيلمة والعنسي وغيرهما من المتنبئين الكذابين ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالين كذا بين كلهم يزعم أنه رسول الله » ^(١) .

عصمة الأئمة
تعني مضاهاتهم
لرسول

فمن أوجب طاعة أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر به ، وأوجب تصديقه في كل ما ينهى به ، وأثبت عصمته أو حفظه في كل ما يأمر به وينهى من الدين - فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله والمضاهاة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك ، سواء جعل ذلك المضاهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة أو بعض القرابة أو بعض الأئمة والمشايخ أو الأمراء من الملوك وغيرهم .

وقد قال الله في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء : ٥٩] .

فغاية الطاع ياذن الله أن يكون من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم من العلماء والأمراء ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك وكل متبوع ؛ فإن الله تعالى أمر بطاعتهم مع طاعة رسوله ، كما قال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، فلم يقل : وأطيعوا أولى الأمر ، ليبين أن طاعتهم فيما

(١) انظر ما سبق ، ص ١٩٢ ت ١ .

كان طاعة للرسول أيضاً ، إذ اندراج طاعة الرسول في طاعة الله أمر معلوم ؛ فلم يكن تكرير لفظ الطاعة فيه مؤذناً بالفرق ، بخلاف ما لو قيل : أطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الأمر منكم ، فإنه قد يوم طاعة كل منهما على حياله .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : « إنما الطاعة في المعروف » ^(١) ، وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ^(٢) ، وقال : « على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ^(٣) .

ولهذا قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ فلم يأمر عند التنازع إلا بالرد إلى الله والرسول دون الرد

(١) هذه العبارة جزء من حديث متفق عليه عن علي رضي الله عنه . انظر : البخاري ٦٣ / ٩ (كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية) ؛ مسلم ١٥ / ٦ (كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) . ولفظ الحديث : « عن علي رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى . قال : عزمت عليكم لما جئتم حطباءً وأوقدم ناراً ثم دخلتم فيها . فجمعوا حطباءً فأوقدوا ناراً ، فلما هموا بالدخول ، فقام ينظر بعضهم إلى بعض . قال بعضهم : إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه . فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ماخرجوا منها أبداً ، إنما الطاعة في المعروف » .

(٢) أورده التبريزي في مشكاة المصابيح ٣٢٣ / ٢ عن النواس بن سميان . وقال : « رواه في شرح السنة » وذكر الشيخ ناصر الدين الألباني في تعليقه أنه حديث صحيح وجاء في المسند في (ط . الحلبي) ٦٦ / ٥ بلفظ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الله تبارك وتعالى » . وجاء بمعناه المسند (ط . الحلبي) ٤ / ٤٣٢ ، ٥ / ٦٦ - ٦٧ ؛ المستدرک للحاكم ٣ / ٤٤٣ . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

(٣) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في : البخاري ٦٣ / ٩ (نفس الكتاب والباب) . وهو بمعناه مع اختلاف في اللفظ في : البخاري ٤ / ٤٩ - ٥٠ ؛ سنن الترمذي ٢٠٢ / ٧ (كتاب الجهاد ، باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) .

إلى أولى الأمر، ولهذا كان أولو الأمر إذا اجتمعوا لا يجمعون على ضلالة، فإذا تنازعوا فالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله لا إلى غير ذلك من عالم أو أمير ومن يدخل في ذلك من المشايخ والملوك وغيرهم، ولو كان غير الرسول معصوما أو محفوظا فيما يأمر به ويحبر به لكان ممن ^(١) يرد إليه مواقع النزاع، كما يرد القائلون بإمام معصوم إليه، وكما جرت عادة كثير من الأتباع أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى الإمام والقادة الذي يقلدونه.

ومعلوم أن علماء الطوائف ومقتصديهم لا يرون هذا الرد واجبا على الإطلاق، لكن قد يفعلون ذلك لأنه لا طريق لهم إلى معرفة الحق واتباعه إلا ذلك لعجزهم عما سوى ذلك، فيكونون معذورين. وقد يفعلون ذلك اتباعا لهوهم في محبتهم لذلك الشخص وبغضهم لنظرائه ^(٢) فيكونون غير معذورين، ولكن من اعتقد من هؤلاء في متبوعه أنه معصوم، أو أنه محفوظ عن الذنوب والخطأ في الاجتهاد، فذلك مردود عليه بلا نزاع بين أهل العلم والإيمان.

القلوب البشرية
يؤدي إلى الشرك

ولهذا إنما يقول ذلك غلاة الطوائف الذين يغلب عليهم اتباع الظن وما تهوى الأنفس، وقد غلب على أحدهم جهله وظلمه. وكما أن القلوب في غير الرسول صلى الله عليه وسلم فيه قدح في منصب الرسول وما خصه الله به، وهو أحد أصول الإسلام، فكذلك القلوب في غير الله فيه قدح فيما يجب لله من الألوهية وفيما يستحقه من صفاته. فن غلا في البشر أو غيرهم فجعلهم شركاء في الألوهية أو الربوبية فقد عدل بربه وأشرك به وجعل له ندا، ومن زعم أن الله ذم أحدا من البشر أو عاقبه على ما فعله، ولم يكن ذلك ذنبا، فقد قدح فيما أخبر الله به وما وجب له من حكمته وعدله. فالجاهل يريد تنزيه الصحابة

(١) في الأصل: من.

(٢) في الأصل: وبغضهم له على نظرائه.

أو العلماء أو المشايخ من شيء لا يضرهم ولا يضرهم ثبوته فيقدح في الرسول أو في الله تعالى ، ويريد تنزيه الأنبياء عما لا يضرهم ثبوته ، بل هو رفع درجة لهم ، فيقدح في الربوبية . فتدبر هذا فإنه نافع .

بطلان القول
بعضة الأنبياء من
التوبة من الذنوب

والقائلون بعضة الأنبياء من التوبة من الذنوب ليس لهم حجة من كتاب الله وسنة رسوله ، ولا لهم إمام من سلف الأمة وأئمتها ، وإنما مبدأ قولهم من أهل الأهواء كالروافض والمعتزلة ، وحجتهم آراء ضعيفة من جنس قول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم الذين قال الله فيهم : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة الحج : ٥٣] .

وعدة من وافقهم من الفقهاء أن الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله مشروع ، ولولا ذلك ما جاز الاقتداء به . وهذا ضعيف ، فإنه قد تقدم أنهم لا يُقرُّون ، بل لا بد من التوبة والبيان . والاقتداء إنما يكون بما استقر عليه الأمر ، فأما المنسوخ والمنهى عنه والمتوب منه فلا قدوة فيه بالاتفاق . فإذا كانت الأقوال المنسوخة لا قدوة فيها ، فالأفعال التي لم يقر عليها أولى بذلك .

تفصيل مذهب
هل السنة في ذلك

وأما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة والجماعة القائلين بما دل عليه الكتاب والسنة من توبة الأنبياء من الذنوب ، فقد ذكرنا من آيات القرآن ما فيه دلالات على ذلك .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدتي وهزلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،

وأما أنت أعلم به مني . أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير» (١) .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في استفتاح الصلاة : « اللهم أنت الملك لا شريك لك ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت » قال : ثم يكون من آخر ما يقول (٢) بين التشهد والنسلم : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » (٣) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، إسكاتك بين التكبير والقراءة ماتقول ؟ قال : « أقول : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من الخطايا كما

(١) الحديث في : البخاري ٨ / ٨٤ - ٨٥ (كتاب الدعوات ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت) ؛ مسلم ٨ / ٨١ (كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل) .

(٢) في الأصل : يكون ، والتصويب من صحيح مسلم .

(٣) هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ٢ / ١٨٥ - ١٨٦ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه) وأوله : .. عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات ... اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ... الحديث » . وهو في المسند (ط . المعارف) ٢ / ١٠٠ - ١٠١ (رقم ٧٢٩) ومع اختلاف في القبط ٢ / ١٣٤ - ١٣٥ (الأرقام : ٨٠٣ - ٨٠٥) .

يُنْتَقَى التَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ . اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالتَّلَجِ وَالْبَرْدِ^(١) .
وفي الصحيحين عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثُرُ أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك اللهم
اغفر لي » يتأول القرآن^(٢) .

وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ،
وعلايته وسره ، وقليله وكثيره »^(٣) .

وقد تقدم قوله في الحديث الصحيح : « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في
اليوم أكثر من سبعين مرة »^(٤) ، وقوله : « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنني
أتوب إليه في اليوم مائة مرة »^(٥) ، وقوله : « إنه ليُبَغِّضَ علي قلبي وإني لأستغفر
الله في اليوم مائة مرة »^(٦) . وتقدم أيضاً أنهم كانوا يعدون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجلس الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب
الغفور » مائة مرة^(٧) .

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبّر على كل شرف من الأرض ثلاث

(١) الحديث في : البخارى ١ / ١٤٥ (كتاب الأذان ، باب ما يقول بعد التكبير) ؛
مسلم ٩٨ / ٢ - ٩٩ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يقال بين تكبيرة
الإحرام والقراءة) .

(٢) الحديث في : البخارى ١ / ١٥٩ (كتاب الأذان ، باب التسيب والدعاء في السجود) ؛
مسلم ٥٠ / ٢ (كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود) .

(٣) الحديث في مسلم ٥٠ / ٢ (نفس الكتاب والباب) .

(٤) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٤ ، ت ٣ .

(٥) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ت ١ .

(٦) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٤ ، ت ٢ .

(٧) انظر ما تقدم ، ص ٢٢٦ ، ت ٣ .

تكبيرات ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . آيئون تائبون عابدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ^(١) .

وفي السنن عن عليّ أنه أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الركاب قال : « بسم الله » ، فلما استوى على ظهرها قال : « الحمد لله ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرّنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ثم قال : « الحمد لله - ثلاثا - سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ثم ضحك ، فقيل : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك ، فقلت : من أي شيء ضحكت يا رسول الله ؟ فقال : « إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي ، يقول : يعلم أن الذنوب لا يغفرها أحد غيري » ^(٢) .

(١) الحديث في : البخارى ٨ / ٨٢ (كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع) ؛ مسام ٤ / ١٠٥ (كتاب الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره) . وهو في المسند (ط . المعارف) الأرقام : ٤٤٩٦ ، ٤٥٦٩ ، ٤٦٣٦ ، ٤٧٩٧ ، ٤٩٦٠ ، ٥٢٩٥ .

(٢) الحديث في سنن الترمذى ١٣ / ٦ - ٧ (كتاب الدعاء ، باب ما يقول إذا ركب الناقة) وقال الترمذى : « وفي الباب عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال : هذا حديث حسن صحيح » .

فَصِّلْ فِي أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ

﴿فصل﴾

قوله صلى الله عليه وسلم : « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد » ^(١)

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥١ ، ٥٢] :
أى ملتكم ملة واحدة ، كقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾
[سورة الزخرف : ٢٢ ، ٢٣] : أى على ملة وقال : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الشورى : ١٣] .

فدين الأنبياء واحد ، وهو دين الإسلام ، لأن بعض الشرائع تتنوع ، فقد
يشرع فى وقت أمراً لحكمة ثم يشرع فى وقت آخر أمراً آخر لحكمة ، كما
شرع فى أول الإسلام الصلاة إلى بيت المقدس ، ثم نسخ ذلك وأمر بالصلاة
إلى الكعبة ، فتنوعت الشريعة والدين واحد ، وكان استقبال الشام / من ذلك

ص ٢٠٦

(١) ذكر ابن تيمية الحديث بتمامه فى الجواب الصحيح ١/ ٥ (ط . المدنى) فقال :
« ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم : إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد ، وأنا أولى الناس بأبن مريم لأنه ليس
ببنى وبينه نبى » . ولم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى البخارى فى صحيحه ٤ / ١٦٧
(كتاب الأنبياء ، باب واذكر فى الكتاب مريم) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم
شنى ودينهم واحد » . وروى حديثاً آخر يقاربه فى اللفظ فى نفس الصفحة وروى مسلم
٧ / ٩٦ (كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام) الحديث عن أبى هريرة بالفاظ
مقاربة من ثلاثة طرق . والحديث بمعناه فى سنن أبى داود ٤ / ٣٠٢ (كتاب السنة ، باب
فى التخيير بين الأنبياء) : المسند (ط . الحلبي) ٢ / ٣١٩ ، ٤٠٦ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ،
٤٨٢ ، ٥٤١ ؛ ترتيب مسند الطيالسى ٢ / ٨٤ .

الوقت من دين الإسلام ، وكذلك السبت لموسى من دين الإسلام ، ثم لما صار دين الإسلام هو الناسخ وهو الصلاة إلى الكعبة ، فمن تمسك بالنسوخ فليس على دين الإسلام ، ولا هو من الأنبياء .

ومن ترك شرع الأنبياء وابتدع شرعاً فشرعه باطل لا يجوز اتباعه ، كما قال : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [سورة الثورى : ٢١] ؛ ولهذا كفرت اليهود والنصارى لأنهم تمسكوا بشرع منسوخ .

والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله ، ومحمد خاتم الرسل ، فعلى جميع الخلق اتباعه واتباع ماشرعه من الدين ، هو ما أتى به من الكتاب والسنة^(١) .

(١) تكلم ابن تيمية عن هذا الموضوع : أن دين الأنبياء واحد هو دين الإسلام ، في عدة مواضع من كتبه . انظر مثلاً : الجواب الصحيح (ط . المدني) ١ / ٢ - ١٣ ؛ الرد على المنطقيين (ط . بومباي ١٣٦٨ / ١٩٤٩) ، ص ٢٩١ - ٢٩٣ ؛ اقتضاء الصراط المستقيم (ط . السنة المحمدية ١٣٦٩ / ١٩٥٠) ، ص ٤٥٠ - ٤٥٦ .

فصل في الدليل على فضل العرب

﴿ فصل ﴾

الدليل على فضل العرب مارواه الترمذى عن العباس بن عبد المطلب قال :
« قلت : يا رسول الله إن قريشاً جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم ، فجعلوا
مثلك كمثل نخلة في كُبوة من الأرض . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله
خلق الخلق فجعلني في خير فرقتهم ، ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة ، ثم
خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » . قال
الترمذى : هذا حديث حسن ^(١) .

والكُبا بالكسر والقصر ، والكُبة الكناسة ^(٢) . والمعنى أن النخلة
طيبة في نفسها ، وإن كان أصلها ليس بذاك .

وعن سلمان قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان لا تبغضني
فتفارق دينك . قلت : يا رسول الله وكيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال :
تبغض العرب فتبغضني » . قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ^(٣) .
وروى أبو جعفر الحافظ الكوفي عن ابن عباس قال : قال رسول الله

(١) الحديث في سنن الترمذى ١٣ / ٩٥ - ٩٦ (كتاب المناقب ، باب في فضل النبي
صلى الله عليه وسلم) إلا أن فيه : « . . . من خير فرقتهم وخير الفريقين ، ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم . . . الحديث » .
(٢) قال ابن العربي في شرح الحديث ١٣ / ٩٨ : « الكُبة بضم الكاف وفتحها
يقال على المذلة ويقال على الرُوبة والمراد ههنا الرُوبة . وقال شمر : لم نسمع الكُبة ولكننا
سمعنا الكُبا بكسر الكاف - والكُبة - بضمها وتخفيف الباء - وهي الكناسة والتراب
الذى يكس من البيت » .

(٣) الحديث في سنن الترمذى ١٣ / ٢٨١ (كتاب المناقب ، باب في فضل العرب)
إلا أن فيه : وبك هدانا الله . والحديث في المسند (ط. المعارف) ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤ (رقم
١٧٨٨) ، وأورده العراقي في القرب في محبة العرب (ط. الإسكندرية ١٣٨١/١٩٦١) ص
١٠٠ وانظر تعليق المحقق ؛ والطبائسى ؛ في مسنده ، انظر ترتيب مسند الطيالسى ٢ / ٢٠٠ ؛
والحاكم في المستدرک ٤ / ٨٦ .

صلى الله عليه وسلم : « أَحِبُّوا العرب لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ،
ولسان أهل الجنة عربى » . قال الحافظ السافى : هذا حديث حسن ؛ فما أدرى
أراد حسن إسناده على طريقة المحدثين ، أو حسن مقننه على الاصطلاح العام ،
وأبو الفرج بن الجوزى ذكره فى « الموضوعات » ؟ !^(١) .

وقال سلمان : « يامعشر العرب لتفضيل رسول الله إياكم لا ننكح
نساءكم ولا نؤمكم فى الصلاة » ، وإسناده جيد^(٢) ، رواه محمد بن أبى عمر
العدنى^(٣) ، وسعيد فى « سننه »^(٤) .

(١) الحديث فى المستدرک للحاكم ٨٧/٤ . والحديث رواه الطبرانى فى المعجم الكبير
والبيهقى فى شعب الإیمان والعقبلى فى الضعفاء . وله شاهد من حديث أبى هريرة : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى » .
وقد اختلف فى حديث ابن عباس وأكثر العلماء على أنه ضعيف أو موضوع . وانظر
ما ذكر عنه وعن حديث أبى هريرة فى : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، ص ١٥٨ ؛
كشف الحفاء للمجلونى ١ / ٥٤ ؛ اللآلئ المصنوعة للسيوطى ١ / ٤٤٢ ؛ الفوائد المجموعة
لشوكانى ، ص ٤١٣ ؛ تنزيه الشريعة لابن عراق ٢ / ٣٠-٣١ ؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة
والموضوعة لناصر الدين الألبانى ، المجلد الأول ج ٢ ، ص ٥٦ - ٦٠ (ط دمشق ، ١٣٨٢)
القرب فى حبة العرب للعراق ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ مشكاة المصابيح ٣ / ٢١٦ ؛ المقاصد الحسنة
للسخاوى ، ص ٢٢ - ٢٣ ، تميز الطيب من الخبيث لابن الديبع ، ص ٧ .

(٢) ذكره ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٥٨ - ١٥٩ وقال إن أبا بكر
البراز من رواه أيضا .

(٣) قال ابن حجر فى تقريب التهذيب ، ص ٢١٨ : « محمد بن يحيى بن أبى عمر العدنى
نزىل مكة ، ويقال إن أبا عمر كنيته يحيى ، صنف المسند ، وكان لازم ابن عينية ، لكن قال
أبو حاتم : كانت فيه غفلة ، من العاشرة ، مات قبل سنة ثلاث وأربعين » . والعدنى نسبة
إلى عدن ، وقد توفى سنة ٢٤٣ . وانظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٠١ ؛ الجرح
والتعديل ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٢٤ ؛ اللباب لابن الأثير ٢ / ١٢٦ .

(٤) أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة المروزي ويقال الطالقاني ثم البلخي صاحب
السنن . توفى بمكة سنة ٢٢٧ . انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٢ / ٤١٦ ، الجرح والتعديل
ج ٢ ، ق ١ ، ص ٦٨ ؛ طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٢ .

ولما وضع عمر الديوان للعطاء كتب الناس على قدر أنسابهم فبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله ، فلما انقضت العرب ذكر العجم . هكذا كان الديوان على [عهد] ^(١) الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية وخلفاء بنى العباس ، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك ؛ والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة أصحها ما ذكرناه .

سبب ما اختص
به العرب من
الفضل

وسبب ما اختصوا به من الفضل - والله أعلم - ما جعل الله لهم من العقول والألسنة والأخلاق والأعمال ، وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع أو العمل الصالح ، والعلم له مبدأ : وهو قوة العقل الذى هو الفهم والحفظ ، وتمام : وهو قوة المنطق الذى هو البيان والعبارة . فالعرب هم أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة ، ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للمعاني .

وأما العمل فإن مبناه على الأخلاق ، وهى الفرائز المخلوقة فى النفس . ففرائزهم أطوع من غرائز غيرهم ، فهم أقرب إلى السخاء والحلم والشجاعة والوفاء من غيرهم ، ولكن حازوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ، ليس عندهم علم منزل ولا شريعة ماثورة ولا اشتغلوا ببعض العلوم ، بخلاف غيرهم فإنهم كانت بين أظهرهم الكتب المنزلة وأقوال الأنبياء فضلاً للضعف عقولهم وخبث غرائزهم .

وإنما كان علم العرب ما سمحت به قرائنهم من الشعر والخطب ، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم ، أو ما احتاجوا إليه فى دنياهم من الأنواء والنجوم والحروب . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى تلقفوه عنه بعد مجاهدة شديدة ، ونقلهم الله عن تلك العادات الجاهلية التى كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها ، فلما تلقوا عنه ذلك الهدى زالت تلك الربوب عن قلوبهم ، فقبلوا هذا الهدى العظيم ، وأخذوه بتلك الفطرة الجيدة ، فاجتمع لهم الكمال بالقوة

(١) عهد : ساقطة من الأصل .

المخلوقة فيهم ، والكمال الذى أنزله الله إليهم ، بمنزله أرض طيبة فى نفسها لكن هى معطلة عن الحرث ، أوقد نبت فيها شجر العضاء والعوسج ، وصارت مأوى الخنازير والسباع ، فإذا طهرت عن ذلك المؤذى من الشجر وغيره من الدواب ، وازدرع فيها أفضل الحبوب أو الثمار جاء فيها من الحب والتمر مالا يوصف مثله .

فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله سوى الأنبياء ، وصار أفضل الناس بعدهم من اتبعهم بإحسان - رضى الله عنهم - إلى يوم القيامة من العرب والعجم ^(١) .
والله سبحانه أعلم . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليما ^(٢) .

(١) تكلم ابن تيمية عن فضل العرب بمزيد من التفصيل فى « اقتضاء الصراط المستقيم » ص ١٤٨ - ١٦٢ .

(٢) بعد هذا السطر فى آخر الرسالة كتب ما يلى :

إذا المرء لم يرض ما أمكنه	ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره	سيضحك يوما ويكى سنه

لشيخ الإسلام .

صح تصح لك الأمور جميع	لايك عن طرق الهداة تضيق
وامح واثبت ما تحقق باقى	لايك عن طرق الهدى تضيق
لا تصحب الأردلين فإنهم	يوم التفان جيلهم مقطوع

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس الشعر واللغة .
- ٤ - فهرس الأعلام .
- ٥ - فهرس القبائل والفرق والطوائف .
- ٦ - فهرس الأماكن والبلدان .
- ٧ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية .
- ٨ - فهرس الكتب .
- ٩ - فهرس مراجع التحقيق .
- ١٠ - فهرس التصويبات والاستدراكات .
- ١١ - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	ص	س
الفاتحة	٢	١٠٨	٢
	٥	٨٢	٨
		٩١	١٥
		١٠٨	٣
	٧٤٦	٩٨	١٧-١٦
البقرة		١٠٩	١١-١٠
		٢٢٨	١٤-١٢
	١٠	٢٢٩	١٥
	٢١	٩١	١٨
	٢٣	٩٥	٢٠
	٢٨	١١٠	٧
	٣٧-٣٥	٢٢٠	٢٠-١٥
	٣٧	٢٦٩	١٧
	٥٨	٢٨	١
			٢٠-١٨
		٢٩	٥-٤
			٧
			١٣
	٥٩	٢٩	٩-٧
		٣١	٤-٣
	٧٤	٤٠	١٢

س	ص	الآية	السورة
٨-٧	٤٢		
٢	٨١	٧٥	
١١-١٠	٢٤٦	٨٨	
٥	٩٢	٩٨	
١٥	٤	١١٦	
٥-٤	٩		
٨			
١٣			
٤	١٧		
٦			
٨			
٢٤			
١٢	١٨		
١٥-١٤	٢٢		
١٧-١٦			
٦-٤	٢٣		
١٨	٢٦		
٨-٦	٣	١١٧-١١٦	
١-٢٠	٢٢٢-٢٢١	١٢٨	
١٨	١٤٥	١٦٤	
٧-٤	٢٥٨	١٩٩، ١٩٨	
٧	١٨٣	٢١٤	
١	٢٢٣	٢٢٢	
١٠-٩	٦	٢٣٨	

السورة	الآية	ص	س
	٢٣٩	٣٥	٦
	٢٤٢	١٨٣	٦-٥
	٢٥٥	٢٦٥	١٦-١٥
	٢٨٤	٢٣٩	١٨
	٢٨٦	١٣٥	١٦-١٥
		١٤٨	١٢-١١
		٢٣٩	١٣
	١١	٢١٤	٢
آل عمران	١٣	٥٦	١٧-١٥
	١٧	٢٥٨	٢
	٢٦	١٣٧	٤-٣
	٣٣	٢١٣	١٠-٩
	٤٣	٨	٩
			١٢
		١٧	٢٦-٢٥
			٢٨
	٨٠، ٦٧٩	٢٥٩	١٨-١٤
	٨٣	٣	١٣-١٢
		٢٣	٢٠
		٢٤	٤
	٨٥، ١٨٤	٢٤	٩-٥
	٩٧	١٤٩	٢-١
	١٣٧	٥٠	١
			١٨-١٧

السورة	الآية	ص	س
	١٤٠	١٧٩	٩
	١٤٢	١٨٣	٧
	١٦٠، ١٥٩	٩٤	٢٠-١٧
	١٦٠	٩٥	٣-٢
			١٠-٩
	١٦٣، ١٦٢	١٣٣	١٠
	١٧٣	٨٩	٤-٣
	١٧٤، ١٨٣	٩٠	١٤-١٣
النساء	١	١٦٥	٦
	٦	٢٦٣	١٥-١٣
	١٧	٢٣٦	١٢-١١
	٣١	٢٦٨	٨-٧
	٣٤	٥	١٣-١٢
		٨	١
	٥٩	٢٧٣	١٨-١٥
			٢٢-٢١
		٢٧٤	١٠-٨
	٦٨-٦٦	٢٣٠	٥-٤
		٢٣٧	٢١-١٩
	٧٩	٢٧	٨-٧
		١٣٤	١٢-١١
	٩٥	٢٤٢	٤-٣
		٢٥٢	١٣-١٠
	١٢٣	١١٥	١٣-١٢

س	ص	الآية	السورة
١٣-١٢	٢٤٦	١٥٥	
١١-٩	٢٥٩	١٧١	
١٣-١٢	٢٢	١٧٢	
١٤-١٣	٢٠٨	١٨٠	
٩-٨	٢٤٩	٥	المائدة
٩	١١٥	١٨	
٥	٢٥٧	٢٧	
١٢-١١	٢٣٤	٤٤	
٤-٢	١٣٣	٦٠	
٦-٥	١٣٢	٦٧	
٢٣-٢٠	٢٦٥	٧٢	
٨-٥	٢٣٩	٧٤، ٧٣	
١٩-١٨	٢٢٨	٧٧	
١٣-١٢	٢٥٩		
١٩-١٨	١٣٥	٤٢	الأنعام
٩-٨	٥٧	٤٥-٤٢	
٢٣-٢٠			
١١-١٠	٥٦	٤٧	
٣-١	٢٣٧	٥٤	
١٠-٩	٢٤٦	١١٠	
٥-٤	٢٤٣	١٢٢	
٩	١١٦	١٣٢	
١٠	١٣٣		
٤-٢	٢٣٥	١٧، ١٦	الأعراف

السورة	الآية	ص	س
	٢٣، ٢٢	٢٢١	٣-١
	٢٩	٧٧	٢
	٤٣	١٤٥	٤-٣
			١١
	٥٧	٩٧	١٦-١٥
		١٤٥	١٧
	٩٥، ٩٤	٥٧	١١-١٠
	١٠٥، ١٠٤	٢١٢	٨-٦
	١٤٣	٢٢٢	٧-٦
	١٤٥	١٣٦	٢٠-١٨
	١٤٦	٢٢٩	٤-١
	١٥١	٢٢٢	٦-٥
	١٥٥	١٣٨	٦-٥
	١٥٧-١٥٥	٢٢٢	١٦-١٠
	١٦١	٢٩-٢٨	٢١-٢٩ (ص ٢٩)
		٢٩	٣
			٥-٤
	١٦٨	٥٧	١٦
	١٧٢	١١	١١-١٠
	١٧٦، ١٧٥	٢٢٩	٩-٥
	١٨٠	١٧١	٧-٦
	٥٢-٥٠	١٣٥	١٠-٦
الأَنْفَال	٥٢	١٣٥-١٣٤	١٧-١ (ص ١٣٥)
		١٣٥	١١-١٠

السورة	الآية	ص	س
	٥٣	١٣٤	١٣-١٢
	٥٤، ٥٣	١٣٥	٣-٢
	٥٤	١٣٥	٥
	٦٤	٨٩	٢١-٢٠
العنبرية	٥	٢٣٩	١١-٩
	١٦	١٨٣	٩-٨
	٢٢-١٩	٢٥٣-٢٥٢	١٦-١ (ص ٢٥٣)
	٣١، ٣٠	٢٦٠-٢٥٩	١٩-٢ (ص ٢٦٠)
	٣١	٢٦٠	٢١-٢٠
	١٠٦-١٠٢	٢٢٣	١٧-٩
	١١٨، ١١٧	٢٢٠	١٤-٩
		٢٦٨	١٩-١٤
	١٢٥، ١٢٤	٢٤٩-٢٤٨	٢٠-٣ (ص ٢٤٩)
	١٢٦	٥٧	٦-٥
يونس	١٢	٢٦-٢٥	٢٢-١ (ص ٢٦)
	٦٣، ٦٢	٢٦٧	٨-٧
	٦٨	٤	٢٢-٢٠
	٧١	٩٦	٣-١
			١٣-١١
			١٥
	٧٢	٢٣٤	١٤-١٣
	٨٤	٢٣٤	١٠
	٨٨	٢٠٧	١٥-١٣
	٨٩	٢٠٨	١

سورة	الآية	ص	س
	٩٠	٢٠٣	٨-٧
		٢٠٧	٩-٧
	٩١	٢٠٧	١١-١٠
	٩٢-٩١	٢٠٨	١٧-١٦
هود	١	١٦٢	٧-٦
	٣-١	٢١٩	١٢-٨
	٧	٢٥٧	١٠
	١١-٩	٨٤	٧-٤
	٢٠-١٨	٢٤٦	٦-١
	٢٤	٢٤٣	٤-٣
	٤٥	١٢٧	٤-٣
			٢٥-٢٤
	٤٧	٢٢١	١١-١٠
		٢٦٦	١٩-١٨
	٥٢	٢٢١	١٤-١٢
	٥٦-٥٤	٩٦	٨-٥
	٥٦-٥٥	٩٧-٩٦	١-٢٠ (ص ٩٧)
	٥٦	٢٥	١٧-١٦
	٦١	٢٢١	١٥-١٤
	٨٨	٨٢	١٤-١٣
		٩١	١٠-٩
	٩٠	٢٢١	١٧-١٦
	٩٩-٩٦	٢١٥	١٣-١٢
	٩٨	٢١٣	٤

سورة	الآية	ص	س
	٩٩	٢١٦	٢
	١٠٢	٥٦	١٣-١٢
		١٣٥	١٤-١٣
			١٧-١٦
	١٢٣	٨٢	١٣-١٢
		٩١	٧
يوسف	٢٤	١١٥	١٢-١١
	٣٢	٧١	٢-١
	٧٧	١٣٣	٥-٤
	١٠١	٢٣٤	١٦
	١١١	٥٦	١٥-١٤
الرعد	١١	١٣٢	٧-٦
	١٥	٣	١٦-١٥
		١٩-١٨	٢١-١ (ص ١٩)
		٢٧	١٥-١٤
		٣٩	١٠-٩
		٤١	١٥
	٣٠	٩١	١٢-١١
		١٧١	١٢-١١
	٣٨	٥٠	١٣
إبراهيم	١١-٩	١٥	١٥-١٢
	١٩	٧٧	٢٥
	٤١	٢٢١	١٨-١٧
		٢٦٩	٢١-٢٠

السورة	الآية	ص	س
الحجر	٤٨	٥٣	١٠-٩
	٤٠ ، ٣٩	٢٣٥	٦-٥
	٨٥	١٩	٢٢-٢١
	٨٧	٢٧٢	٥-٤
	٩٣ ، ٩٢	٢٤	١١
النحل	٤٨	٢٨	١٤-١٢
		٣٩	٣
	٤٩ ، ٤٨	٤-٣	١٧-٢ (ص ٤)
	٥٠-٤٨	٤١	٨-٥
	٥٣	١٠٧	١٠
الإسراء	٥٤ ، ٥٣	١٣٢	١٣-١٢
	٥٧	١٠٦	٢
	١٢٠	٥	١١
	١	٩٥	١٨
	٢	٨٩	١٢-١١
	١٥	٢٤٤	٨-٧
	٢٣	١٦٦	٨-٧
	٤٢	٢٣-٢٢	٢٢-٢١ (ص ٢٣)
	٤٤	٤	٨-٦
		٤٠	١٣-١٢
		٤٢	١١
	٥٦	٥٥	١٨-١٨
	٥٧ ، ٥٦	٢٢	٢١-١٨

السورة	الآية	ص	س
		٢٦٥	١١-٨
	٦٧	٢٦	٤-٢
	٧٦	٥٠	٢٣-٢٢
	٧٧	٤٩	٧
	٨٢	٢٤٩	٥-٤
	١٠٢	١٥	٤-٣
	١١٠	١٧١	١٠
	١١١	١٠٦	١٣
		٢٥	
		٢٨-٢٧	
الكهف	١٧	٩٩	٤
	٥٥	٥٠	٣-٢
	١٠١، ١٠٠	٢٤٥	٢٠-١٩
	١٠٤، ١٠٣	٢٣١	٩-٧
مريم	٣٥، ٣٤	٢٧١	٤-٣
	٧٦	٢٣٠	٢
	٩٥-٨٨	٤	٢٠-١٦
طه	١٣-١١	١٣٧	١٩-١٨
	١٤	١٥٦	٩-٨
		١٥٧	٢-١
			٨
	٤٦	١٧١	١٦
	٧٣	١٣٣	١
	١١١	١٩	٢

السورة	الآية	ص	س
	١٢٢، ١٢١	٢٢١	٦-٥
		٢٣٥	١٧
الأنبياء	١٦	١٩	١٦
			٢٤
	٢٦-١٦	١٩	٩-٧
	١٧	١٩	١٧
		٢١	١٦-١٥
	١٨	٢١	١٣
		٢٢	٢-١
	٢٠، ١٩	٢٢	٤-٣
	٢٨-٢٦	١٩	٩-٧
	٢٩-٢٦	٥	٢-١
		٢٢	٩-٦
	٣٣	٢٧	٥-٤
	٣٥	٧٧	٣
	٥٦-٥٢	٢٠	٦-٣
	٥٥	٢٠	٧
	٨٣	١٣٧	١١
	٨٨، ٨٧	٢٧٠	٨-٥
الحج	١٨	٤	٥-٣
		٣٨	٤-٣
		٣٩	١٣-١١
		٤٠	
			٦-٥

السورة	الآية	ص	س
		٤١	٣
		٤٢	١٤-١٣
		٤٤	٣-٢
	٣٨	٩٧	١٠
		١٣٢	٥
			١٩
	٥٣، ٥٢	٢٦٩	١٣-١٠
	٥٣	٢٧٦	٩-٨
	٧٧	١٣٧	٢-١
المؤمنون	٥٢، ٥١	٢٨٣	٤-٣
	٧٦-٥١	٥٨	١٣-٧
	٦٠	٢٥٧-٢٥٦	١٨-١ (ص ٢٥٧)
	٧١	٨٤	١٢-١١
	٧٦	١٣٥	٢٠-١٩
	٧٧-٧٦	٥٧	٢-١
	٨٨	١٣٢	٨-٧
	١١٥	١٩	٢٣
	١١٨	١٣٧	١٣-١٢
	٣١	٢٢٠	٧
النور		٢٥٨	١١-١٠
	٤١	٤	٤١-١٣
		١١	٣-٢
		٢٨	١٠-٨
		٤٢	١٢

السورة	الآية	ص	س
		٤٣	١٣
الفرقان	٢٤	١٣٢	١٧-١٦
	٦٠	٧١	٩-٨
الشعراء	٢٩-٢٣	٢١٢	١٤-٨
	٨٣	٢٢١	١٩
	٩٥، ٩٤	٢٣٥	١٢-١١
	١٧٦	٦١	٥
	٢١٣	٢٦٥	٢٠-١٩
	٢٢٢، ٢٢١	١٩٤	١٧-١٦
النمل	٦	١٦٢	٥-٤
	١١، ١٠	٢٢٢	٩-٨
	١٤	١٥	٢
		٢٣٤	٥-٤
	٤٠	١٤٨	١٦-١٥
	٤٤	٢٣٤	١٧
	٥٩	١٣٢	١٦-١٥
	٨٨	١٣٧	٨-٧
القصص	٤	١٣٢	٩-٧
	١٦-١٥	٢٢٢	٤-٢
	٢٣	٦١	٨-٧
	٣٨	٢١١	٧
	٣٩	٢٣٤	٣-٢
	٤٢-٣٩	٢١٥	٩-٥
	٤٢	٢١٥	٢٠-١٩

السورة	الآية	ص	س
المنكيات	٦٣، ٦٢	٢٣٥	٩-٧
	٦٨	١٢٧	١٦-١٥
	٨٣	٢٢٢	١١-١٠
	٣	١٨٣	١٠
الروم	١١	١٨٣	١١
	٦٩	٢٣٠	٣-٢
	٢٥	٢٣	١١-١٠
	٢٧-٢٦	٣	١١-٩
السجدة	٢٧	٧٧	٤-٣
	٣٢-٣٠	١١٣	٤-٢
	٧	١٣٧	٦
	١٣	١٦٢	٥
الأحزاب	١٧	٩٧	١٨
	١٩	١٤٥	١٤-١٣
	٢١	٥٧	٥-٤
	٣-١	٩١	٣-١
	٣	٩٢	٦
	٣٥	٥	١٦-١٥
	٣٨	٨	٦
	٤٨	٤٩	٩-٨
	٥٠	٩١	٥-٤
	٦٠	٥٠	١١-١٠
		٥١	٤

سورة	الآية	ص	س
	٦٢.٦١	٤٩	١٠-١٦
	٦٢	٥٤	٩
			١٦
	٧٢	٢٢٩	١١-١٢
سبأ	٢٣، ٢٢	٢٦٥	١٢-١٥
فاطر	٨	٢٣١	٤-٥
	١٦	٧٧	٢٥
	٢٢-١٩	٢٤٢-٢٤٣	١٧-٢ (ص ٢٤٣)
	٢٨، ٢٧	٣٨	٧-٩
	٣٢	٢٢٧	١٥-١٦
	٤٣، ٤٢	٥١	١٩-٢٢
	٤٣	٤٩	١٣-١٤
		٥١	١١-١٢
		٥٤	١٢
يس	٢٩	٦٥	١٩
	٣٨	٣٦	١٦
	٨١	٧٧	٤-٥
	٨٢	٩	١٦-١٧
		١٣٨	١٣-١٤
	٨٣	٢٥	١٧-١٨
الصافات	١٠٢	١٦٥	٢-٣
	١٠٧	١٦٥	١٨
	١٣٠	٢١٣	١٢

السورة	الآية	ص	س
ص	١٤-١٢	٢٠٩	١٤-١٢
	٣٥-١٧	٢٧٠	١٤-٩
	١٨	٤٣	١١
	١٩	٤٣	١٢
	٢٣	٣٢	٢٠-١٩
	٢٤	٣٣	١٣-١٢
		٣٥	١٨
		٣٦	١
	٢٧	١٩	٢٠-١٩
	٢٨	٩٨	٤-٣
		١٢٤	٧-٦
	٧	١٤٨	١٥-١٣
	٩	٥	٥-٤
		٦	١٢
		٨	١٥
		٢٤٢	١٥-١٤
الزمر	١٨	١٣٦	٢١-٢٠
	٢٣	١٣٧	٥
	٣٥-٣٣	١٥٠	١٧-١٦
		٢٦٠-٢٥٩	(٢٦٠ ص) ٢-١٧
		٢٦٨	٥٣
	٣٦	٩٥	١٢-١١
	٣٨	٩٥	١٣
			٢١

السورة	الآية	ص	س
غافر	٤٤، ٤٣	٢٦٥	١٨-١٦
	٥٥-٥٣	٢٢٠-٢١٩	١-١٣ (ص ٢٢٠)
	٥٥	١٣٧-١٣٦	١-٢١ (ص ١٣٧)
	٣-١	٢٢٣	٥-٣
	٢٨-٢٣	٢١٠	١٥-٧
	٢٦	٢١١	٥
	٢٨	٢١٤	٨
	٣٦، ٣٥	٢٠٥-٢٠٤	٢-١٤ (ص ٢٠٥)
	٣٧، ٣٦	٢١٠	١٨-١٥
	٣٧	٢١١	١
		٢٣١	٧-٦
		٢٣٢	١٣-١٢
	٤٢، ٤١	٢١٤	١٠-٩
	٤٦، ٤٥	٢١٤	١٥-١٣
فصلت	٤٦	٢١٣	٦
		٢١٤	٥
	٤٨، ٤٧	٢١٥-٢١٤	١-١٧ (ص ٢١٥)
	٦٥	١٠٨	٦-٥
	٨٥-٨٢	٢٠٨	١٠-٤
	٨٥	٤٩	١٥
	١١	٤٠	١١
	٤٦	١٤٨	١٣-١٢
	١٠	٨٢	١٤-١٣
	١٣	٢٨٣	٧-٦
النشورى			

السورة	الآية	ص	س
	٢١	٢٨٤	٥
	٢٦، ٢٥	٢٢٣	٨-٦
	٣٠	٢٧	٦
		١٣٤	١١-١٠
الزخرف	٢٣، ٢٢	٢٨٣	٥
	٣٧، ٣٦	٢٣١	٣-٢
	٥٩	٢٢	١١
الدخان	١٩	٢٣٤	١
	٢٩	٣٧	٩
	٣٠	١٣٧-١٣٨	١٩-١ (ص ١٣٨)
	٣٣، ٣٢	١٣٨	٣-٢
	٣٩، ٣٨	١٩	١٨
	٥٧	١٥٩	١
	١٣	١٠٧	١١
الجاثية	١٦	١٣٨	٤
	٢١	١٢٤	٩-٨
	٢٣	١١٣	١
الأحقاف	١٦	١٥٠	١٤-١٣
		٢٥٩	٥-٤
محمد	١٧	٢٢٩-٢٣٠	١٩-١ (ص ٢٣٠)
	١٩	٢٢٢	١٩-١٨
		٢٧٠	٤-٣
	٢٨	٢٤٨	٢٠-١٩
	٣١	١٨٣	١٣-١٢

سورة	الآية	ص	س
الفتح	٢٤١	٢٢٢	٢١-٢٠
	٣-١	١٠٠	٨-٦
	٢٣٤، ٢٢	٤٩	١٩-١٧
الحجرات	٧	٨٤	١٤-١٣
ق	٨	١٦	٦
	١٤-١٢	٢٠٩-٢٠٨	٢١-١ (ص ٢٠٩)
الذاريات	٥٦	٩١	١٩
	٤-١	٢٢٨	١٦-١٥
	٢٣	٢٤١	٢-١
			١٢-١١
	٣٢٠، ٣١	٢٦٨	١٣-٩
	٣٢	٢٢٦	٤
			٢٣-٢٢
	٣٦	١٢٦	١١
	٤١-٣٦	١٢٦	١٠-٨
القمر	٣٤	٢١٣	١١
	٤٢، ٤١	٢١٤	٤-٣
	٤٣	٥٦	١٤-١٣
الواقعة	١٢-٧	٢٢٧	١٠-٨
	٢٤-٢٢	١٤٥	١٥-١٤
	٦٢، ٦١	٧٧	٧-٦
	٩٤-٨٨	٢٢٧	١٤-١١
الحديد	١	٤	١٠-٩
	١٠	٢٥٢	١٥-١٣

س	ص	الآية	السورة
١٣-١١	٢٦٠	٢٧	
٢-١	٢٣٩	٢٨	
١٠-٦	٢٣٠	٢٩، ٢٨	
١٠-٩	٢٥٢	١١	المجادلة
٩-٨	٤	١	الحشر
٦-٥	٤٣	٢١	
١١-١٠	٩١	٤	المتفعة
٩-٨	٤	١	الصف
١٦	٢٢٩	٥	
٩-٨	٤	١	الجمعة
١٨-١٧	١٣٢	٩	
٩-٨	١٣٦		
١١-١٠	٤	١	التغابن
١٥-١٣	٨٨	٣٤، ٢	الطلاق
١٤-١٣	٩١		
٢١-٢٠	١٠٠		
٦	٩٠	٣	
٧	٥٠	٢	التحریم
١٤-١٣	٥	٥	
٦-٣	٢٢٠	٨	
١٣-١٢	٥٥	٣٥	القلم
٢	٩٨		
٥-٤	١٢٤	٣٦، ٣٥	
٢٤	٢٣٢	٦	الحاقة

السورة	الآية	ص	س
	١٠،٩	٢٠٩	١٦-١٥
	٢٤	٩٧	١٧-١٦
		١٤٥	١٢
	٤٢-٤٠	١٥٩	٦-٤
نوح	١١،١٠	٢٢١	٨-٧
	٢٢	١٦٦	١
	٢٣	١٦٦	٥-٤
الجن	١٩	٩٥	١٩
المزمل	٩،٨	٨٩	١٠-٩
		٩١	٩-٨
المدثر	١١	١٧٩-١٧٨	١-١٠ (ص ١٧٩)
	٥٦،٥٥	٧٧	١٨-١٧
الإنسان	٢،١	٦٩	١٦-١٤
	٣	٦٩	١٧
	٦-٣	٢٢٧	١٩-١٦
	٤	٧٠	٢٠
	٦-٤	٦٩	١٩-١٨
	٧	٧٣	١
	٩-٧	٧١	٢٠-١٨
	٨	٧٢	٩
	١٠	٧١	٢٥
		٧٢	٢٠-١٩
	١١	٧٠	١٩-١٨
	١٧	٧٠	٢٢

السورة	الآية	ص	س
	٢١	٧٠	٢٣
		٧٣	٢٣-٢٢
	٢٢	٧٤	١٩
	٢٤، ٢٣	٧٤	٢٢-٢١
	٢٤	٧٥	١٧
	٢٦، ٢٥	٧٥	٢٠-١٩
	٢٧	٧٥	٢١
	٢٨	٧٥	٢٢
		٧٦	٢٥
	٢٩	٧٧	١٢
	٣٠	٧٧	١٣
			١٥
			١٦
	٣١	٦٩	٢١
النازمات	٢٤-٢١	٢١١	١٠-٩
	٢٤	١٥٧	١
			٩
		١٦٧	٥-٤
			٩
	٢٦، ٢٥	٢١١	١٢-١١
التكوير	٢١-١٩	١٥٩	٨-٧
	٢٩، ٢٨	٧٧	١٩
المطففين	٢٨-٧	٢٢٨-٢٢٧	٢٠-٢ (ص ٢٢٨)
	١٤	٢٢٦	٣-٢

السورة	الآية	ص	س
		٢٣٧	٩
	٢٤	٧٠	٢
الانشقاق	٨٤٧	١٥٠	٥-٤
البروج	١٢	١٣٥	١٧-١٦
الأعلى	١٩، ١٨	١٢٦	١٤-١٣
النصر	٣-١	٢٥٨	٩-٨
المسد	١	١٨٨	١٠

فهرس الأحاديث النبوية *

الحديث	المصنعي الراوي	ص	س	ت**
(١)	عهد الله بن عمر	١٧٨-١٧٧	٢-١٤	(١)
١- «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله...» - حديث الإسلام والإيمان والإحسان وفيه الكلام عن غلاة القدرية .	عن عمر ابن الخطاب			
٢- «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة... لا تخبرهما بأعلى» .	على بن أبي طالب	٢٦٢-٢٦١	٢-١١	(١) ، (٢)
٣- «أبوؤلك بنعمتك على وأبوؤبذني...» - انظر: «سيد الاستقفار...» الحديث رقم ٧٠.	شداد بن أوس	١١٧	١	(١)
٤- «أحبوا العرب لثلاث...» .	ابن عباس	٢٨٨-٢٨٧	٢-١٣	(١)
٥- «أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم.... فتلك عبادتهم إياهم» - وأوله : «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب . فقال : يا عدى أطرح عنك...»	عدى بن حاتم	٢٦٠	٦-٤	(١)
٦- «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان...» - الحديث عن إنطاق الله لبني آدم وإشهادهم على أنفسهم .	ابن عباس	١٢	٦-٥	(٤)
٧- «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران...» .	عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر	٢٣٩ ٢٤٣	١٥-١٤ ٨-٧	(٢)

* الكلام على هذه الأحاديث في التعليقات المشار إلى أرقامها .
** ت = تعليق .

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٨ - « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ... » - الحديث عن « الزيادة » وهي النظر إليه تعالى في الجنة .	صهيب	١١١-١١٠	٤-١٨	(١)
٩ - إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٤١ ٢٥٢	١٩-١٧ ٧-٦	(١)
١٠ - « اعلّموا أن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت » - عبارة وردت في أحاديث فيها الكلام عن صفة الدجال .	عبد الله بن عمر وغیره	١٩٨	٨-٧	(٤)
١١ - « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر » - أوله: أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريتاً من الجن ... وفيه : « فقال جبريل : قل : أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ... » وانظر الحديث رقم ٥١ .	مرسل عن يحيى ابن سعيد	١٠	٢-١	(١)
١٢ - « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر » .	حذيفة وأبو الدرداء وابن مسعود	٢٦٦	١٣-١٢	(٢)
١٣ - « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » .	أبو هريرة	٣٣	٣-٢	(٢)
١٤ - « أقول : اللهم باعديني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب » وأوله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته ... » .	أبو هريرة	٢٧٨-٢٧٧	١-١١	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٥ - « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٧٧-٢٧٦	٢-١٩	(١)
١٦ - « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ... » - دعاء في السجود .	أبو هريرة	٣٢	١٤-١٣	(٣)
١٧ - « اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، وضع عني بها وزرا ... » - دعاء في السجود .	ابن عباس	٣٤	٧-١	(٢)
١٨ - « اللهم أنت الملك لا شريك لك ... » - وأوله : « وجهت وجهي للذي فطر ... » وانظر رقم ١١٨ ، ٥٩	علي بن أبي طالب	٢٧٧	١٠-٣	(٣)
١٩ - « اللهم إنا نستعينك ونستهديك » - في القنوت .	عمر بن الخطاب	١١٧	٤-٣	(٤)
٢٠ - « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك .. » - دعاء في السجود .	عائشة	٣٢	١٦-١٤	(٤)
٢١ - « اللهم صلى على آل أبي أوفى .. » .	عبد الله بن أبي أوفى	٢١٣	١٤-١٣	(١)
٢٢ - « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ... » .	جماعة من الصحابة	١٥	٧-٥	(١)
٢٣ - « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » .	أبو هريرة	٢٨٨	١٠-٩	(١)
٢٤ - « إن إبليس قال لربه عز وجل : بمنزتك وجلالك ... » .	أبو سعيد الخدري	٢٣٦-٢٣٥	٣-٢٠	(١)
٢٥ - « إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات النوى ... » .	أبو برزة الأسلمي	٢٢٩	١٠-٩	(١)
٢٦ - « إن استطعت أن تعمل لله بالرضا ... » .	ابن عباس	٢٥٠	١٠-٨	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٢٧ - « إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالين ... » - وانظر رقم ٩٤	أبو هريرة وابن عمر	٢٧٣	٨-٧	(١)
٢٨ - « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .	أبو هريرة	١٤٧	٢٧-٢٥	(٢)
٢٩ - « إن العبد إذا أذنب نسكت في قلبه نسكة سوداء .. » .	أبو هريرة	٢٢٦-٢٢٥	٣-١١	(١)
٣٠ - « إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ... » .	مرسل عن كعب الأحبار	١٣٨	٩-٦	(١)
٣١ - « إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقم ... » .	العباس بن عبد المطلب	٢٨٧	٧-١	(١)، (٢)
٣٢ - « إن الله خلق الجنة أهلا وخلقهم لهم .. » - وفي مسلم : « .. وخلقهم لها ... » .	عائشة	١٤٦	٩-٧	(٢)
٣٣ - « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ... » .	أبو موسى الأشعري	٢٢٤	٥-٤	(٤)
٣٤ - « إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ... » .	أبو هريرة وعمر ابن الخطاب	١٢	٤-١	(١)، (٢)
٣٥ - « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ... » - وانظر رقم ٨٨ .	عقبة بن عامر	٢٠	١٣-١٢	(١)
٣٦ - « إن بالديلة رجالا ما سرتهم مسيرا ... »	أنس وجابر	٢٤٢-٢٤١	٢-١٩	(١)
٣٧ - « إن تغفر اللهم تغفر جما ... » .	ابن عباس	٢٢٦	٦-٤	(٢)
٣٨ - « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ... » .	أبو هريرة	١٧٩	١٣-١٢	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٣٩ - « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ... » .	جابر	١٤٧	٣١-٢٩	(٢)
٤٠ - « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » .	أنس	١٤٧	٢٩، ٢٨	(٢)
٤١ - « .. إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا » .	أبو قتادة	٢٦٦-٢٦٧	١٣-١	(١)
٤٢ - « .. إنك تأتي قومًا أهل كتاب ... » .	ابن عباس	١٥	١١-٧	(٢)
٤٣ - « إنكم لن تبلفوا نفى ... » - حديث قدسي أوله : « يا عبادي إني حرمت الظلم .. » ولفظ الحديث هنا : « يا عبادي إنكم لن تبلفوا ضري فتضروني ولن تبلفوا نفى ... الخ » . وانظر الحديث رقم ٧٨ .	أبو ذر	١٤٨	١٠-٩	(١)
٤٤ - « إنما الطاعة في المعروف » وأوله : « لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة ... » .	علي	٢٧٤	٧-٤	(٣)
٤٥ - « إنما معاشر الأنبياء ديننا واحد » . ولفظ الحديث في البخاري : « أنا أولى الناس بعيسى .. الخ » .	أبو هريرة	٢٨٣	٢	(١)
٤٦ - « .. إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله ... » .	الأغر المزني	٢٢٤	٢-١	(٢)
٤٧ - « إني أعلمكم بالله وأشدكم خشية له .. » وأوله : واللفظ للبخاري - « ما بال	عائشة	١١٥	١٥-١٤	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
أقوام يتزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم ... » .				
٤٨ - « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ ... » .	جابر بن سمرة	٤٢	١٧-١٥	(٢)
٤٩ - « أول ما خلق الله العقل ... » - حديث موضوع .		١٦٨	١١-٤	(١)
(ب)				
٥٠ - « بسم الله » - وأوله عن علي أنه أتى بدابة ليركبها ... قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ... » .	علي	٢٧٩	١١-٤	(٢)
٥١ - « بلى » أول الحديث رقم ١١ ... أعوذ بكلمات الله ...	مرسل عن يحيى ابن سعيد	١٠	٢-١	(١)
(ت)				
٥٢ - التعوذ من شرفة نبي المسيح الدجال بعد التشهد الأخير .	جماعة من الصحابة	١٩٧	٩-٨	(٣)
(ح)				
٥٣ - « الحمد لله نستعينه ونستغفره ... » - من خطبة الحاجة .	ابن مسعود	١١٧	٣	(٣)
٥٤ - حديث حنين الجذع : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأثاه فمسح يده عليه » .	ابن عمر	٤٢	١٧	(٣)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
(خ)				
٥٥ - « خصلتان يسأل عنهما كل أحد ... أوله : قال أبو العالية : « قوله : (فوربك لنسألنهم أجمعين ...) .. الخ » - أثر بمعنى حديث مروي عن أنس .	أثر عن أبي العالية	٢٤	١٢-٩	(١)
٥٦ - « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا .	سفينة	٢٦٧	٤	(٤)
٥٧ - « خير أمتي بعدى أبو بكر وعمر » .	علي والزبير	٢٦٢	١٩-١٦	(١)
٥٨ - « خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ... » .	جماعة من الصحابة	٢٥٣	٥-٤	(٢)
٥٩ - « والخير كله في يديك والشر ليس إليك » من حديث دعاء الاستفتاح وأوله : « وجهت وجهي للذي فطر السماوات ... » . وانظر رقم ١١٨ ، ١٨ .	علي	١٢٦	١٧-١٦	(٢)
(د)				
٦٠ - الدجال الكبير - بعض أخباره . وانظر رقم : ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .	جماعة من الصحابة	١٩٨-١٩٧	١٧ (ص ١٩٧) (٢٤١) ٨ (ص ١٩٨)	
(ر)				
٦١ - « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » انظر الحديث رقم ٧٢ .	ابن عباس	٣٤-٣٣	١-١٦	(١)
٦٢ - « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور » .	ابن عمر	٢٢٦	٩-٧	(٢)
		٢٧٨	١٣-١١	(٧)

ت	س	ص	الصحابي الراوي	الحديث
(١)	١٤-١٣	٢٣٩	أبو هريرة وابن عباس	٦٣ - قوله تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال تعالى : قد فعلت »
(٥)	٩-٤	١١٧	جماعة من الصحابة	٦٤ - « ربنا ولك الحمد ملء السماوات » - الحديث فيما يقال بعد رفع الرأس من الركوع .
(ز)				
(١)	٢-٧	١٣-١٢	نسب إلى ابن عمر	٦٥ - حديث زريب بن برثمة وهامة ابن الهيم - حديث موضوع .
(س)				
(١)	١-١٦	٣٣-٣٢	عائشة	٦٦ - « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » - كان صلى الله عليه وسلم يقولها في ركوعه وسجوده يتأول القرآن .
(٢)	٤-٢	٢٧٨		٦٧ - سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت . . . » - الحديث في كفارة المجلس .
(١)	٣-٢	١١٨	جماعة من الصحابة	٦٨ - « سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكراً » - السجود في آية ٢٤ من صورة ص ، وانظر الحديث رقم ١١٥ .
(٤)	١٥-١٣	٣٣	ابن عباس	٦٩ - سجود الآيات - وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيتم آية فاسجدوا . . . » الخ .
(١)	١٠	٣٦	ابن عباس	

الحديث	الصحابي الراوي	ص	ص	ت
٧٠ - « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ... أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي » - وانظر الحديث رقم ٣.	شاذان بن أوس	١١٧	١	(١)
(ش)				
٧١ - حديث الشفاعة .	جماعة من الصحابة	١٥٠	٩-٧	(٢)
(ص)				
٧٢ - « ص ليس من عزائم السجود وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها » - وانظر الحديث رقم ٦١ .	ابن عباس	٣٣-٣٤	١-١٦	(١)
٧٣ - أحاديث صفة الدجال الكبير : أنه أعور ، وأنه مكتوب بين عينيه كافر ... الخ - وانظر الحديث رقم ٦٠ .	أنس	١٩٨	٧-٥	(٣)
٧٤ - صلوا كما رأيتموني أصلي . وأوله : حدثنا مالك : أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون ... الخ .	مالك بن الحويرث	٨١	١١-١٣	(٤)
(ط)				
٧٥ - « طول القنوت » - وأوله : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت .	جابر	٥	٨-٧	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
(ع)				
٧٦ - « على المرء المسلم السمع والطاعة... »	ابن عمر	٢٧٤	٧-٥	(٣)
٧٧ - « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي... »	العرياض بن سارية	٢٦٧	٣-٢	(٣)
(ف)				
٧٨ - «... فن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك... » - جزء من الحديث القدسي في تحريم الظلم ، وأوله : « يا عبادي إني حرمت... » وانظر الحديث رقم ٤٣ .	أبو ذر	١١٧	٣-١	(٢)
(ق)				
٨٩ - « قال الله لهم : ادخلوا الباب سجداً... » .	أبو هريرة	٣٠	٥-٣	(١)
٨٠ - « قالوا : هطئ سقمائنا... » - أثر موافق لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .	ابن مسعود	٣١-٣٠	٣-١٢	(١)
٨١ - « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين... »	أبو هريرة	٢٧٢	١٢-٦	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
(ك)				
٨٢- كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته قبل أى وجه توجّهت به ويوتر عليها ، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة.	جماعة من الصحابة	٣٥	١-٣	(١)
٨٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال : اللهم أنت السلام .. الخ .	ثوبان	٢٥٨	١-٢	(١)
٨٤- كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى نواحيها ... فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .	على بن أبى طالب	٤٢-٤٣	١٧-٣	(٢)
٨٥- « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم » (وبنفس المعنى استحباب ابتداء كل خطبة بحمد الله) .	أبو هريرة	١٠٨	٣-٤	(١)
٨٦- « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .	أنس	٢٢٥	١٠-١١	(٥)
٨٧- « كل حرف فى القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة »	أبو سعيد الخدرى	٧	١٢-١٣	(١)
٨٨- « كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل ... » وانظر الحديث رقم ٣٥ .	عقبة بن عامر	٢٠	١٢-١٣	(١)
٨٩- « كل معروف صدقة » .	جابر	٨٣	٧-٨	(٣)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٩٠ - « كل مولود يولد على الفطرة ... »	جماعة من الصحابة	١١	١٣	(٣)
(ل)		٢٤٤	٤-١	(١)
٩١ - « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... » - وأوله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أو حج أو عمرة ... الخ . »	ابن عمر	٢٧٨-٢٧٩	١٤-٣	(١)
٩٢ - « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق . »	أبو ذر	٨٣-٨٤	١٥-١	(١)
٩٣ - « لا تسبوا أصحابي ... »	أبو سعيد الخدري وأبو هريرة	٢٥٣	٢-٤	(١)
٩٤ - « لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالون ... » - وانظر الحديث وقم ٢٧ .	أبو هريرة وابن عمر وثوبان	١٩٧	٥-٦	(١)
٩٥ - « لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق »	النواس بن سمعان	٢٧٤	٥	(٢)
٩٦ - « لا هجرة بعد الفتح ... »	ابن عباس وعائشة	٢٥٤	٢-٤	(١)
٩٧ - « لا يابنت الصديق ، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ... » وهو إجابة عن معنى الآية رقم ٦٠ من سورة « المؤمنون » .	عائشة	٢٥٧	٤-١	(١)
٩٨ - « لتركبن سنن من كان قبلكم ... » . لفظ البخاري ومسلم : « لتقبن سنن من كان قبلكم ... » .	جماعة من الصحابة	٢٧١	١٢-١٤	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
٩٩ - « لقد أوتى هذا زمزماً من زمير آل داود » - ولفظ البخاري : « يا أبا موسى لقد أوتيت زمزماً ... »	أبو موسى الأشعري	٢١٣	١٣ - ١٤	(٢)
١٠٠ - « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » - وأوله : « قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي . . وفيه : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ... الخ »	عمر بن الخطاب	١٢٧	١ - ٣	(١)
١٠١ - « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه . . »	جماعة من الصحابة	٢٢٤ - ٢٢٥	٥ - ٩	(١)
١٠٢ - « لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج . . . » - متواتر روى بمعناه هو والحديث السابق عن عدد من الصحابة	جماعة من الصحابة	٢٢٥	٣ - ١٠	(٢)
١٠٣ - « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله .. » - أوله : سددوا وقاربوا وأبشروا ...	عائشة وأبو هريرة	١٤٥	٥ - ٦	(٢)
١٠٤ - « لو اتفقا على شيء لم أخالفكما . »	وجابر	١٤٦ - ١٤٧	١٤ - ٢	(٢، ١)
(م)		٢٦٧	١	(٢)
١٠٥ - « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ... » .	عدي بن حاتم	٨٣	١٠ - ١٤	(٤)
١٠٦ - « ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة والنار . . وفي رواية : « ... إلا وقد كتب ... »	علي بن أبي طالب	٩٣	٤ - ٩	(١)
		١٤٦	٣ - ٧	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٠٧ - « من بدل دينه فاقتلوه » .	ابن عباس	٢٦١	٥ - ٢	(٢)
١٠٨ - « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » .	أبو هريرة	٢٢٤	٦ - ٥	(٥)
١٠٩ - « من تكفل لي بما بين لحييه وما بين رجليه . . . » - وفي رواية : « من يضمن لي . . . » وفي أخرى : « من توكل لي . . . » .	جماعة من الصحابة	٢٣٠	١١ - ١٣	(١)
١١٠ - « من خير الناس بعد رسول الله . . . » - خبر روى موقوفا ومرفوعا .	علي بن أبي طالب	٢٦١	١١ - ٧	(٤)
١١١ - « من قال إذا أصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة . . . » .	عبد الله بن غنم	١٠٧	١٩ - ١٥	(٢)
١١٢ - « من قال حين يصبح : الحمد لله ربى لا أشرك به شيئا . . . » .	أبان الحاربي	١٠٨	١٠ - ٧	(٤)
١١٣ - « من نوقش الحساب عذب . . . »	عائشة	١٥٠	٦ - ٣	(١)
١١٤ - « منك وإليك » - أوله : كان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته قال : ... « الخ - وفي رواية : اللهم منك ولك عن محمد وأمه » .	جابر	٨٢	١٥ - ١٤	(٥)
(ن)				
١١٥ - « نبيكم ممن أمر أن يقتدى به ، سجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » - وانظر الحديث رقم ٦٨ .	ابن عباس	٣٣	١٦ - ١٥	(٥)

الحديث	الصحابى الراوى	ص	س	ت
(هـ)				
١١٦ - « هذا رجل لا يحب الباطل » - وأوله : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ... » .	الأسود بن سريع	٢٠	١٦ - ١٨	(٢)
١١٧ - « هي من قدر الله » - وفيه : « يا رسول الله ، أ رأيت أدوية تتدواى بها ... هل ترد من قدر الله شيئاً ... » .	أبو خزيمة	٩٣	١٥ - ١٦	(٣)
(و)				
١١٨ - « وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض ... » - الحديث فى دعاء الاستفتاح - وانظر الحديث رقم ١٨ والحديث رقم ٥٩ .	على بن أبى طالب	١٢٦	١٦ - ١٧	(٢)
١١٩ - « يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة ... » وأوله : كشف النبي صلى الله عليه وسلم الستارة ... الخ .	ابن عباس	٣٣	٣ - ٨	(٣)
١٢٠ - « يا أبا ذر تدرى أين تذهب الشمس ؟ ... » .	أبو ذر	٣٦	١٢ - ١٦	(٢)
١٢١ - « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة » . وفى رواية « ... إلى ربكم ... » .	ابن عمر	٢٢٣ - ٢٢٤	١٨ - ١	(١)
		٢٧٨	٩ - ١٠	(١)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٢٢ - « يا باغياء العرب ، يا باغياء العرب ، إن أخوف ما أخاف عليكم الزنا والشهوة الخفية » وفي لفظ : الرياء .	عبد الله بن زيد	٢٣٢ -	١٤ - ٣	(١)
١٢٣ - « يا سلمان لا تبغضني فتقارق دينك ... » .	سلمان	٢٨٧	١٠ - ١٢	(٣)
١٢٤ - « يا مالك يوم الدين إياك نمجد وإياك نستعين » وأوله : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ... » .	أبو طلحة	٨٢	١٠ - ١١	(٤)
١٢٥ - « يا معشر العرب لتفضيل رسول الله إياكم ... » .	سلمان	٢٨٨	٥ - ٧	(٢)
١٢٦ - يأمر (الرجال) السماء فتُمْطر والأرض فتنبث - الحديث في صفة الرجال وأوله : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال ذات غداة » وانظر الحديث رقم ٥٩ .	النواس بن سمعان	١٩٧ - ١٩٨	٩ - ١	(١)
١٢٧ - « ... يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ... » حديث الخوارج وأوله : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما ... » .	أبو سعيد الخدري	٢٣١	١٢ - ١٦	(١)
١٢٨ - يقتل الرجال رجلا مؤمنا ثم يقول : قم - الحديث في صفة الرجال وأوله : « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ... » وانظر الحديث رقم ٥٩ .	أبو سعيد الخدري	١٩٨	١ - ٤	(٢)

الحديث	الصحابي الراوي	ص	س	ت
١٢٩ - يقتل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام الدجال - خبر مروي في أكثر من حديث ، وانظر الحديث رقم ٥٩ .	جماعة من الصحابة	١٩٧	٧	(٢)
١٣٠ - « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان » - جزء من حديث الخوارج السابق ، وانظر رقم ١٢٧ .	أبو سعيد الخدري	٢٣٣	٢ - ٤	(١)
١٣١ - « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يحدثونكم ... »	أبو هريرة	١٩٨ - ١٩٩	١ - ١٠	(١)

فهرس الشعر واللغة

(١) الشعر

صدر البيت	عجزه	بحره	عدد الأبيات	قائله	ص	س	ت
أنهجوه	الفداء	وافر	١	حسن بن ثابت	١٣٣	٧	(١)
وصاحب	أجر	طويل	١	—	١٢٤	١٢	(٢)
إذا	اعتذر	بسيط	١	البحترى	٢٥٦	١٦٠١٥	(١)
بجيش	للحوافر	طويل	١	زيد الخليل	٣٨	١٣	(٢)
					٤١	١٩	
					٤٤	٢٢	
وكلتاها	تحتف	طويل	١	أبو الأخرز الحمانى	٣٩	٧	(٤)
من	مختالا	بسيط	١	الأخطل	٧٦	٢	(٢)
مقام	الولى	متقارب	١	ابن عربى	٢٠٩	١٠	(١)
ما	ذم	منسرح	٢		١٠٥	١١٠١٠	(٤)
إن	ألك	رجز	٢		٢٢٦	٦	(٢)
وكل	ونظامه	طويل	١	ابن عربى	١٥٧	١٧	(١)

(ب) اللغة

اللفظ	ص
الحجرات	٣٩
السجود	٣٩-٣٨٠ ٢٨-٢٧
السنة	٥٥
الصلاة	٢٨
الظلم	١٢٥-١٢٤
القنوت	١٨٠٧-٥
الكبا والكبة	٢٨٧
اللهو	٢١
المواخذة	١٣٥

فهرس الأعلام*

(١)

آدم (عليه السلام): ١١-١٣، ٢٢٠، ٢٢١.

الآجرى ر أبو بكر محمد بن الحسين: ١٢:
أبان المحاربى (رضى الله عنه): ١٠٨:
إبراهيم (عليه السلام): ٥٠، ٢٠،
٢٤، ٢٧، ٦٦، ١١٨، ١٢٦،
١٥٠، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٦٩.

إبراهيم بن الحسن القسسى: ٣٤:
إبراهيم بن عبد الله القارىء: ١٠٤، ١١٣:
إبليس = الشيطان: ١٢، ١٦، ٥٧،
٩٥، ١٠٦، ١٥٢، ١٩٢،
١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٩،
٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦،
٢٦٩، ٢٧٦.

ابن آدم: ٢٣٣:
ابن أبي جعفر (في سند): ١٧:
ابن أبي حاتم: ٧-١٠، ١٧، ١٨،
٢٩-٣١، ٣٧، ٦٣، ٧١:
ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد):
(١٣٩)

ابن أبي شبة: ٦٣:
ابن أبي طلحة (على): (٨)

ابن أبي عمر: ٣٤

ابن أبي مليكة: ٢٥٧

ابن أبي نجيح: ٩

ابن أبي يعلى (أبو الحسين محمد بن
محمد): (١٦٠)

ابن الأنبارى (أبو بكر): (١٠)، ١٨،
١٢٤، ١٢٩

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن عبد الحليم):
٩٠٧، ١٣، ١٩، ٢٣، ٥٧، ١٠٥،

١١١، ١١٧، ١٢١، ١٢٨،

١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥،

١٦٢-١٦٤، ١٨٧، ٢٠٣،

٢٠٤، ٢١٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠،

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن

ابن على): (٦)، ١٠، ١٨، ٣١،

٤٠، ٤١، ٤٤، ١٠٩، ١٢٤،

١٢٧، ١٣٩، ١٨٨، ٢٨٨،

ابن حامد (أبو عبد الله الحسن):

(١٦٠)

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد):

١٥٩، ١٧٠، ١٧١،

ابن حميد (محمد الرازى): ١١

ابن حمويه (محمد بن عبد الله): (١١٤)،

١١٥

ابن زيد: ٣٨، ٢٣٦

(*) الأرقام التي بين الأقواس تشير إلى الصفحات التي ترجمت فيها للأعلام.

(٢٢ جامع الرسائل - ١)

ابن كيسان : ١٨
 ابن لهيعة : ٧ ، ١٤
 ابن مسعود (عبد الله رضى الله عنه) :
 ٣٠ - ٣٢ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ١١٧ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٦
 ابن ملكا (أبو البركات هبة الله) :
 (١٨٠ - ١٨١)
 ابن المنذر : ٦٣ ، ٢٣٦
 ابن وهب : ٧ ، ٣٧

* * *

أبو الأخرز الجاني (الشاعر) : ٣٩
 أبو إسماعيل الأنصاري (عبد الله بن
 محمد المروى) : (١١٦)
 أبو الأسود الدئلي (ظالم بن عمرو
 الدؤلي) : ١٢٢
 أبو الأشهب : ٢١٩
 أبو أمانة الباهلي (رضى الله عنه) :
 ١٩٨
 أبو بردة : ٢٢٣ ، ٢٢٤
 أبو برزة الأسلمي (رضى الله عنه) :
 ٢٢٩
 أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) :
 ٣٣ ، ٢٠٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٧
 أبو بكر الأعمى (المعتزلي) : ٢٤٦
 أبو بكر الخطيب : ١٤ ، ١٨٨
 أبو بكر بن خلاد : ٣٤

ابن سبعين : (١٠٤) ، ١٦٤ ، ١٦٧
 ابن سينا : ١٦٢
 ابن شافلا : (١٦٠)
 ابن عباس (عبد الله رضى الله عنه) :
 ١٠٤ ، ١٠٨ - ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣١ -
 ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٦١ - ٦٤ ،
 ١٠٨ ، ١٣٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨
 ابن عبد البر : ١٠٨

ابن عربي (محي الدين) : (١٠٤) ،
 ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٥٧ ،
 ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ -
 ٢٠٧
 ابن عساكر (علي بن الحسن) :
 (١٣٨)
 ابن عطية : ٣٩
 ابن علي الخطبي (أبو محمد إسماعيل) :
 (١٨٨)
 ابن عليه (إبراهيم بن إسماعيل المعتزلي) :
 ٢٤٦
 ابن الفارض : ١٦٧
 ابن قتيبة : ٦ ، ٢١ ، ٣٩
 ابن كثير (إسماعيل بن أبي كثير القرشي) :
 ١٣٢
 ابن كرام (أبو عبد الله محمد) : (١٦١)
 ابن كلاب (أبو محمد عبد الله بن سعيد) :
 (١٥٩) ، ١٨١ ، ١٨٢

أبو بكر عبد العزيز (بن جعفر) : (١٨٢)
 أبو بكر الهذلي : ٦٤
 أبو جعفر (في سند و لعله عيسى بن عبد الله
 الرازي) : ١٧
 أبو جعفر الحافظ الكوفي : ٢٨٧
 أبو جهل : ٢٠٤ ، ٢١٠
 أبو الحسين البصري (محمد بن علي الطيب
 المعتزلي) : (١٨٠)
 أبو حنيفة (الإمام) : ١٧٧ ، ١٧٣ ، ٣٥
 أبو خزيمة (رضي الله عنه) : ٩٣
 أبو الخير الأقطع : ١٩١
 أبو داود (سليمان بن الأشعث صاحب
 السنن) : ١٠٧ ، ٢٣٣
 أبو الدرداء (رضي الله عنه) : ٢٦٦
 أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) : ٣٦ ،
 ٤٢ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ١١٧ ، ١٤٨
 أبو رافع (رضي الله عنه) : ٢٣٠
 أبو زرعة : ١٩١
 أبو سعد الأزدي : ٣٠ ، ٣١
 أبو سعيد الأشج : ١٠
 أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) : ٧ ،
 ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥
 ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧١
 أبو سعيد الخراز : ١٠٥ ، ١٦٤
 أبو سلة (محمد بن عبد الله بن زياد
 الأنصاري) : ١٤
 أبو سهل الصموكي (١٧٧)

أبو الشيخ الأسبهاني (أبو محمد عبد الله
 ابن محمد بن حيان) : (١٣٩)
 أبو صالح (في سند) : ٣١
 أبو طالب المكي : (١٨١ - ١٨٢)
 أبو طلحة (رضي الله عنه) : ٨٢
 أبو الطيب الصموكي (سهل بن محمد) :
 ١٧٧
 أبو عاصم (في سند) : ٢٢٦
 أبو العالية : ٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٤٠ ،
 ٤٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧
 أبو عباد بن أبي يزيد : (٤٣)
 أبو عبد الرحمن السلمي : ١٨٨
 أبو عبد الله بن بطة : (٨٧)
 أبو عبد الله بن طاهر : ٣٥ ، ٣٦
 أبو عبيدة : ٦٢ ، ٦٣
 أبو العلا عفيفي (الدكتور) : ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
 أبو عمرو (المقرئ) : ٣ ، ١٣٢
 أبو القاسم البغوي : ٨٢
 أبو قتادة : ٢٦٧
 أبو الكنود : ٣٠ ، ٣١
 أبو لهب : ١٧٨ ، ٢٠٤
 أبو مالك (في سند) : ٨ ، ١١ ، ١٧
 أبو محمد الجسري : ١٨٩
 أبو مكنف : ٢٨
 أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) :
 ٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٢ ، ٢٧٦

أحمد بن محمد بن سالم (أبو الحسن)
(١٨١ - ١٨٢)

أحمد بن يونس : ١٨٩

الأخطل (الشاعر) : ٧٦

أرسطو : ١٠٤ ، ١٦٨

أسباط (في سند) : ١٠

إسحاق (عليه السلام) : ٢٤

إسحاق بن بشر الكاهلي : ١٤

إسحاق (لعله ابن راهويه) : ١٧

إسرافيل (عليه السلام) : ٢٠٧

إسماعيل (عليه السلام) : ٢٤

إسماعيل السدي : ٤٣

الأسود بن سريع (رضى الله عنه) :

٢١ ، ٢٠

الأسود العنسي : ٢٧٣

الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل) :

٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٢٢ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ،

١٨١ ، ١٨٢

الأعمش : ٢٩

الأغر المزني : ٢٢٣ ، ٢٢٤

الأقرع بن حابس (رضى الله عنه) :

٢٦٧

ألبير نصرى نادر (الدكتور) :

١٧٣

امراة العزيز : ٧١

أبو نعيم (الأصبهاني) : ٨٢

أبو الهذيل اللعاف : ١٧٣

أبو هريرة (رضى الله عنه) : ١٢ ،

١٥ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٤٧ ، ١٧٩ ،

١٩٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ،

٢٥٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨

أبو الهيثم : ٧

أبو يعقوب التهرجورى : ١٨٩ ، ١٩١

أبو يعلى (القاضي) : ١٠٩ ، (١٢٢) ،

١٢٧ ، ١٦٠ ، ١٧٧

أبو يوسف القزويني (عبد السلام بن

محمد) : (١٨٨)

أبى بن كعب (رضى الله عنه) :

١٢ ، ٤٣

* * *

أحمد بن حنبل (الإمام) : ٧ ، ١٢ ،

١٧ ، ٣٥ ، ٨١ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ،

١٦١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

٢٤٧ ، ٢٦٦

أحمد بن سنان : ٨

أحمد زكي عطية (الأستاذ) : ٢٠٩

أحمد شاكر (الأستاذ الشيخ) : ٧ ،

٨ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩

أحمد بن عثمان البصرى : ٢٢٦

أحمد بن فاتك : ١٥٨

أحمد فريد رفاعى (الدكتور) : ١٤١

(ج)

جابر بن سمرة (رضى الله عنه) :

٤٣، ٤٢

جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) :

٨٢، ٥ - ٨٤، ١٤٧، ٢٤٢، ٤٤٢

جبريل (عليه السلام) : ١٠، ٦٤، ٢٥٧، ١٦٢، ١٥٩، ٩٢

جرير بن حازم : ١٢

الجمد بن درهم : ١٧

الجندب (بن محمد أبو القاسم) : (١٨٩)

جهم بن صفوان (أبو محرز السمرقندي) :

١٧٩، ١٢٣، ٨٨، (١٦-١٧)

الجويني (أبو المعالي عبد الملك بن

يوسف) : (٢٣)، ١٧٩،

(ح)

الحارث بن أسد المحاسبي (أبو عبد الله)

(١٨١)

الحارث بن سريج : ١٧

الحارث بن عبد المطلب بن هاشم

(أبو سفيان) : ١٣٣

الحافظ السلفي : ٢٨٨

الحاكم (صاحب المستدرک) : ١٢، ١٤٠

حبيب التجار : ٦٥، ٦٦

حجاج (بن محمد الأعور) : (٦٢)

حذيفة (رضى الله عنه) : ٨٣، ٢٦٦

أنس بن مالك (رضى الله عنه) :

٢٤، ٤٣، ٨٢، ١٤٧، ١٩٨،

٢٤٢، ٢٢٥

الأوزاعي : ٨، ٢٥٨

إياس بن معاوية (بن قرّة المزني) :

(١٢٢)

أيوب (عليه السلام) : ١٣٧

(ب)

الباجي (أبو الوليد) : (١٢٣)

البحترى (الشاعر) : ٢٥٦

البخاري (الإمام) : ٦١، ٨١، ١٦٩،

٢٥٧، ٢٦١، ٢٧٢

البراء بن عازب (رضى الله عنه) :

٢٢٥

بشر المريسي : ٢٤٦

البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود

الفراء) : ١٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤،

١٠٩، ١٢٤، (١٦٠) - وانظر

الفراء

بولس : ٢٦٠

(ت)

الترمذي : ٧، ١٢، ٢٦٢، ٢٨٧

التلمساني : ١٦٧

(ث)

الثعلبي : ١٨، ٦٣

ثوبان (رضى الله عنه) : ١٩٧، ٢٥٨

الحريري (أبو الحسن علي بن الحسين

ابن منصور) : (١١٤)

حسان بن ثابت (رضي الله عنه) :

١٢٣

الحسن (البصري) : (٣١، ١٨، ٨، ٣١،

٦٢، ٦٣، ٨٤، ١١٦، ١٣٩،

١٥٩، ١٤٠

الحسن بن علي (رضي الله عنهما) :

٢٦٧

الحسن بن علي العسكري : ٢٦٣

حسن بن موسى الأشيب : ٧

الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله

عنهما) : (٢٦٣، ٢٦٤)

الحسين بن الفضل : ٣٥

حسين بن محمد : ١٢

الحسين بن واقد : ١١

حفص الفرد : (١٥٦)، ١٧٣،

الحلاج (الحسين بن منصور) : (١٥٨،

١٨٥، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٩،

الحجاني : ١٧

حميد بن عبد الرحمن الحميري : ١٧٨

حواء = زوج آدم : ٥٣، ٢٢٠

(خ)

خفيف : ٩، ٣٠

الخطيب البغدادي = أبو بكر الخطيب

الخلال : ١٦١

(د)

الدارقطني : (٢٦٢)

داود (عليه السلام) : ٣٢ - ٣٦ ،

٢٦٩، ٢٧٠

داود بن الحبر : ١٦٨

الدجال : ١٩٧ - ١٩٨

درّاج (أبو السمح) : ٧

(ذ)

ذو الحويصرة : ٢٣١

ذو النون = يونس (عليه السلام) :

٢٧٠

(ر)

الرازي (فخر الدين أبو عبد الله محمد

ابن عمر) : (١٨١)

الراسبي : ١٤

الربيع بن أنس : ١٧، ١٨، ٢٩، ٣١،

(ز)

الزبير بن العوام (رضي الله عنه) :

٢٦٢ .

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري

ابن سهل) : (٦)

زريب بن برملي : ١٣

زكريا بن إسحاق : ٢٢٦

زكي مبارك (الدكتور) : ١٤١

زيد الخيل (الشاعر) : ٣٨

(ش)

الشافعي (الإمام) : ١٢٢ ، ١٧٧ ،

١٧٨

شداد بن أوس (رضي الله عنه) : ١١٧ ،

٢٣٣ ، ٢٣٢

شريك : ١٧ ، ٩

الشعبي : ٨

شعيب (عليه السلام) : ٥٩ ، ٦١ -

٢٢١ ، ٦٥

شعيب الجبائي : (٦٢)

(ص)

صالح (عليه السلام) : ٦٣ ، ٢٢١

صفوره (امراة موسى عليه السلام)

= صفورا = ٦٢

صلاح المنجد (الدكتور) : ١٠٤

صهيب (رضي الله عنه) : ١١٠

(ض)

الضحَّاك : ٣١ ، ٢٣٦

ضرار بن عمرو : (١٥٦) ، ١٧٣

(ط)

طاووس : ٣٧ ، ٣٩

الطبري (ابن جرير) : ٢٩ ، ٦٢ ،

٢٣٦ ، ٧١

طه عبد الباقي سرور (الأستاذ) : ٢٠٩

(س)

سالم (في سند) : ١٧

السدي : ٨ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،

٤٢ ، ٦٤

سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) :

١٣

سعيد بن جبير : ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،

٢٩

سعيد بن منصور : ٦٣ ، (٢٨٨)

سفيان الثوري : ٨ ، ٢٩

سفيان بن عيينة : ١٥١

سفينة (رضي الله عنه) : ٢٦٧

سلمان (الفارسي رضي الله عنه) :

٢٨٨ ، ٢٨٧

سلمة بن وهرام : ٦٢

سليمان (عليه السلام) : ٣٣ ، ٤٣ ،

٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

سليمان بن أحمد : ١٤

سليمان الندوي (الأستاذ) : ١٨١

سنيد بن داود : (٦١)

السهروردي (عمر بن محمد) : (١١٣) ،

١١٤

السهروردي (المقتول) : ٥٢ ، ١١٣

سهل بن سعد (رضي الله عنه) : ٢٣٠

سهل بن عبد الله (التستري) : ٤٥

السيد أحمد صقر (الأستاذ) : ٦ ، ٣٩

(ع)

عائشة (رضى الله عنها) : ١١٥ ، ٣٢ ،

١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ٢٥٧ ،

٢٧٨

عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) :

١٩٨

عباد بن يعقوب الكوفي : ٤٣

العباس بن عبد المطلب (رضى الله عنه) :

٢٨٧

عبد بن حيد : ٢٣٦ ، ٧١

عبد الرحمن بن أبي عمرة : ١٧٩

عبد الرحمن بدوي (الدكتور) : ١٦٣

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ٨ ،

١٣٣ ، ٣٧

عبد الرحمن بن مهدي : ٨

عبد الرزاق : ٧١

عبد الغافر (بن إسماعيل) الفارسي :

(١٦٩)

عبد الله بن أحمد بن حنبل : ١٢ ، ٧

عبد الله بن أوفى : ٢١٣

عبد الله بن زيد : ٢٣٣

عبد الله بن سبأ : (٢٦٠ - ٢٦١)

عبد الله بن سعد الياضي اليماني : ١١٣

عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) :

١٣ ، ١٤ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٧٨ ،

١٩٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،

٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) :

١٣ ، ٢٣٩ ،

عبد الله بن غنم (رضى الله عنه) :

١٠٧

عبد الله بن المبارك : ١٧

عبدوس بن مالك المطار : ١٦١

عثمان بن عفان (رضى الله عنه) : ٢٠٦ ،

٢٣٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦

عدى بن حاتم (رضى الله عنه) :

٨٣ ، ٢٦٠

المرباح بن سارية (رضى الله عنه) :

٢٦٧

عزير : ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥٩

العزير (عزير مصر) : ٧١

عطاء : ٨ ، ١٨ ، ٣١ ، ٢٢٦

عطية : ١٠

عقبة بن أبي معيط : ٢٠٤

عقبة بن عامر (رضى الله عنه) : ٢٠

العقيلي : ١٤

عكرمة : ٨ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٦٤ ، ٩٨ ، ٢٣٦

علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) :

٤٣ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٢٦ ، ٢٠٦ ،

٢٣٢ ، ٢٦٠ - ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،

٢٧٧ - ٢٧٩

طى بن أحمد الحاسب : ١٨٧

طى بن سهل الأصهباني : ١٨٩

(ف)

الفراء (لعله البغوى) : ٣٩ ، ٤٠

فراس : ٨

فرعون : ١٥ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ١٥٦ ،

١٥٨ ، ١٦٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ،

٢٠٧ - ٢١٦ ، ٢٣١ - ٢٣٥

الفضيل بن عياض : ٢٥٧

فؤاد سيد (الأستاذ) : ٨٧

(ق)

قارون : ٢١٠ ، ٢١٥

قنادة : ٨ ، ١٨ ، ٣١ ، ٧١ ، ١٣٠

قتيبة : ٣٤

القشيري : ١٩١

القعقاع بن حكيم (رضى الله عنه) : ٢٦٧

(ك)

كعب الأحبار : ١٠ ، ١٣٨

الكعبى : ١٥٦

الكلاباذى (أبو بكر محمد بن إسحاق) :

١٦٠

كلثوم بن جبر : ١٢

كيسان : ٢٦٤

(ل)

ليا (امرأة موسى عليه السلام) = ويقال

شرفا : ٦٢

ليث بن سعد : ٨ ، ٢٣٥

على بن عبد الحكم : ٢٢٩

على بن مر الأرمي : ٢٥٦

عماد الدين قره أرسلان بن داود

(الملك) : ٥٢

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٩ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٧٨ ،

٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩

عمران بن حصين (رضى الله عنه) :

١٢٢

عمرو (فى سند) : ٢٣٥

عمرو بن الحارث : ٧

عمرو بن دينار : ٣٧ ، ٢٢٦

عمرو بن العاص (رضى الله عنه) :

٢٢٩

عمرو بن عبيد (أبو عثمان) : ١٧٣ ، ١٧٨

عمرو بن عثمان الكلى : ١٨٩

عمرو بن يحيى الكلى : ١٩١

عيسى بن مريم = المسيح : ١٣ ، ١٨ ،

١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ٩٨ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٩٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ،

٢٨٣

(غ)

الغزالى = أبو حامد : ١٢٣ ، ١٤١ ،

١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢

(م)

مالك بن أنس (الإمام) : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٢٢

مالك بن الحويرث (رضى الله عنه) :

٨١

المالودي : ٨٢

مبارك بن فضالة : ١٣٩

المنفي : ١٧

مجاهد : ٨ ، ٩ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٣

محمد = رسول الله = النبي (صلى الله

عليه وسلم) : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩

٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ -

٢٦٢ ، ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ٢٧١ -

٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ -

٢٨٩ ، ٢٩٠

محمد بن أحمد بن سالم (أبو عبد الله) :

(١٨١ - ١٨٢)

محمد بن الحسن (المهدي المنتظر عند

الإمامية الاثني عشرية) : ٢٦٣

محمد بن الحنفية : ٢٦١ ، (٢٦٤)

محمد بن داود الأصبهاني : ١٨٩

محمد بن سليمان الجوهري : ١٦١

محمد بن كعب القرظي : (١٠٦)

محمد مصطفى حلمي (الدكتور) : ٥٢

محمد ناصر الدين الألباني (الأستاذ

الشيخ) : ١٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨

محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني :

(٢٨٨)

محمد بن يحيى الرازي : ١٩١

محمد بن يزيد بن خنيس : ٣٤

محمود محمد شأكر (الأستاذ) : ١٢ ، ١٣ ، ٣٨ ، ٢٩

المختار بن أبي عبيد الثقفي : ١٨٠ ، ٣٦٤

مروة (في مسند) : ٣١

مريم (البتول) : ٨ ، ١٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨٣

مسروق : ٨

مسلم : ٣٣ ، ٣٤ ، ١٦٩ ، ٢٧٢

النضر بن الحارث : ٢٠٤

نضلة بن جمونة : ١٣

النظام : ١٢٩ ، ١٥٦ ، ٢٧٣

النعمان بن بشير (رضى الله عنه) :

٢٢٥

النواس بن سمعان (رضى الله عنه) :

٢٧٤ ، ١٩٨

نوح (عليه السلام) : ١٥ ، ٩٦ ، ١٢٧ ،

١٥٠ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ،

٢٨٣ ، ٢٦٩

(هـ)

هارون (عليه السلام) : ١٦٦ ، ٢٠٤ ،

٢١٠ ، ٢٠٨

هامان : ٢٠٤ ، ٢١٥

هامة بن الهيم (بن لاقيس بن إبليس) :

١٣ ، ١٤

هشام بن الحكم : ١٨٠

هود (عليه السلام) : ٦٣ ، ٦٤ ،

٢٢١ ، ٩٦

الهيشمي : ١٢

(و)

واصل بن عطاء : ١٧٣ ، ١٧٨

واقد : ١١

وكيع بن الجراح : ١٧

الوليد (في سند) : ٢٥٨

مسلم بن يسار : ١٢

مسيلة (الكذاب) : ١٩٧ ، ٢٧٣

مطرف : ١٠

معاذ بن جبل (رضى الله عنه) : ١٥

معاوية بن صالح : ٨

معبد الجهني : ١٧٨

مقاتل (في سند) : ١٨ ، ٣٠ ، ٤٠

مقاتل بن حيان : ٨

مقاتل بن سليمان : ١٧

النهال : ٢٩

موسى (عليه السلام) : ١٥ ، ٢٤ ، ٦١ -

٦٦ ، ٨٩ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢١٠ - ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ،

٢٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤

موسى بن إسماعيل : ٣٤

ميكال = ميكايل (الملك عليه السلام) :

٩٢ ، ٢٥٧

ميمون بن مهران (أبو عمرو) :

(١٢٩)

(ن)

نافع (المقرئ) : ١٣٢

النجار (أبو عبد الله الحسين بن محمد) :

(١٥٦)

نصر بن سيار : ١٧

وهب بن منبه : ٢٩

(ى)

يثرى = يثرون = أرون : ٦٢

يحيى بن رافع : ٣١

يحيى بن سعيد : ١٠

يحيى بن واضح : ١١

يحيى بن يعمر : ١٧٨

يزيد النحوى : ٢١

يزيد بن الهاد : ٢٣٥

يعقوب (عليه السلام) : ٢٤

يوسف (عليه السلام) : ١١٥ ، ٧١ ، ١١٥ ، ١١٥

٢٣٤ ، ١٣٣

يوشع (عليه السلام) : ٥٢

يونس = ذو النون : ٢٧٠

فهرس القبائل والفرق والطوائف

أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم): ٣٦:
الأسباط (أولاد يعقوب عليه السلام) :

٢٤

الأشاعرة = الأشعرية = أصحاب

الأشعرى : ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٧ ، ١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٨١ ،

٢٤٦

أصحاب الأيكة : ٦١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

أصحاب الرس : ٢٠٨

إل ياسين : ١١٣

الإمامية الإثنا عشرية : ١٨٠ ، ٢٤٦ ،

٢٦٣

الأمراء : ٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

الأموية : ٢٦٢

الأنبياء = النبيون : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٤ ،

٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٩ ، ١٦٣ ،

١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،

٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ -

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠

الأنس : ٩ ، ٣٧ ، ٩١

الأنصار : ١٤٦ ، ٢٢٠ ، ٢٦٨ ،

٢٧٤ ، ٢٩٠

(١)

آل أبي أوفى : ٢١٣

آل إبراهيم : ٢١٣

آل داود : ٢١٣

آل عمران : ٢١٣

آل فرعون = قوم فرعون : ٢٧ ،

٥٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢١٢ - ٢١٦

آل محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٣ ،

٤٥ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٨٧ ،

١١٨ ، ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،

١٥٥ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٢٩٠

الأنمة : ٨١ ، ٨٨ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ،

١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٥١ ،

٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،

٢٧٦

الأنمة الإثنا عشر : ٢٦٤

الاتحادية : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٧٣ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧

الأخبار : ٦٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

إخوان الصفا : ١٦٨

إخوان لوط = قوم لوط = آل لوط :

٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣

الأرمن : ١٩٥

أهل النار: ١٢، ١١٦، ١٣٣، ١٤٦،

٢٠٤، ٢٣

أولو الأمر: ٢٧٣ - ٢٧٥

الأولياء = أولياء الله: ٥٣، ٥٠،

١٩١، ١٩٠، ١٨٧، ٩٧، ٥٤

٢٦٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ١٩٦

(ب)

الباطنية: ١٠٣، ١٠٤، ١١٢،

١٧١، ١٦٧

البصريون: ١٧٣

بنو آدم = الآدميون: ١١ - ١٣،

٢٢، ٢٣، ٢٨، ٣٥، ٣٨،

٤١، ٥٣، ٧٠، ٢٢٥، ٢٢٩

٢٣٦، ٢٤١، ٢٥٨

بنو إسرائيل: ٨٩، ١٣٨، ١٥٠،

١٦٥، ٢١٢، ٢٠٧، ٢٠٣، ١٧٩

بنو تميم: ٢٣١

بنو راسب: ١٧

بنو عامر: ٣٨

(ت)

التابعون: ٩، ٣٠، ٦٣، ١٢٣،

١٢٩، ١٩٠

التر: ١٩٥

(ث)

الثنوية: ١٠٧

أهل الإنبات = النبتون: ٨٧، ١١٤

أهل الإلحاد: ١٠٣

أهل الجنة: ١٢، ١٧، ١١١، ١١٦،

١٣٢، ١٣٣، ١٤٦، ١٥٠،

٢٨٨

أهل الحديث = المحدثون: ٨٢، ١٢٢،

١٥٩، ١٦١، ١٧٧، ١٨٢،

أهل السنة: ٢٥، ٤٠، ٤٢، ١١١،

١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٢٣،

١٢٩، ١٦٠ - ١٦٢، ١٧٢،

١٧٣، ١٨١، ١٨٢، ١٩١،

١٩٢، ٢٦٣، ٢٧٦،

أهل الطاعة: ١٠، ١٨

أهل الكتاب: ١٥، ١٩، ٢٨، ٣١،

٣٢، ٥١، ٦١، ٦٣، ٦٥،

٦٦، ١١٥، ٢٣٠، ٢٣١،

٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٥٩،

٢٦٩، ٢٧١

أهل الكلام = المتكلمون: ١٤،

٨٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٦٠،

١٦٣، ١٦٧، ٢٤٦، ٢٦٢،

٢٦٨

أهل اللغة = أهل العربية: ١١٠،

١٢٩

أهل مدين: ٦٢

أهل الملل: ٥٤، ١٢١، ١٢٥، ٢٠٣،

(د)

الدجالون : ١٩٧ - ١٩٩ ، ٢٧٣

(ر)

الرافضة = الروافض : ١٨٠ ، ٢٥٦

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦

الرسل = المرسلون : ٩ ، ١٤ - ١٦ ،

٢٤ ، ٢٦ ، ٤٩ - ٥١ ، ٥٣ ،

٥٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ،

١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،

٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ،

٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤

الرهبان : ٦٥ ، ٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

(ز)

الزنادقة : ١١٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٥٥ ،

٢٦١

الزهاد : ١٩٢٠

(س)

السالية : (١٨١ - ١٨٢)

السامرة : ٢٧٠

(ج)

جماعة السلمين : ٢٣٢

الجبرية = المجبرة

الجمهور : ٨٨ ، ٩٤

الجن : ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٩١ ،

١٩٥ ، ١٩٦

الجهمية : (١٦ - ١٧) ، ٨٣ ، ١٠٣ ،

١١١ - ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ،

١٢٧ ، ١٣٨ ، ٥٥ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٧٢ ، ٢٥٦

(ح)

الحرثانيون : (١٠٦) ، ١٠٧

الحلولية : ١٥٧

الحنابلة = أصحاب أحمد : ١٠٩ ، ٨٧ ،

١٢٢ ، ١٦٠ ، ١٧٧ ، ١٨٢

الحنفية : ١٥٩ ، ١٧٧

الحواريون : ٦٥ ، ٦٦

(خ)

خلفاء بني أمية : ٢٨٩

خلفاء بني العباس : ٢٨٩

الخلفاء الراشدون : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٢٨٩

الخوارج = الحواريون : ٩٨ ، ١١٢ ،

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢

٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣١

٢٦٦ ، ٢٦٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٤

٢٧٥ ، ٢٧٣

الصفانية : ١٥٦ ، ١٧٧

الصوفية = المتصوفة : ٨٧ ، ١٠٤

١٦٠ ، ١٢٢ ، ١١٣ ، ١١٢

١٨٢ ، ١٨١ ، ١٦٧ ، ١٦٤

١٨٩ ، ١٨٨

(ض)

الضرارية : (١٥٦) ، ١٧٣

(ظ)

الظاهرية : ٢٤٦

(ع)

العباد = المابدون : ٢٢ ، ٢٤٧ ، ٢٣

٢٦٤ ، ٢٥٥

عبدة الأوثان : ١٠٧

العرب : ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٩٤

٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ -

٢٩٠

العجم : ٢٨٩ ، ٢٩٠

العلماء : ١١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٨ ، ٤١

١٨٧ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ٦٣

٢٤٧ ، ٢١١ ، ٢٠٣ ، ١٩١ ، ١٩٠

٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

السبئية : (٢٦٠ - ٢٦١)

السحرة : ١٣٣ ، ١٦٧ ، ١٨٧

١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٧٠

السلف : ٩ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٤

٨١ ، ٨٨ ، ٣٠ ، ١٥٦ ، ١٦١

١٦٢ ، ١٧٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٧

٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦

(ش)

الشافعية = أصحاب الشافعي : ١١٣

١٢٢ ، ١٦٠ ، ١٧٧

الشياطين : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١

١٩٢ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢١٢

٢٧٠

الشيعة : ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٥٦ ، ١٦١

١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٦٣

الشيوخ = المشايخ : ١٢٥ ، ١٨٨

١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣

٢٧٥ ، ٢٧٦

(ص)

الصائبة = الصابئون : ١٠٦ ، ١٦٢

١٦٨ ، ٢٧٠

الصحابية = أصحاب رسول الله :

٩ ، ١٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦

٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٣٩

١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٧٨ ، ١٩٠

٤٥٣، ٥٠، ٤٩، ٤٠، ١٨، ١٦

٤١٠٤، ٩١، ٧٠، ٦٩، ٥٦

٤٢١٠، ٢٠٨، ١١٠، ١٠٩

٤٢٤٥، ٢٤٤، ٢٢٧، ٢١١

٢٥٩، ٢٥٦

الكراءية: (١٦١)، ١٨٢، ١٨١،

الكلاءية: (١٥٩)، ١٧٧،

الكوفيون: ١٧٣، ١٠٩،

الكهان = الكهنة: ١٩٤ - ١٩٦

الكيسانية: ١٨٠، (٢٦٤)

(م)

المالكية: ١٢٣، ١٦٠، ١٧٧

المتبعة: ١٥٦، ٢٥٦

المجرة = الجبرية: ٧٠، ٩٨، ١٠٣،

١٢٥، ١٢٢، ١١٨، ١١١

١٥٦، ١٢٩، ١٢٧

المجتهدون: ٢٤٦

المجوس: ١٠٦، ١٠٧

المختارية: (١٨٠)

مذحج (قبيلة): ٢٧

المرتدون: ١٥

المرجئة: ١٦، ١٧، ١١١، ١١٢،

١٥٦، (١٦٠)، (١٦١)

المسلمون: ٥، ٢٨، ٣٥، ٥٥، ٨١،

٩٤، ٩٨، ١٢١، ١٦٩، ١٨٧،

١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٤،

(٢٣ جامع الرسائل - ١)

(غ)

الغلاة = الغالية: ٢٥٩، ٢٦٠،

٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٥

(ف)

الفقهاء: ٧، ٨٨، ٨٧، ١٠٩، ١٢٢،

١٧٧، ٢٧٦،

الفلاسفة = المتفلسفة: ٥٢، ١٠٣،

١٠٤، ١٥٥، ١٦٢ - ١٦٤،

١٦٧ - ١٧٠، ١٧٢،

(ق)

القائلون بوحدة الوجود: ١١٢، ١١٤،

١٦٧

القدرية: ٢٥، ٧٠، ٩٤، ٩٨، ٩٩،

١٠٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧،

١٢٩، ١٧٧، ١٧٨، ٢٥٦،

٢٦٣

القرامطة: ١٥٥، ١٦٧، ١٧١،

١٨٩، ١٧٣

قريش: ٢٨٧

قوم تبع: ٢٠٨ - ٢٠٩

(قوم) قوم: ١٥، ٢٧، ٢٠٨،

٢٠٩

(قوم) عاد: ١٥، ٢٧، ٢٠٨، ٢٠٩،

قوم نوح: ١٥، ٢٧، ٢٠٨، ٢٠٩،

(ك)

الكافرون = الكفار: ١٠، ١١،

المؤمنون: ١١، ١٦، ١٨، ٢٣،

٢٤، ٢٦، ٥٠، ٥١، ٥٤،

٥٦، ٥٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٥،

٩٧، ١٠٤، ١١١، ١١٢، ١٤٥،

١٧٣، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٨،

٢٣٢، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٤٩،

٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩،

٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧١

(ت)

النجارية: (١٥٦)

النسك: ٢٦٤

النصارى: ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٦٦، ٩٨،

١٠٦، ١١٥، ١٦٣، ١٦٩،

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٨،

٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧١،

٢٨٤

النفاء = النافية: ١٠٣، ١٢٩، ١٥٥،

١٥٩، ١٧١، ١٧٧،

نفاة القياس: ٢٤٦

(ي)

اليهود: ٢٨، ٦٣، ٩٨، ١٠٦، ١١٥،

١٦٣، ١٦٩، ٢٣، ٢٠٥،

٢٠٩، ٢٢٩، ٢٥٩، ٢٦٠،

٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٤،

٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٣،

٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦٣، ٢٦٤،

٢٦٦

المشاهون: ١٦٨

المشركون: ١٩، ٢١، ٢٢، ١٩٤،

٢٠٨، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٤،

٢٤٥، ٢٥٦، ٢٧٠،

المعزلة: ١٠٩، ١١١، ١١٨، ١٢٣،

١٢٩، ١٣٨، ١٥٦، ١٥٩،

١٦١، ١٦٢، ١٧٢، ١٧٧،

١٧٨، ١٨٠، ١٨٨، ٢٤٦،

٢٦٢، ٢٦٨، ٢٧٦،

المعزلة البصرية: ١٧٣، ١٧٩، ١٨٢،

المفسرون: ١٨، ٤١، ٧١،

الملائكة: ٤، ١٣، ١٨، ١٩، ٢٢،

٢٣، ٤١، ٥٣، ٩٢، ١٣٥،

١٥٦، ١٦٢، ١٧٢، ٢٥٩،

الملاحظة: ١٠٦، ١٠٧، ١١٢، ٣٠٦،

٢١٢، ٢١٣،

الملوك: ٦٦، ٧٦، ٢٧٣، ٢٧٥،

المنافقون: ٢٦، ٥٠، ٥١، ٩١،

١٤٧، ١٨٣، ٢٠٤، ٢١٢،

٢٥٩

المهاجرون: ٢٢٠، ٢٦٨، ٢٩٠،

المؤتسكات: ٢٠٩

فهرس الاماكن والبلدان

حلوان : ١٣

(خ)

خراسان : ١٧ ، ١٨٧

(د)

دار القطن (من احياء بغداد) : ٢٦٢

دمشق : ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٩٢

(ر)

الري : ١٨١

(س)

سامراء : ٢٦٣

سهرورد : ١١٣

(ش)

الشام : ١١٤ ، ١٩٣ ، ٢٨٣

الشاهنة (قرية) : ١٩٣

الشوبك (قلعة بالشام) : ١٩٣

(ص)

الصالحية (جبل) : ١٩٢

(ع)

عرفات = عرفة : ١٢ ، ٢٥٨

عمان : ١٩٣

(١)

أبو قيس (جبل) : ٣٧ ، ١٩٢

أحد (جبل) : ٥٤ ، ١٧٨

الأخشان (جبلان بمكة) : ٣٧

الأندلس : ١٠٣ ، ١٢٣

أصبهان : ١٣٩

أنطاكية : ٦٦

أيلة : ١٩٣

(ب)

باب الصغير (بدمشق) : ١٩٢

بدر : ٥١

البصرة : ١٢٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨

بغداد : ٦٢ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٨٩

بيت المقدس : ٢٨٣

(ت)

الترك (أرض) : ١٩٤

تركستان : ١٨٧

تهامة : ١٤

(ح)

الحديبية : ١٠٠

حروراء : ١١٢

مرسية (بالآندلس) ١٠٤

مرو : ١٧

مكة : ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٢٨٨

(ن)

نعمان = جبل عرفة : ١٢

نيسابور : ١٢٣ ، ١٢٩

(هـ)

الهند : ١٨٧ ، ١٩٤

(و)

واسط : ٧٦

(ى)

اليامة : ١٩٧

العين : ١٩٢

(ق)

القادسية : ١٣

القلزم : ١٩٣

قلعة دمشق : ١٢

القسطنطينية : ١٩٧

(ك)

كابل : ١٧٨

الكرك : ١٩٣

الكعبة : ٣٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

كندة : ٢٦١

الكوفة : ١٠٦ ، ١١٢

(م)

ما وراء النهر : ١٨٧

مدین : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤

المدينة (المنورة) : ١٩٨

فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية(*)

صفحة

(١)

حكام فقهية شرعية :

١٩٠	حكم الزنديق إذا أظهر التوبة — للعلماء فيه قولان
٢٤٨ — ٢٤٦	حكم المجتهد المخطئ عند طائفة من المتكلمين والفقهاء
٢٧٥ — ٢٧٣	طاعة أولى الأمر — منهاها وحدودها

(ت)

التفسير :

٦٣	تفسير الثعلبي لا يعتد به
٧٠ — ٦٩	المعاني الإجمالية لسورة الإنسان : خلق الإنسان وهدايته — المبدأ والمعاد — الخلق والأمر — إثبات الأسباب والفعل والإرادة للمبدأ — مشيئة العبد إنما هي بمشيئة الله

التصوف :

١٨٩ — ١٨٨	الحلاج — ذم الأئمة والجناد له
٢٠٦	خاتم الأولياء : ابن عربي يدعى أنه خاتم الأولياء
٢٠٩ ، ٢٠٦ — ٢٠٥	خاتم الأولياء أفضل عند ابن عربي من خاتم الرسل
١٧٠ — ١٦٩	الغزالي : مدى صحة ما ينسب إليه من كتب وأقوال مبتدعة
١٤٢ — ١٤١	قوله : ليس في الإمكان أبدع مما كان
٢٠٧	القطب والغوث
١٠٥ — ١٠٤	وحدة لوجود : قول باطنية الشيعة والتصوفة بها
١٦٧ — ١٦٤	شواهد من كلام ابن عربي على قوله بها
١١٢	الولي (معنى اللفظ)

* هذا الفهرس يتضمن بعض المصطلحات والبحوث التي لم ينشر إليها في فهرس الموضوعات .

(ح)

- الحُرُورِي (هو من عبد الله بالخوف وحده) — وانظرت ٢ ١١٢
 الحوادث اليومية المشهودة دليل على حدوث العالم ١٣٩ — ١٤١

(ص)

صفات الله :

- ابن حزم وتأويله لصفات الله تعالى ١٣٦ — ١٣٧
 أقوال بعض المبتدعة في مسألة كلام الله ١٥٥ — ١٥٨
 البداء ١٧٩ — ١٨٠
 السمع والبصر والكلام — مقالات أهل السنة فيها ١٨١ — ١٨٢
 للصفات أقول ثلاثة في المشيئة والإرادة ١٨٢
 الله تعالى له للمثل الأعلى وهو أولى بصفات الكمال ١٣٦ — ١٣٧

(ع)

- عصمة الأنبياء عند بعض التكلمين وعند أهل السنة ٢٦٨ — ٢٧٠
 العقل : بيان أن حديث « أول ما خلق الله العقل » موضوع ١٦٨ — ١٦٩
 والتعليق على ذلك

(ق)

القضاء والقدر :

- الأسباب بين النفي والإثبات ٨٣ — ٨٤
 الأمور الطبيعية إما أن تقع بمحض المشيئة على قول وإما أن ٥٤ {
 تقع بحسب الحكمة على قول
 أهل السنة يقولون : لا يكون في ملكه إلا ما يشاء بخلاف القدريّة ٢٥
 أول ما أنعم الله على العبد (تنازع الناس في ذلك) ١٠٩
 البداء ١٧٩ — ١٨٠
 تعذيب الأطفال ١٢٥
 حكم الله — أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر لحكم ربه ، ٧٤ {
 وهو يعم الحكم الديني : وهو الأمر والنهي ، والحكم الكوني :
 وهو القضاء والقدر

صفحة

٧٧

مشيئة الله ومشية العباد

(م)

١١٢	المرجئة (معنى اللفظ) وانظر التطبيق
٧٧-٧٦	المعاد مثل للمبدوء وإن كان هو بعينه
١٤٠	معرفة الله الفطرية - الكلام عليها
١٧-١٤	إنكار كثير من أهل الكلام لها وقولهم بوجوب النظر
١٣-١١	معنى قوله تعالى « وإذ أخذ ربك من بنى آدم . . . الآية »
	ومعنى إنطاق بنى آدم وإشهادهم على أنفسهم
٢٦٣	المهدي المنتظر عند الإمامية الاثنى عشرية

فهرس الكتب

صفحة	اسم الكتاب
٨٧	« الإبانة الكبرى » لابن بطة (الإشارة إليه على الأرجح)
١٦٤	« إحياء علوم الدين » للغزالي
١٨٨	« أخبار الحلاج » مجلد لأبي يوسف القزويني
١٠٨	« الاستيعاب » لابن عبد البر (الإشارة إليه على الأرجح)
٥٢	« الألواح العمادية » للسهروردي المقتول
٢٧٢، ٢٢٢، ١٦٣	« الإنجيل »
١٨٨	« تاريخ ابن الجوزي » (وهو المنتظم)
١٨٨	« تاريخ بغداد » لابن علي الخطيب
١٨٨	« تاريخ بغداد » للحافظ أبي بكر الخطيب
١٦٩	« تاريخ نيسابور » لعبد الغافر الفارسي
١٣٨	كتاب « تشریف يوم الجمعة وتعظيمه » لابن عساكر
١٦٠	« التعرف في مذاهب التصوف » للكلاباذي
٦٢	« تفسير ابن جرير » (وهو تفسير الطبري)
١٣٩	« تفسير ابن الجوزي » (وهو زاد المسير في علم التفسير)
٦٤	« تفسير السدي »
٦١	« تفسير سنيد بن داود »
٢٧٢، ٢٣٤، ٢٢٢، ٦٣	« التوراة »
٢٦٢	كتاب « ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة » للدارقطني
٦٦، ٥٣، ٥٢	« الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » = « الرد على النصارى » لابن تيمية
١٦٣	« جواهر القرآن » للغزالي
١٩١	« الرسالة » للقشيري
١٦٨	« رسائل إخوان الصفاء »
١٨٨	« رفع اللجاج في أخبار الحلاج » لابن الجوزي

صفحة	اسم الكتاب
٢٧٢	« الزبور »
٢٢٥	في « السنن »
٢٨٨	« سنن » سعيد (بن منصور)
١٢٦	« صحف إبراهيم وموسى »
٢٧٢ ، ٢٦١ ، ١٦٩	« صحيح البخارى »
٢٧٢ ، ٢٢٣ ، ١٦٩ ، ١١٠ ، ٣٣	« صحيح مسلم »
٢٧٨ - ٢٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٢٥	« الصحيحان »
١٨٩	كتاب « الصلاة » للحسن البصرى
١٨٨	« طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن السلمى
١٣٩	كتاب « العظمة » لأبى الشيخ الأصبهاني
٢٠٧ ، ١٦٧	« الفتوحات المكية » لابن عربى
٢٠٧ ، ٢٠٤ ، ١٦٦ - ١٦٤	« فصوص الحكم » لابن عربى
٢١٣ ، ٢٠٤ ، ١٩١ ، ١٨٣ ، ١٦٣ - ١٦١ ، ١٥٨ ، ٦٤	« القرآن »
٢٨٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٤٩ ، ٢٣٨	
١٦٣	« كيمياء السعادة » للغزالي
٥٢	كتاب « المبدأ والميعاد » للشهروردي المقتول
١٦٣	« مسائل النفخ والتسوية » للغزالي
١٦٣	« مشكاة الأنوار » للغزالي
١٦٩ ، ١٦٣	« المضمون به على غير أهله » الأول والثاني = « المضمون بهما »
١٧٢	على غير أهلهما = « المضمون » للغزالي
١٨١	« المطالب العالية » للرازي
١٣٩	كتاب « الطر » لابن أبى الدنيا
١٨٠	« الاعتبار فى الحكمة » لابن ملكا
٢٦٣	فى الكتاب الكبير « منهاج أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيع »
	القدرية « لابن تيمية
٢٨٨	كتاب « الموضوعات » لابن الجوزى

فهرس مراجع التحقيق

(١)

الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ط . المنيرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ابن حنبل ، للشيخ محمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٧ .
الإحكام في أصول الأحكام ، لسيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ، ط .
المعارف ، القاهرة ، ١٣٣٢/١٩١٤ .

إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، ط . لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ،
١٣٥٦ - ١٣٥٧ .

أخبار الحكماء = تاريخ الحكماء .

أخبار الحلاج ، لعلي بن أنجب الساعى ، تحقيق ماسينيون وكراوس ، باريس ،
١٩٣٦ .

الأخلاق عند الغزالي ، د . زكي مبارك ، ط . دار الكتاب العربي ، القاهرة ،
بدون تاريخ .

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ،
ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١/١٩٥٢ .

الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله
الجويني ، تحقيق د . محمد يوسف موسى والأستاذ علي عبد المنعم عبد الحميد ، ط .
الخانجي ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النخعي
القرطبي ، بذييل الإصابة لابن حجر ، ط . المكتبة التجارية ، القاهرة ،
١٣٥٨/١٩٣٩ .

الإشارات والتنبيهات ، لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، تحقيق د . سليمان دنيا ،
ط . المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧ - ١٩٦٠ .

الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ط . التجارية ، القاهرة ،
١٩٣٩/١٣٥٨ .

أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ، استانبول ، ١٩٢٨/١٣٤٦ .
اعتقادات فرق المسلمين والمشرىكين ، لفخر الدين الرازى ، تحقيق د. على سامى النشار ،
ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨/١٣٥٦ .

الأعلام ، لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٢٧٢ - ١٩٥٤/١٣٧٨
- ١٩٥٩ .

إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم
الجوزية ، ط . المنيرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد
حامد الفقى ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٠/١٣٦٩ .

أقسام العلوم العقلية ، لابن سينا ، ضمن تسع رسائل فى الحكمة والطبيعات ، ط .
أمين هندية ، القاهرة ، ١٩٠٨/١٣٦٦ .

إنباء الرواة على أنباء النحاة ، لأبى الحسن طى بن يوسف القفطى ، تحقيق الأستاذ
محمد أبى الفضل إبراهيم ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٠/١٣٦٩ .

(ب)

البدء والتاريخ ، لمطهر بن طاهر المقدسى ، ط . باريس ، ١٨٩٩ - ١٩١٩ .
البداءة والنهاية فى التاريخ ، لإسماعيل بن عمر بن كثير ، ط . السعادة ، القاهرة ،
١٩٣٢/١٣٥١ .

البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، لعبد الفتاح القاضى ، ط . مصطفى
الحلبى ، ١٩٥٥/١٣٧٥ .

البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانات والسحر والتارنجات ،
للباقلانى ، ط . بيروت ، ١٩٥٨ .

(ت)

- تاريخ ابن الوردي ، لعمر بن الوردي ، القاهرة ، ١٢٨٥ .
- تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، ترجمة د . عبد الحليم النجار ، ط . المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، القاهرة ، ١٣٤٩ / ١٩٣١ .
- تاريخ الحكماء (مختصر الزوزني من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لعل ابن يوسف القفطى) ، ط . ليزج ، ألمانيا ، ١٩٠٣ .
- تاريخ حكماء الإسلام ، لظهير الدين علي بن زيد البيهقي ، تحقيق الأستاذ محمد كرد علي . ط . المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٤٦ / ١٣٦٥ .
- التاريخ الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ط . حيدر آباد ، ١٣٦١ .
- تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٤ / ١٣٧٣ .
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة ، لأبي المظفر الإسفراييني ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ، ١٩٤٠ / ١٣٥٩ .
- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لعل بن الحسن ابن عساكر ، ط . القدس ، دمشق ، ١٣٤٧ .
- تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النري القرطبي ، ط . القدس ، القاهرة ، ١٣٥٠ .
- تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الثالثة ، حيدر آباد ، ١٩٥٥ / ١٣٧٥ .
- تذكرة الموضوعات ، لمحمد طاهر بن علي الفتني ، ط . النيرة ، القاهرة ، ١٣٤٣ .
- ترتيب مسند الطيالسي (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود) ، للأستاذ أحمد عبد الرحمن البنا ، القاهرة ، ١٣٧٢ .

الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، لعبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ،
تحقيق مصطفى محمد عمارة ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٢/١٩٣٣ .
التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، للدكتور أبي الملا عفيفي ، ط . المعارف ،
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبي بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق د . عبد الحلیم
محمود ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦٠ .
التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني (مع رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي) ،
ط . مصطفى الحلبي ، ١٣٥٧/١٩٣٨ .

تفسير البغوى (معالم التنزيل) بذييل تفسير ابن كثير ، ط . المنار ، القاهرة .
تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير
الطبرى ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، ط . المعارف ، القاهرة .
تفسير الطبرى ، ط . بولاق ، القاهرة ، ١٣٢٣ .

تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، ط . عيسى
الحلبي ، ١٣٧٨/١٩٥٨ .

تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط . مصطفى الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى
القرطبي ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .

تقريب التهذيب ، لأحمد بن على بن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب
عبد اللطيف ، ط . دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٣٨٠/١٩٦٠ .

تميز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، لابن الديع
الشياني ، ط . محمد صبيح ، القاهرة ، ١٣٤٧ .

التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
الملطى ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، ط . عزت العطار ، القاهرة ،
١٣٦٨/١٩٤٩ .

تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكنانى ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، ١٣٧٨ .

تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ، ط . المنيرية ، بدون تاريخ .

تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، ط . حيدر آباد ، ١٣٢٥-١٣٢٧ .

التوحيد وإثبات صفات الرب ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٥٣ .

تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، لعبد الرحمن بن علي بن الديع الشيبانى ، ط . مصطفى الحلبي ، ١٩٣٤/١٣٥٣ .

(ج)

جامع الأصول من أحاديث الرسول ، لأبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى ، تصحيح الشيخ محمد حامد الفقى ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٨/١٩٤٩ .

الجامع الصحيح ، لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، استانبول ، ١٣٢٩-١٣٣٣ .

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩/١٣٥٨ .

الجبال والأمكنة والمياه ، للزغشري ، ط . النجف ، ١٩٦٢/١٣٨١ .

الجرح والتعديل ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازى ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ، ١٩٥٢/١٣٧١ .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، ط . المدني ، القاهرة ، ١٩٥٩/١٣٧٩ .

(ح)

الحلاج شهيد التصوف الإسلامى ، للأستاذ طه عبد الباقي سرور ، ط . المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٩٦١ .

الحوار المين ، لأبي سعيد نشوان الحميرى ، تحقيق الأستاذ كمال مصطفى ، ط . الخانجي والثنى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

(خ)

الخطوط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقي الدين أحمد بن علي
المقريزي ، ط . الأميرية بيولاقي ، القاهرة ، ١٢٧٠ .
خلاصة تهذيب السكّال في أسماء الرجال ، لأحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري ،
ط . الخيرية ، القاهرة ، ١٣٢٢ .

(د)

دائرة المعارف الإسلامية .
الدر المنثور في التفسير بالماثور ، لجلال الدين السيوطي ، ط . طهران ، ١٣٧٧ .
دول الإسلام في التاريخ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، الطبعة الثانية ،
حيدر آباد ، ١٣٦٤ .
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لإبراهيم بن علي بن محمد بن
فرحون المالكي ، ط . مطبعة الماعه ، القاهرة ، ١٣٥١ .

(ذ)

ذخائر الموارث في الدلالة على مواضع الحديث ، لعبد الفتي النابلسي ، ط . جمعية
النشر والتأليف الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٥٢/١٩٣٤ .
الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط .
السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .

(ر)

رجال الطوسي ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق محمد صادق آل
بحر العلوم ، ط . الحيدرية ، النجف ، ١٣٨١/١٩٦١ .
الرد على الجهمية ، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق جوستا ويتستام ،
ط . ليدن ، هولندا ، ١٩٦٠ .
الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير
تأويله ، لأحمد بن حنبل ، تحقيق محمد حامد الفقي ، نشرت في مجموعة شذرات

- البلاطين من طبقات كلمات سلفنا الصالحين ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ،
١٩٥٦/١٣٧٥ .
- الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، ط . بومباي ،
الهند ، ١٩٤٩/١٣٦٨ .
- الرسالة العرشية ، لابن سينا ، ضمن مجموعة رسائل الشيخ الرئيس ، حيدر
آباد ، ١٣٥٤ .
- رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها ، لابن سينا ، ضمن تسع رسائل في الحكمة
والطبيعات ، الطبعة الأولى ، مطبعة هندية ، القاهرة ، ١٩٠٨/١٣٢٦ .
- الرسالة القشيرية في علم التصوف ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ،
ط . محمد صبيح ، القاهرة ، ١٩٤٨/١٣٦٧ .
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، لميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ،
الطبعة الثانية (طبع حجر) ، طهران ، ١٣٦٧ .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، لأبي جعفر أحمد الحب الطبري ، الطبعة الثانية ،
نشر الخانجي ، ١٩٥٣/١٣٧٢ .

(س)

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط .
دمشق ، ١٩٥٩/١٣٧٩ .
- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ابن ماجه ، تحقيق
الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى الحلبي ، ١٩٥٤/١٣٧٣ .
- سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٦٩ - ١٣٧٠ /
١٩٥٠ - ١٩٥١ .
- سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (بشرح ابن
العربي) ، ط . المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ، ١٩٣١/١٣٥٠ .
- سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ، ط .
دمشق ، ١٣٤٩ .

- سنن النسائي ، لأحمد بن شعيب بن علي النسائي (بشرح السيوطي) ، ط .
التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨/١٩٣٠ .
كتاب « السنة » ، لأحمد بن حنبل ، ط . السلفية ، مكة ، ١٣٤٩ .

(ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، ط . القدسي ،
القاهرة ، ١٣٥٠ .
شرح نهج البلاغة ، لعبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق الأستاذ أبي الفضل إبراهيم،
ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
شرح النووي على صحيح مسلم ، ليحيى بن شرف النووي ، ط . المطبعة المصرية
بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٤٧/١٩٢٩ .
الشريعة ، لأبي محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري ، تحقيق الشيخ
محمد حامد الفقي ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .
الشفاء ، لابن سينا ، قسم النفس (من الطبيعيات) ، تحقيق يان با كوش ، ط .
مطبعة المجمع العلمي التشكوسلوفافي ، براغ ، ١٩٥٦ .

(ص)

- صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التيمي ، الجزء
الأول ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط . المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٢/١٩٥٢ .
صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ط . للطبعة الأميرية ،
القاهرة ، ١٣١٤ .

(ط)

- طبقات الأطباء = عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لأحمد بن القاسم المعروف
بابن أبي أصيبعة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٧٦/١٩٥٦ .
طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط . السنة المحمدية ،
القاهرة ، بدون تاريخ .

طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٤ .

طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمى ، تحقيق الأستاذ نور الدين شريعة ، القاهرة ، ١٩٥٢/١٣٧٢ .

الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب الشعراني ، طبع مصر ، بدون تاريخ .
الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى ، ط . بيروت ، ١٩٥٧/١٣٧٦ .

طبقات المفسرين ، لجلال الدين السيوطى ، ليدن ، هولندا ، ١٨٣٩ .

(ع)

عبد الله بن سبأ ، لمرتضى العسكري ، الطبعة الثانية ، ط . دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٣٨١ .

العبر فى خبر من غير ، للحافظ الذهبي ، ط . الكويت ، ١٩٦٠ .
العلل ومعرفة الرجال ، لأحمد بن حنبل ، ط . أنقرة ، تركيا ، ١٩٦٣ .
عمل اليوم والليلة ، لابن السنى ، ط . حيدرآباد ، ١٣١٥ .

(غ)

الغزالي ، للدكتور أحمد فريد رفاعى ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٧/١٣٥٦ .

(ف)

فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، ط . المطبعة الأميرية بيولاك ، القاهرة ، ١٣٠٠ .

الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (وها لجلال الدين السيوطى) ، تأليف يوسف النبهانى ، ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٢/١٣٥١ .

الفتوحات المكية ، لمحيى الدين محمد بن علي بن عربى ، ط . دار الكتب المصرية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٢٩ .

- الفرق بين الفرق ، لابن طاهر البغدادي ، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري ،
القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
- فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي ، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم ،
ط . المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٧٩/١٩٥٩ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن حزم ، ط . المطبعة الأدبية ،
القاهرة ، ١٣١٧ - ١٣٢١ .
- فصوص الحكم ، لابن عربي ، تحقيق الدكتور أبي العلا عفيفي ، ط . عيسى الحلبي ،
القاهرة ، ١٩٤٦ .
- فلسفة المعتزلة ، للدكتور ألبير نصرى نادر ، ط . الاسكندرية ، ١٩٥٠ .
- الفهرست ، لابن النديم ، ط . التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ .
- فهرس الخزانة التيمورية ، ط . دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٦٩/١٩٥٠ .
- فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ،
ط . النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق
الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط . السنة المحمدية ، القاهرة ،
١٣٨٠/١٩٦٠ .

(ق)

- القرب في حجة العرب ، لزين الدين العراقي ، ط . الاسكندرية ، ١٣٨١/١٩٦١ .
- القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي ، لأبي حامد الغزالي ، ط . مكتبة
الجندی ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(ك)

- الكافي ، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، تحقيق علي أكبر
الغفاري ، ط . مكتبة الصدوق ، طهران ، ١٣٧٧ - ١٣٨١ .
- الكامل (تاريخ) ، لعلي بن محمد بن الأثير الجزري ، ط . الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٠٣ .

- كشف الحفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ،
 لإسماعيل بن محمد العجلوني ، ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥١ .
 كنز العمال ، لملى المتقى بن حسام الدين الهندى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٨١ / ١٩٦٠ .
 الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية لعبد الرؤوف المناوى ، القاهرة .

(ل)

- الآلئ للصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطى ، ط . المكتبة
 الحسينية للصربية بالأزهر ، ١٣٥٢ .
 اللباب فى تهذيب الأنساب ، لملى بن محمد بن الأثير ، ط . القدسي ، القاهرة ،
 ١٣٥٧ - ١٣٦٩ .
 لسان العرب ، لابن منظور .
 لسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٢٩ .
 لطائف الأسرار ، لابن عربى ، تحقيق الأستاذين أحمد زكى عطيه وطه سرور ،
 ط . دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٣٨٠ / ١٩٦١ .
 اللمع فى التصوف ، لأبى نصر السراج الطوسى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم
 محمود وطه عبد الباقي سرور ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

(م)

- مجمع الزوائد ، لملى بن أبى بكر الهيثمى ، ط . القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢ - ١٣٥٣ .
 مختصر كتاب البلدان ، لابن الفقيه ، ط . ليدن ، ١٣٠٢ .
 مجموعة الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا ، ط
 المنار ، القاهرة ، ١٣٤١ .
 مجموعة الرسائل المنيرية ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٣ - ١٣٤٦ .
 مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ، لابن تيمية ، ط . الرياض .
 مجموعة الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، ط . الكردى ، ١٣٢٩ .
 للدخل إلى مذهب الإمام أحمد ، لابن بدران ، ط . المنيرية ، القاهرة .
 مرآة الجنان ، لليافى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٣٧ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لعلى بن الحسين بن طلى السمودي ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، ط. التجارية ، القاهرة ، ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .
المستدرك ، لأبي عبد الله محمد عبد الله ، الحاكم النيسابوري ، ط. حيدرآباد ، ١٣٣٤ - ١٣٤٢ .

المسند ، لأحمد بن حنبل ، ط. الحلبي ، القاهرة ، ١٣١٣ .
المسند ، لأحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط. المعارف ، القاهرة ، ١٣٦٥ - ١٣٧٤ / ١٩٤٦ - ١٩٥٥ .

مشكاة المصابيح ، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط. دمشق ، ١٣٨٠ / ١٩٦١ .

المضنون به على غير أهله ، للغزالي - انظر : القصور الموالي .

معاني القرآن ، للفراء ، ط. دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .
المعتبر في الحكمة ، لأبي البركات هبة الله بن ملكا ، ط. حيدرآباد ، ١٣٥٧ .
معجم البلدان ، لياقوت .
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله بن عبد العزيز البكري ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٣٦٤ / ١٩٥٩ .
لمعجم الوسيط ، ط. مجمع اللغة العربية .

مفتاح كنوز السنة ، وضع فنسك ، ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .
المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق عبد الله محمد الصديق ، نشر الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٦٩ / ١٩٥٠ .

الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، تحقيق الشيخ محمد ابن فتح الله بدران ، الطبعة الثانية ، نشر الأنجلو ، القاهرة ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

مناقب ابن عربي ، لابراهيم بن عبد الله القارىء ، تحقيق د. صلاح الدين المتجد ، ط . بيروت ، ١٩٥٩ .

مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن الجوزى ، ط . الخانجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ .
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، لابن الجوزى ، ط . حيدرآباد ، ١٣٥٧ .
منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، مكتبة دار العروبة ،
القاهرة ، ١٣٨٢ - ١٣٨٤ / ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .

منهاج السنة ، لابن تيمية ، ط . بولاق ، القاهرة ، ١٣٢١ - ١٣٢٢ .
موافقة صريح العقول لصحيح المنقول ، لابن تيمية ، الجزء الرابع ، نسخة خطية
بالمكتبة التيمورية (رقم ١٨٢ عقائد) .

الموضوعات ، لعل القارىء ، ط . استانبول ، بدون تاريخ .
الموطأ ، للمالك بن أنس ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى الحلبي ،
القاهرة ، ١٣٧٠ / ١٩٥١ .

النية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ، لابن المرتضى ، تحقيق توماس أرنولد ،
ط . حيدرآباد ، ١٣١٦ .

ميزان الاعتدال ، للذهبي ، ط . مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٥ .

(ن)

النجاة ، لابن سينا ، ط . محي الدين الكردى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ،
١٣٥٧ / ١٩٣٨ .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى ، ط . دار الكتب
المصرية ، القاهرة .

فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقرئ ، تحقيق الشيخ
محمد محي الدين عبد الحميد ، ط . التجارية ، القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٩ .

نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، تحقيق
الأستاذ أحمد زكى ، مطبعة الجمالية ، القاهرة ، ١٣٢٩ / ١٩١١ .

نهاية الإقدام في علم الكلام ، للشهرستانى ، تحقيق ألفرد جيوم ، لندن ، ١٩٣٤ .

النهاية في غريب الحديث ، لمجد الدين المبارك بن محمد بن محمد ، ابن الأثير
الجزري ، ط . المطبعة العثمانية ، ١٣١١ .
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني ، ط . المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ .

(و)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق الشيخ محمد عبي الدين
عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٧ / ١٩٤٨ .

* * *

Tritton (A. S.) : Muslim Theology, Luzac, London, 1947.

فهرس التصوييات والاستدراكات

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٣		السطر الأخير	فهو سبحانه
١٠٦	١٥	إضافة للهامش (١)	ولعل الصواب : الإله
١١٥	٨	محجوب	محجوب (٢)
١١٥	١٨		أضف بعد تعليق رقم ١ تعليق (٢)
			(٢) لعل الصواب : محجوب
١١٨	١	بالتحميد	بالتحميد (١)
١١٨	٣	وأَتوب إليك « (١)	وأَتوب إليك « (٢)
١١٨	١٠	وسلم (٢)	وسلم (٣)
١١٨	١١		أضف تعليق رقم (١) بالتحميد :
			كذا ولعل الصواب بالتنزيه
			أو بالتسبيح .
١١٨		تعليق (١)	تعليق (٢)
١١٨		تعليق (٢)	تعليق (٣)
١٥٨	٧	يضاف	يضاف إليه
١٧٨	٢٢	وأى داود	وأبو داود
١٨١	٢٨	وابنه الحسن	وابنه أوى الحسن
١٩٧	٢٢	الفتن ١٧٤/٨ - ١٧٥	الفتن ١٧٥/٨ - ١٧٦
٢٠٣	٩	وإسلامه ؟ وما يجب	وإسلامه ؟ أو هل يوجد فى القرآن
			أو السنة أو القياس دليل على إيمانه
			أو إسلامه ؟ وما يجب
٢٠٤	٢٠	(٢) فى الأصل : وأنها عبد بحق . وانظر	(٢) وانظر
٢٠٩	٧	ألا يصدق	ألا يصدقه
٢١١	٢٠	إضافة للهامش رقم (١)	وقد يكون الصواب : ما ذكره .
٢٣٣	١	يا نغايا العرب ! يا نغايا العرب !	ذكر لى الشيخ ناصر الدين الألبانى
			أن صوابه : « يا نغايا العرب ! ... »
			وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير فى
			« النهاية » ، والزخشرى فى
			« الفائق » وقال : والمعنى يا نغايا
			العرجن فهذا وقتكن وزمانكن ،
			يريد أن العرب قد هلكت .
٢٣٣	٢٢	عبد الله زيد	عبد الله بن زيد
٢٣٩	٢٥	٢٠٥/٤	٢٠٥ ، ١٩٨/٤
٣٥٨	٧	١٣٦ - ١٣٧	١٧١ - ١٧٠

فهرس الموضوعات

المقدمة (١) - (ك)

- هذه المجموعة
١ - رسائل مجموعة عاشر أفندى (ع)
٢ - رسائل الكواكب الدرارى (ك)
٣ - رسالة المكتبة الأزهرية (حليم)
٤ - منهج التحقيق
(ب) - (ج)
(ج) - (ز)
(ز) - (ح)
(ح) - (ط)
(ط) - (ك)

الرسائل

١ - رسالة فى قنوت الأشياء كلها لله عز وجل ١ - ٤٥

(فصل) فى قنوت الأشياء لله عز وجل، وإسلامها،

٣ وسجودها له ، وتسبيحها له

٥ - ٣ ذكر هذه الأربعة فى القرآن

٢ القنوت - الإسلام

٤ - ٣ السجود

٥ - ٤ التسبيح

٧ - ٥ القنوت فى اللغة

٩ - ٧ القنوت عند ابن تيمية هو الطاعة

٢٧ - ٩ (فصل)

رواية ابن أبي حاتم أوجه تفسير لفظ القنوت ١٩ — ٩

الوجه الأول : الطاعة ١٠ — ٩

الوجه الثاني : الصلاة ١١ — ١٠

الوجه الثالث : الإقرار بالعبودية ٧ — ١١

الوجه الرابع : القيام يوم القيامة ١٧

الوجه الخامس : قول الإخلاص ١٨ — ١٧

أقوال المفسرين ١٨

هل القنوت خاص أم عام ؟ ١٩ — ١٨

تعليق ابن تيمية ٢٧ — ١٩

القنوت عند ابن تيمية عام ٢٤ — ٢٣

أنواع القنوت الذى يعم المخلوقات ٢٧ — ٢٥

الأول ، الثانى ٢٥

الثالث ٢٦ — ٢٥

الرابع ٢٦

الخامس ٢٧ — ٢٦

(فصل) ٣٩ — ٢٧

الكلام عن السجود ٢٨ — ٢٧

تفسير قوله تعالى (وادخلوا الباب سجداً) الآية ٣٨ — ٢٨

السجود فى اللغة ٣٩ — ٣٨

(فصل) بقية الكلام عن السجود ٤١ — ٣٩

(فصل) بقية الكلام عن السجود ٤٥ — ٤١

٢ رسالة فى لفظ السنة فى القرآن ... ٥٨ — ٤٧

(فصل)

٥٦ - ٤٩

٥٠ - ٤٩

لفظ السنة في مواضع من القرآن

٥٠

سنته نصره أوليائه وإهانة أعدائه

٥٠

الآية الأولى

٥١ - ٥٠

الأربعة البواقي :

الأولى ، الثانية ، الثالثة ، الرابعة ٥١

٥٣ - ٥٢

السنن المتعلقة بالأموال الطبيعية ينقضها الله إذا شاء

٥٤ - ٥٣

الأدلة على ذلك

٥٣

الأول ، الثاني

٥٤ - ٥٣

الثالث

٥٤

سنته تعالى مطردة في الدينيات والطبيعات

٥٥ - ٥٤

نقض العادة لاختصاص معين

٥٦ - ٥٥

السنة هي العادة

٥٦

(فصل) القرآن دل على هذا الأصل في مواضع

(فصل) أخبر سبحانه أنه تارة يعاقبهم عقب السراء وتارة

٥٨ - ٥٦

يعاقبهم عقب الضراء إذا لم يتضرعوا

٦٦ - ٥٩

٣ - رسالة في قصة شعيب عليه السلام . .

٦٣ - ٦١

شيخ مدين لم يكن شعيباً

٦٣ - ٦١

كان شعيب عربياً وموسى عبرانياً

٦٦ - ٦٥

(فصل) مجرد شيوع الأمر عند الناس ليس دليلاً

٤ - رسالة في المعاني المستنبطة من سورة الإنسان ٦٧ - ٧٧

٧٧ - ٦٩

(فصل)

٧٠ - ٦٩

تفسير السورة إجمالاً

٦٩	الآيتان ٢٠، ١
٦٩	الآية الثالثة
٧٠	الآية الرابعة
٧١ - ٧٠	الآية الخامسة
٧٢ - ٧١	الآية السابعة
٧٢	الآية الثامنة ، الآية التاسعة
٧٣ - ٧٢	الآية العاشرة
٧٣	الآية ١١ ، الآيات ١٢ - ٢٠
٧٤ - ٧٣	الآية ٢١
٧٤	الآية ٢٢
٧٥ - ٧٤	الآيتان ٢٣ ، ٢٤
٧٥	الآيتان ٢٥ ، ٢٦ ، الآية ٢٧
٧٧ - ٧٥	الآية ٢٨
٧٧	الآية ٢٩ ، الآية الثلاثون

٥ - رسالة في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ٧٩ - ٨٤

٦ - رسالة في تحقيق التوكل ٨٥ - ١٠٠

(فصل) ٨٧ - ٨٩

التوكل عند طائفة مجرد عبادة لا يحصل به جلب منفعة

ولا دفع مضرة ٨٧ - ٨٨

التوكل عند الجمهور يجلب المنفعة ويدفع المضرة وهو

سبب عند الأكثرين ٨٨

توكل المؤمن على الله هو سبب كونه حسباً له ٨٨ - ٩٠

التوكل سبب نعمة الله وفضله ٩٠ - ٩٣

- الأسباب - ومنها التوكل - من قدر الله ٩٣ - ٩٤
 نصر الله مع التوكل عليه ٩٤ - ٩٥
 توكل المرسلين يدفع عنهم شر أعدائهم ٩٦ - ٩٧
 غلط من أنكر الأسباب أو جعلها مجرد أمانة وعلامة ٩٧ - ٩٨
 (فصل) فرض الله الدعاء على العباد لا فتقارهم إلى هدايته ٩٨ - ١٠٠

٧- رسالة في تحقيق الشكر ١٠١ - ١١٨

- الحجيرة والتدريية والملاحدة لا يحمدون الله ولا يشكرونه ١٠٣
 مقالة الحجيرة ١٠٣
 مقالة التدريية النافية ١٠٣ - ١٠٤
 مقالة المتفلسفة - مقالة باطنية الشيعة والمتصوفة ١٠٤
 مقالة ابن عربي ١٠٤ - ١٠٦
 كفر باطنية المتصوفة أعظم من كفر الفلاسفة ١٠٦ - ١٠٧
 كل ما بالخلق من نعمة فمن الله ١٠٧ - ١٠٩
 نعمة الله على الكفار ولكن نعمته ١٠٩ - ١١١
 المطلقة على المؤمنين ١١١ - ١٠٩
 الجهمية والمعتزلة ينكرون محبته تعالى ١١١ - ١١٢
 ويقرون بوجوب الشكر ١١٢
 الجهمية الحجيرة يضعف شكرهم وخوفهم ويقوى رجاؤهم ١١٢
 المؤمن يخاف الله ويرجوه ويحبه ١١٢
 القائلون بوحدة الوجود يحبون بدون ١١٢
 خوف أو رجاء ١١٢ - ١١٥
 بيان مقالة أهل السنة ١١٥ - ١١٨

٨ - رسالة في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزيهه

عن الظلم ١١٩ - ١٤٢

(فصل) ١٢١ - ١٢٦

تنازع طوائف المسلمين في معنى الظلم الذي ينزه

الله عنه ١٢١

مقالة الجهمية والأشاعرة ١٢١ - ١٢٣

مقالة المعتزلة ١٢٣

مقالة أهل السنة ١٢٣ - ١٢٦

(فصل) ١٢٦ - ١٣٨

الخير بيديه سبحانه والشر ليس إليه ١٣١

التعليق على قول بعضهم : الخير كله في الوجود

والشر كله في العدم ١٣١ - ١٣٣

الخير والشر درجات ١٣٣ - ١٣٤

لا يعذب الله أحداً إلا بذنبه ١٣٤ - ١٣٦

الله يفعل الخير والأحسن ١٣٦ - ١٣٨

(فصل مختصر)

بيان حقيقة إرادة الله ١٣٨ - ١٤٢

٩ - رسالة في دخول الجنة هل يدخل أحد الجنة

بعمله أم ينقذه قوله صلى الله عليه وسلم :

لا يدخل أحد الجنة بعمله ١٤٣ - ١٥٢

- نص السؤال ١٤٥
 المثبت في القرآن ليس هو النفي في السنة ١٤٥
 العمل سبب للثواب ١٤٥ - ١٤٦
 السبب لا يستقل بالحكم ١٤٦ - ١٤٧
 ليس جزاء الله على سبيل المعاوضة ١٤٧ - ١٤٨
 غلط من توهم ذلك من وجوه : ١٤٨ - ١٥١

الأول ١٤٨ - ١٤٩
 الثاني - الثالث - الرابع ١٤٩
 الخامس ١٥٠ - ١٥١

- لا بد من العمل ومن رجاء رحمة الله ١٥١ - ٢٥٢
 الله يدخل الجنة بالعمل وبغيره من الأسباب ١٥٢

١٠ - رسالة في الجواب عمّن يقول إن صفات

الرب تعالى نسب إضافات وغير ذلك ١٥٣ - ١٧٣

- نص السؤال ١٥٥
 هذه مقالة المتفلسفة والقراطة والاتحادية ١٥٥ - ١٥٦
 رد السلف عليهم ١٥٦ - ١٥٩
 الناس في مسألة الصفات ثلاث مراتب ١٥٩ - ١٦١
 مقالة أهل السنة في كلام الله ١٦١ - ١٦٢
 مقالة الفلاسفة في كلام الله ١٦٢ - ١٦٣
 متابعة الغزالي للفلاسفة ١٦٤ - ١٦٤
 مقالة ابن عربي في الفصوص ١٦٤ - ١٦٧
 تأثر الغزالي بإخوان الصفا وأمثالهم ١٦٨ - ١٦٩
 كلام الغزالي في كتاب « المصنوعون » ١٦٩ - ١٧٠

١٧١ - ١٧٠	مقالة ابن حزم
١٧٢ - ١٧١	الرد على النفاة
١٧٢	الرد على الغزالي
١٧٣ - ١٧٢	إثبات ابن تيمية وأهل السنة الماهية لله تعالى

١١ - رسالة في تحقيق مسألة علم الله ... ١٧٥ - ١٨٣

١٧٧	في هذه المسألة ثلاثة أقوال - الأول
١٧٩ - ١٧٧	الثاني
١٨٣ - ١٧٩	الثالث

١٢ - رسالة في الجواب عن سؤال عن الحلّاج

هل كان صديقاً أو زنديقاً ... ١٨٥ - ١٩٩

١٨٧	نص السؤال
١٨٧	الحلّاج كان زنديقاً
١٩٢ - ١٨٧	بعض أخبار الحلّاج
١٩٧ - ١٩٢	أخبار أخرى عن بعض أصحاب الأحوال الشيطانية
	أخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الدّجالين والدّجال
١٩٩ - ١٩٧	الكبير
١٩٩	كان الحلّاج دّجالاً ووجب قتله

١٣ - رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى

إيمان فرعون ٢٠١ - ٢٠٦

٢٠٣	نص السؤال
٢٠٣	الجواب :
٢٠٤ - ٢٠٣	فرعون من أعظم الخلق كفراً
٢٠٥ - ٢٠٤	لا يصرح بموته مؤمناً إلا من فيه نفاق وزندقة كالاتحادية
٢٠٧ - ٢٠٥	تفضيل الاتحادية الولي على النبي والرسول
٢١٢ - ٢٠٧	بطلان حججهم على إيمان فرعون
٢١٦ - ٢١٣	إخبار الله عن عذاب فرعون في الآخرة

١٤ - رسالة في التوبة

(فصل)

٢٢٦ - ٢١٩	بعض آيات التوبة في القرآن
٢٢٣ - ٢٢٢	بعض الأحاديث في التوبة

(فصل)

٢٢٧ - ٢٢٦	التوبة نوعان : واجبة ومستحبة
٢٢٧	الواجبة من ترك مأمور أو فعل محظور
٢٢٨ - ٢٢٧	والمستحبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات
٢٢٩ - ٢٢٨	التوبة من ترك الحسنات أهم من التوبة من فعل السيئات
٢٣٤ - ٢٢٩	الغنى والضلال يجمعان جميع السيئات
٢٣٦ - ٢٣٤	الغنى في شهوات الرئاسة والكبر والعلو

(فصل)

٢٤٨ - ٢٣٦	المصيان يقع مع ضعف العلم
-----------	--------------------------

التوبة من الاعتقادات أعظم من التوبة من

٢٣٨ - ٢٣٧

الإرادات

٢٤٨ - ٢٣٨

الاعتقاد والإرادة يتعاونان

٢٧٩ - ٢٤٨

(فصل)

التوبة من الحسنات لا تجوز عند أحد من

٢٥١ - ٢٤٨

المسلمين

المعنى الصحيح لعبارة: حسنات الأبرار

٢٥٥ - ٢٥١

سيئات المقرين

٢٥٨ - ٢٥٥

المعنى الفاسد للعبارة

٢٥٩ - ٢٥٨

لم تأت الشريعة بالتوبة من الحسنات

٢٥٩

أصل هذه المقالة هو دعوى العصمة في المؤمنين

٢٦٠ - ٢٥٩

غلو النصارى في هذه الدعوى

٢٦٤ - ٢٦٠

غلو الشيعة في دعوى العصمة

٢٦٥ - ٢٦٤

غلو الصوفية

٢٦٩ - ٢٦٧

لا عصمة لأحد بعد الرسول

مذهب السلف وأهل السنة هو القول بتوبة

٢٧٠ - ٢٦٩

الأنبياء

٢٧٠

اليهود فرطوا في حق الأنبياء

٢٧٣ - ٢٧١

الإسلام هو الصراط المستقيم

٢٧٥ - ٢٧٣

عصمة الأئمة تعنى مضاهاتهم للرسول

٢٧٦ - ٢٧٥

الغلو في البشر يؤدي إلى الشرك

بطلان القول بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ٢٧٦

تفصيل مذهب أهل السنة في ذلك ٢٧٦ - ٢٧٩

١٥ - فصل في أن دين الأنبياء واحد . ٢٨١ - ٢٨٤

١٦ - فصل في الدليل على فضل العرب ٢٨٥ - ٢٩٠

سبب ما اختص به العرب من الفضل ٢٨٩ - ٢٩٠

الفهارس ٢٩١ - ٣٨٨

١ - فهرس الآيات القرآنية ٢٩٣ - ٣١٦

٢ - فهرس الأحاديث النبوية ٣١٧ - ٣٣٣

٣ - فهرس الشعر واللغة ٣٣٤ - ٣٣٥

أ - الشعر ٣٣٤

ب - اللغة ٣٣٥

٤ - فهرس الأعلام ٣٣٧ - ٣٤٨

٥ - فهرس القبائل والفرق والطوائف ٣٤٨ - ٣٥٤

٦ - فهرس الأماكن والبلدان ٣٥٥ - ٣٥٦

٧ - فهرس المصطلحات والبحوث الفرعية ٣٥٧ - ٣٥٩

٨ - فهرس الكتب ٣٦٠ - ٣٦١

٩ - فهرس مراجع التحقيق ٣٦٢ - ٣٧٥

١٠ - فهرس التصويبات والاستدراكات ٣٧٦

١١ - فهرس الموضوعات ٣٧٧ - ٣٨٧

للدكتور محمد رشاد سالم

المؤلفات

- ١ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية الطبعة السادسة دار القلم الكويت ١٩٨٤/١٤٠٤
- ٢ - مقارنة بين الغزالي وابن تيمية دار القلم الكويت ١٩٧٥/١٣٩٥

في مجال التحقيق

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية الجزء الأول ، ط . دار العروبة ، القاهرة ١٩٦٢/١٣٨٢
- ٢ - الجزء الثاني ، ط . دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٤/١٣٨٤
- ٣ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الأولى ، ط . المدني ، ١٩٦٩/١٣٨٩
- ٤ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠/١٣٩٠
- ٥ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الأول ، ط . حنيفة ، الرياض ، ١٩٧٦/١٩٣٦
- ٦ - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١١ جزءاً ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، السعودية ، ١٩٧٩/١٣٩٩ - ١٩٨٣/١٤٠٣
- ٧ - مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لابن تيمية ضمن كتاب « دراسات عربية وإسلامية » ط . المدني ، القاهرة ١٩٨٢/١٤٠٣
- ٨ - الاستقامة لابن تيمية جزءان ، ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨٣/١٤٠٤
- ٩ - جامع الرسائل لابن تيمية المجموعة الثانية ، ط . المدني ، ١٩٨٤/١٤٠٥

تحت الطبع

- ١ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ، ٩ أجزاء ، ط . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية
- ٢ - كتاب الصفدية لابن تيمية ، الجزء الثاني ، ط . الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والارشاد ، الرياض ، السعودية

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الثانية

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م